الفهرست ..... 1 .

مقدمة

تمهيد 2

الفصل الاول
هل التشيع اول فرقة في الاسلام 11
منشأ اتجاه الخلافة 22
تحولات الصراع بين اتجاهي الخلافة والامامة..... 34
ظروف نشوء الخوارج وفتنة عثمان 39
التشيع خطوات هامة نحو الاصلاح 42
الخوارج اثر سياسي اموي 46

الفصل الثاني
الاضطهاد الاموي والعباسي لاتجاه التشيع 58
ظهور الفرق الشيعية..... 60
الكيسانية 61
الزيدية 63
الامامية 69
الاسماعيلية 72
فرق اتجاه الخلافة 76
الجبرية والقدرية 77
المرجئة 83

الفصل الثالث
مدرستا الحديث والرأي 90
المذهب الحنفي 92
المذهب المالكي 95
المذهب الشافعي 96
المذهب الحنبلي 97
الخاتمة 103

المصادر والمراجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد

برغم كون المسلمين على ظاهرهم يشكلون مجتمعا واحدا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم مثالا إنسانيا متكاملا هو مصدر لقيادة موحدة ، وهاديا إلى شؤون الشريعة ومستجداتها خلال مراحل الوحي ، والمرجع الفاصل فيما شجر بين المسلمين بقوله تعالى : **(فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول -58 النساء)** ، الا ان انقلابا عظيما حدث بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأودى بالرسالة الى غير مستقر ، حيث اشار القرآن الكريم اليه في الاية الكريمة :

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) .

وصرح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بافتراق أمته من بعده الى فرق متعددة . فقد ورد في ذلك حديث بروايات مختلفة باسانيد عديدة عن السنة والشيعة . ويظهر السيد هاشم الحسيني في (الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - ص 23 ط1) ((ان الذين وضعوا هذا الحديث وضعوه ليثبتوا ان تلك الفرق لم تخرج عن الاسلام على ما بينها من تباعد وتضارب في المعتقدات ، في حين ان اكثر تلك الفرق قد خرجت عن الاسلام في كثير من آرائها ومعتقداتها ، كالقرامطة والإسماعيلية السبعية والغلاة وغيرهم).

فعن طريق السنة ورد حديث الافتراق في كتب كل من ((السيوطي في (الدر المنثور) ، (جامع الأصول) لابن الاثير ، و(سنن ابن دادود) ، وفي (العمدة) لابن البطريق و(سنن ابن ماجة) ، وجاء في (صحيح الترمذي) عن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية ليكونن في امتي من يصنع ذلك ، وان بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما انا عليه واصحابي) .

وعن طريق الشيعة الإمامية ورد حديث الافتراق في كتب كل من الصدوق في كتبه (الخصال) (معاني الأخبار) (في الاحتجاج) ، وكتاب المفيد (آمالي المفيد) ، والعياشي في كتابه (تفسير العياشي) ، وكتاب(الكافي) للكليني . وجاء في الخصال بإسناده عن سليمان بن مهران عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن ابيه الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :

(أن أمة موسى (عليه السلام) افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية وسبعون في النار ، وافترقت امة عيسى عليه السلام بعده على اثنتين وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار ، وامتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النار))1

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتكشف روايات الفريقين الواردة في تفصيل الظروف التي كان يعيشها المسلمون على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرين مهمين :

الاول : ان مجتمع المسلمين خلال عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تبلور فيه اتجاهان ، أحدهما مثلته الصفوة المؤمنة أيمانا راسخا ، وكانت تظهر هذا الإيمان بمواقف عظيمة تجاه الرسالة جعلتها امتدادا لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومدافعة عن الاتجاه السليم وفي الضد من مخلفات العهد الجاهلي . كما تبلور الى جانب هذه الصفوة اتجاه مثلته قوى مختلفة لم تستطع التخلص من مخلفات العهد الجاهلي وميراثه القبلي ، وضمرت للإسلام شرا مستطيرا ، وكانت تنتظر الفرص السانحة لتسترد مكانة لها كانت قد فقدتها خلال سيادة الرسالة المحمدية ، حتى ما حانت تلك الفرصة انقلبت على أعقابها فأودت بالسلطة الى طريق انتهى الى الفوضى والفرقة والظلال .

الثاني : لم يأخذ الاتجاهان المتضادان بعدا سياسيا يمثل كل واحد منهما خلال عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) بل كان المميز بينهما ما يميز بين الإسلام السطحي والإيمان . فهناك المؤمنون وهناك المسلمون ، والفرق بينهما ان الصفوة المؤمنة كانت تمتلك يقينا ثابتا بالرسالة الالهية في القلب مع اظهار ذلك على اللسان ، بينما الفرقة الاخرى دخلت الدين لظروف خاصة ، واقرت بمحمد (صلى الله عليه وآله) رسولا ، وكانت محل ضعف واطماع . وتفصل الاية الكريمة في ذلك بقولها **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا- الحجرات 14).**

وربما تكشف رواية الشيخ الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي الواردة في (الطرائف في معرفة الطوائف - ص430) لرضي الدين الحسيني ، فيما ورد في الكثير من التفاسير بسند عن انس بن مالك عن اهم ما تميز به قادة كل من الاتجاهين المتضادين من حيث خضوعهما لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورؤيتهما له ، وما آل اليه مستوى الاستجابة لما صدر من وحي بلسان الرسول الأكرم من اثر في نشوء الفرق عن هذين الاتجاهين :

قال مالك : كنا جلوسا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتذكرنا رجلا يصلي ويصوم ويتصدق ويزكي ، فقال لنا رسول الله : لا اعرفه . فقلنا يا رسول الله انه يعبد الله ويسبحه ويقدسه ويوحده . فقال : لا اعرفه . فيما نحن في ذكر الرجل اذ طلع علينا ، فقلنا : هذا هو ، فنظر اليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لأبي بكر : خذ سيفي هذا واذهب الي هذا الرجل واضرب عنقه فانه اول من رايته من حزب الشيطان . فدخل ابو بكر المسجد فراه راكعا فقال : والله لا اقتله فان رسول الله نهانا عن قتل المصلين ، فرجع ابو بكر فقال : يا رسول الله اني رايت الرجل راكعا وانك نهيتنا عن قتل المصلين ، فقال رسول الله : اجل يا ابا بكر فلست بصاحبه ، قم يا عمر وخذ سيفي من ابي بكر وادخل المسجد فاضرب عنقه ، قال : فاخذت السيف من يد ابي بكر ، ودخلت المسجد فرايت الرجل ساجدا فقلت : والله لا اقتله فقد استاذنه من هو خير مني ، فرجعت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : يا رسول الله اني رايت هذا الرجل ساجدا ، فقال : ياعمر اجلس فلست بصاحبه ، قم ياعلي فانك انت قاتله ان وجدته فاقتله فانك **ان قتلته لم يقع الضلال والاختلاف بين امتي ابدا** ، فقال علي : فاخذت السيف ودخلت المسجد فلم اره ، فرجعت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلت : ما ريته ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا الحسن ان امة موسى افترقت الى احد وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار .... وان امتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار . فقال : يا رسول الله من الناجي ؟ قال : المتمسك بما انت عليه واصحابك . فانزل في ذلك الرجل **(ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) يقول : هو اول من كان ظهر من اصحاب البدع والضلال . قال ابن عباس : والله ما قتل ذلك الرجل الا امير المؤمنين (عليه السلام) يوم صفين) .

كما تكشف هذه الرواية عن ان اصحاب الضلال والبدع ربما يظهر منهم التزاما دينيا مشهودا ، لكن الظروف المحيطة ومنها السياسية على وجه الخصوص قادرة على ان تردهم على اعقابهم وان كانوا من الصحابة ومن شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولم تكن هنالك فرقا اسلامية متميزة لها زعيمها او رائدها او كيانها المستقل خلال عهد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) برغم الخلافات الفكرية وربما السياسية التي كانت تنشأ بين الفينة والاخرى ، او كانت في بعضها تمس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه وتشكك في نزاهته وعدالته .

فعن الشهرستاني: ((قال ذي الخويصرة التميمي - الذي اصبح احد عناصر فرقة الخوارج فيما بعد - خلال تقسيم غنائم الحرب - للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : اعدل يامحمد فانك لم تعدل ، حتى قال عليه السلام : (ان لم اعدل فمن يعدل) ، فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى . ذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجيا ، اوليس ذلك قول بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص واستكبارا على الامر بقياس العقل ، حتى قال عليه السلام :

(سيخرج من ضئضئى هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا (**هل لنا من الامر من شيء**) وقولهم (**لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا**) وقولهم (**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**) فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين (**لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء**) وقول طائفة (**انطعم من لو يشاء الله اطعمه**) تصريح بالجبر . واعتبر حال طائفة اخرى حيث جادلوا في ذات الله تفكرا في جلاله وتصرفا في افعاله حتى منعهم وخوفهم قوله تعالى (**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال**) . فهذا ما كان في زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم في كل وقت بالاعتراض على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع)) 2

وما ان مات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قام الانقلاب العظيم الذي لعبت فيه المعطيات السياسية الدور الاكبر ، فتفرق المسلمون الى اتجاهين ، احدهما بقي على اتباع اثر الامام علي (عليه السلام) بوصفه وليا بنص اعلنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مرارا ولكن يوم غدير خم كان فيه الاعلان عن النص اكثر شيوعا ، بينما اتجه فريق اخر الى اتباع الخلافة التي تمخضت عن اجتماع سقيفة بني ساعدة المنتهية الى تعيين ابي بكر خليفة في قصة كانت محل جدل في اول انفصام وسط المجتمع الاسلامي اودى به مع تعاقب الزمن والاحداث الى طرق وتعددية مذهبية دينية مثلتها فرق تجاوزت الثلاث والسبعين فرقة .

((ولقد اعطت كل فرقة لختام الحديث الرواية التي تناسبها : فاهل السنة جعلوا الفرقة الناجية هي اهل السنة ، والمعتزلة جعلوها فرقة المعتزلة ، وهكذا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظهر التعسف البالغ لدى مؤرخي الفرق في وضعهم فروقا واصنافا داخل التيارات الرئيسية حتى يستطيعوا الوصول الى 73 (فرقة) ، وفاتهم ان افتراق المسلمين لم ينته عند حصرهم ، وانه لابد سينشأ فرق جديدة باستمرار ، مما يجعل حصرهم هذا خطأ تماما ، واذ لايحسب حسابا لما سينشأ بعد ذلك من فرق اسلامية جديدة))3.

كان مستقبل النظام السياسي الاسلامي بعد اعلان الغدير قد رسم بشكل نهائي لاتراجع فيه ، فالولاية من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اضحت واضحة لا لبس فيها ، فامامة علي (عليه السلام) اكمل الدين بها حسب نص الاية الكريمة (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) ، لذلك شرعت الدوائر المناهضة لهذا النص في تسخير كل طاقاتها السياسية والاجتماعية لتقويض هذا الاعلان مع ادراك كامل للعواقب التي ستنجم عن ذلك ، لكنها لم تدرك تماما ان هذا التقويض لن يكون به نهاية للامر ، فاعلان الغدير لم يكن على مسمع ومرأى من جمع قليل .

فقد كان يوم الثامن عشر من ذي الحجة شديد الحر ، فيه وصل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى غدير خم الذي عد مفترق طرق الى المدينة ومصر والشام ، ويقع في منطقة الجحفة ، وينعدم فيه الماء والمرعى ، وقيل ان الرسول (صلى الله عليه وآله) كان بصحبته في هذا اليوم زهاء مائتي الف من المسلمين تقاطروا من كل حدب وصوب لنيل ثواب وشرف حجة الوداع العظيمة والاخيرة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولم يتخلف عن هذه الحجة احد من كبار صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ووقف الرسول (صلى الله عليه وآله) عند الغدير ((حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدم ، ونهى اصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء ان ينزلوا تحتهن ، ثم بعث اليهن فقم ما تحتهن من الشوك ، ونادى بالصلاة جامعة ، وعمد اليهن ، وظلل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فصلى الظهر بهجير ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله ان يقول ، ثم قال :

((اني اوشك ان ادعى فاجيب ، واني مسؤول وانتم مسؤولون ، فماذا انتم قائلون ؟ . قالوا :

نشهد انك بلغت ونصحت فجزاك الله خيرا . فقال :

اليس تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق ؟ .

قالوا : بلى نشهد ذلك.

قال : اللهم اشهد .

ثم قال : الا تسمعون ؟

قالوا : نعم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : يايها الناس اني فرط وانتم واردون علي الحوض وان عرضه مابين بصرى الى صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، واني سالتكم عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) .

فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : كتاب الله ، طرف بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به ، لاتظلوا ولا تبدلوا ، وعترتي اهل بيتي ، وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، سألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهما فهم اعلم منكم .

ثم قال : الستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : الستم تعلمون - او تشهدون - اني اولى بكل مؤمن من نفسه ؟

قالوا : بلى يا رسول الله

ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس الى بياض ابطيهما ، ثم قال :

ايها الناس! الله مولاي وانا مولاكم ، فمن كنت مولاه ، فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، واحب من احبه ، وابغض من ابغضه .

ثم قال : اللهم اشهد .

ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الاية :

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي .

(فلقى عمر بن الخطاب بعد ذلك عليا فقال له : هنيئا لك يابن ابي طالب ، اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة , وفي رواية قال له : بخ بخ لك يا ابن ابي طالب))4

اعلان خم كان اعلانا صريحا بولاية الامام علي (عليه السلام) تناقلته الالوف من مسلمي حجة الوداع ، وقد سبق هذا الاعلان امرا الهيا يدعو رسولنا الكريم في خاتمة رسالته ان يبلغ المسلمين بولاية امير المؤمنين (عليه السلام) ، برغم علمه بالموقف السلبي لعدد من الصحابة لامر ولاية علي (عليه السلام) من بعده بحكم جذور الجاهلية وحب السلطان وما في انفسهم من تنافس وفخر فضلا عن الاحقاد التي نمت فيهم تجاه شخص الامام (عليه السلام) وما يمثله من اتجاه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واصبح سخط الباري عز وجل وعذابه مقترن بمن رفض او تنكر للولاية واية التبليغ . فعن (الصياغة المنطقية للفكر السياسي الاسلامي , حسن عباس حسن . نقلا عن نور الابصار للشبلنجي ص78) :

(ذكر الامام ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره ... لما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي (رض) وقال من كنت مولاه فعلي مولاه ، فشاع ذلك فطار في البلاد ، وبلغ ... الحرث بن نعمان الفهري ، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال يا محمد امرتنا عن الله عز وجل ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسوله فقبلنا منك وامرتنا ان نصلي خمسا فقبلنا منك وامرتنا بالزكاة فقبلنا وامرتنا ان نصوم رمضان فقبلنا وامرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك ام من عند الله عز وجل ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي لا اله الا هو ان هذا من الله عز وجل ، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم , فما وصل الى راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فانزل الله غز وجل (**سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له من دافع . من الله ذي المعارج**) .

وتعمد الكثير من الصحابة نفي تصريح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالولاية بغدير خم ، وذهب البعض للاعتراف مع التاويل ، بينما راح بعضهم الى كتم او تجاهل حديث الرسول بالولاية او تعريف الناس بها .

لكن حديث الغدير روي من طريق السنة والشيعة . فعن طريق السنة في بعض كتبهم ، ((زاد المعاد) لابن القيم الجوزية و(مسند احمد) و(صحيح مسلم) و(ومسند الطيالسي) و(مسند البيهقي) و(تاريخ ابن كثير) و(شواهد التنزيل) للحسكاني و(تاريخ اليعقوبي)).5

وقد تقدم تنصيب الامام علي (عليه السلام) نزول آية التبليغ الكريمة . ((وفيها روي عن زياد بن المنذر انه كان يقول:

كنت عند ابي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) وهو يحدث الناس اذ قام اليه رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له : يابن رسول الله ، جعلني فداك ، ان الحسن يخبرنا ان هذه الاية نزلت بسبب رجل ، ولايخبرنا من الرجل (**يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ...**). فقال : لو اراد ان يخبر به لاخبر به ، ولكنه يخاف . ان جبرئيل هبط الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - الى قوله :- فقال : ان الله يامرك ان تدل امتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يارب ان قومي قريبو عهد الجاهلية ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل الا وقد وتره وليهم ، واني اخاف - اي تكذيبهم - . فانزل الله تعالى : (**يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته - يريد فما بلغتها تامة - والله يعصمك من الناس**) .

وقال ابن عباس : فهبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكره ان يحدث الناس بشيء منها اذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية - الى قوله :- فاحتمل رسول الله حتى اذا كان اليوم الثامن عشر انزل الله عليه : (**يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ...**)))6

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن محاولات التشكيك والتاويل في حديث غدير خم ما ذهب اليه ابن حجر الهيثمي في صواعقه المحرقة ((ان الحديث صحيح لا مرية فيه وقد اخرجه جماعة كالترمذي والنسائي واحمد وطرقه كثيرة جدا ومن ثم رواته ستة عشر صحابيا وفي رواية لاحمد انه سمعه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته ... وكثير من اسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده) .

ثم يقول (ويتعين تأويله على ولاية خاصة نظير قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقضاكم علي ، على انه وان لم يحتمل التاويل فالاجماع على حقيقة ولاية ابي بكر وفرعيها قاض بالقطع بحقيقتها لابي بكر وبطلانها لعلي لان مفاد الاجماع قطعي ومفاد الخبر الواحد ظني ولا تعارض بين ظني وقطعي بل يعمل بالقطعي ويلغى الظني على ان الظني لاعبرة به فيها عند الشيع))7

لكن ابو حامد الغزالي يرد على جهة التاويل الى الاجماع فيقول :((اجمع الجمهور على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم باتفاق الجميع وهو يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بخ بخ يا ابا الحسن لقد اصبحت مولاي ومولى كل مولى فهذا تسليم ورضى وتحكيم ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة) 8

وورد عن الشيخ سليم البشري في حواره مع السيد عبد الحسين شرف الدين (حمل الصحابة على الصحة يستوجب تاويل حديث الغدير متواترا او غير متواتر . وقوله : (.. قالوا فلعل الحديث من كنت ناصره ، او صديقه ، او حبيبه ، فان عليا كذلك ، وهذا المعنى يوافق كرامة السلف الصالح وامامة الخلفاء))9

بينما يورد الامام عبد الحسين شرف الدين اربعين رواية صحيحة ومتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ولاية الامام علي (عليه السلام) ، ويورد محمد جواد مغنية في (الشيعة والحاكمون) ((انه اتفق السنة والشيعة على صحة حديث الولاية وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من كنت مولاه فعلي مولاه) لانه تجاوز حد التواتر بعد ان رواه مائة وعشرة من الاصحاب ، واربعة وثمانون من التابعين ، وذكره الامام احمد في مسنده ، والامام النسائي في خصائصه ، والحاكم في مستدركه ، والرازي في مناقبه ، وابن البر في استيعابه والعسقلاني في اصابته ، كما ذكره الترمذي وابن جرير والذهبي وغيرهم)) 10

واذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اتم رسالته واتم الله سبحانه وتعالى نعمته على المسلمين بولاية الامام علي (ع) فان هذه الولاية تشكل المسار الامثل لوحدة المسلمين ، ويرى الصحابة ذلك . ففي قول عمر بن الخطاب اعتراف صريح بأحقية الامام (عليه السلام) وقدرته وسلامة نهجه ((اما والله لان وليتهم لتحملنهم على النهج الواضح والمحجة البيضاء) وهي كلمة صريحة قالها عمر عندما طعنه ابو لؤلؤة ، فعمر يعتقد ان عليا اولى الجميع بالخلافة ولكنه قبيل موته جعله في الشورى احد افراد الستة المرشحين للخلافة لاعتقاده انه لو ولي علي الخلافة لبقيت في بني هاشم فلا ينالها حي من إحياء قريش !.

وجميع المؤهلات اجتمعت في علي فهو اقرب الناس الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رحما ، وهو اول من اسلم وهو اول من فداه بنفسه يوم تآمرت قريش على النبي ، وهو خليفته بمكة يوم هاجر على اهله والمسلمين وهو حامل لوائه في جميع غزواته ، وقد آخاه رسول الله يوم آخى بين الصحابة ، وهو فاتح خيبر وقاتل مرحب ، وهو الذي دفع اذى عشرة آلاف فارس من المشركين يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخندق لقتله عمرو بن عبد ود ، وهو الوحيد بين الصحابة الذي قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم : (برز الإيمان كله الى الشرك كله))11

وقد التقت كل المؤهلات والمواصفات في علي (عليه السلام) كخليفة للمسلمين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنص الهي ، واورد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نصوصا مختلفة في احقية علي بالخلافة ، كل ذلك يؤكد ان الحياد عن هذه الولاية هو تيه وضياع وشقاق ، وكانت الاحداث التي اودت بالخلافة الى غير مستحقها انتهت الى خلاف وشتات وفرقة ، ويرجع كل ذلك الى ما كان مبيتا من مؤامرة لاسقاط الامامة وذلك منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) . ويقول الامام محمد الشهرستاني ((ان شبهات امته -النبي - في اخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين ، واكثرها من المنافقين وان خفي علينا ذلك في الامم السالفة لتمادي الزمان فلم يخف في هذه الامة ان شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهي وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا جدال فيه)) 12

وربما يذهب البعض الى القول ان الخلاف الذي وقع بين المسلمين في امر الخلافة (لايوجب تضليلا ولا تفسيقا)13 وهي (اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين) 14 وان هذا الخلاف ليس بالامر المستجد في حياة المسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) . ويقول عبد القاهر البغدادي ((فاول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي (صلى الله عليه وآله) ، فزعم قوم انه لم يمت وانما اراد الله تعالى رفعه اليه كما رفع عيسى ابن مريم اليه ، وزال هذا الخلاف ، واقر الجميع بموته حين تلا عليهم ابو بكر الصديق قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (انك ميت وانهم ميتون) وقال لهم : من كان يعبد محمدا فان محمد قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لايموت ، ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فاراد اهل مكة رده الى مكة لانها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جده اسماعيل (عليه السلام) ، واراد اهل المدينة دفنه بها لانها دار هجرته ودار انصاره ، وقال آخرون بنقله الى ارض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، وزال هذا الخلاف بان روى لهم ابو بكر الصديق عن النبي (صلى الله عليه وآله) (ان الانبياء يدفنون حيث يقبضون) ، فدفنونه في حجرته بالمدينة . ثم اختلفوا بعد ذلك في الامامة ، واذعنت الانصار الى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي ، وقالت قريش : ان الامامة لا تكون الا في قريش ، ثم اذعنت الانصار لقريش لما روي لهم قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (الائمة من قريش) ، وهذا الخلاف باق الى اليوم ، لان ضرارا او الخوارج قالوا بجواز الامامة في غير قريش)) 15.

وتجاهل البغدادي خلافات كانت اكثر خطورة حدثت بين المسلمين اكثرها متعلق بامر الخلافة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل . وصحيح ان بعض الخلافات التي ذكرها البغدادي قد ازيلت ، لكن خلاف الولاية بعد النبي وماسبقها ولحقها من خلافات لم تؤل الى الزوال بل امتدت اثارها الى واقعنا الراهن ، ذلك انه خلاف على امر الهي لاتشريع بشري ، صنفت خلاله الصحابة بين ممتثل ومعاند ، مؤمن موالي ومارق وناكث وقاسط .

فما حدث اثناء مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو اول تنازع بين الصحابة . ((ففيما رواه محمد بن اسماعيل البخاري باسناده عن عبد الله بن عباس قال : لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لاتضلوا بعدي فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبي عليه السلام قوموا عني لاينبغي عندي التنازع ، قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله .

واما الخلاف الثاني في مرضه انه قال جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال امره واسامة قد برز من المدينة وقال قوم اشتد مرض النبي عليه السلام فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر اي شيء يكون من امره .

واما الخلاف الثالث ((اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها وقالت الانصار منا امير ومنكم امير واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر في الحال بان حضرا سقيفة بني ساعده وقال عمر ازور في نفسي كلاما في الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت ان اتكلم فقال ابو بكر مه يا عمر فحمد الله واثنى عليه وذكر ما كنت اقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب فقبل ان يشغل الانصار بالكلام مددت يدي اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الثائرة الا ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ... ثم لما عاد الى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة ، سوى جمعة من بني هاشم ، وابي سفيان من بني امية ، واامير المؤمنين علي كرم الله وجهه كان مشغولا بما امر النبي (صلى الله عليه وآله) من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره ، من غير منازعة ولا مدافعة)) 16

كانت الجاهلية حاضرة بين المسلمين رغم وجود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم ، وكان الدور الاعظم لدهائها وسياستها ما لعبته في مرحلة كانت اكثر حراجة وخطورة ، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مسجا على المغتسل ، وكان اهل بيته (عليهم السلام) مشغولين بتجهيز جنازته ، بينما كانت الجاهلية تعد عدتها لشق صفوف المسلمين . وكانت امامة علي (عليه السلام) هي الهدف الاول لها قبل كل شيء ، فضربها انتهى الى ولادة مسلك سياسي جديد كان الخليفة فيه حرا في بناء نظام سياسي يتوافق مع ما يراه صالحا لنفسه واتباعه دون رعاية بما ختمت به الرسالة واكملت .

ولذلك تحولت الخلافة بعد ذلك الى تعيين وانتهت الى وراثة ، واخرجها البعض عن قريش ، ولم يكن للامام علي (عليه السلام) وشيعته الا الحرص على وحدة المسلمين حتى يتبين الحق من الباطل وان طال الزمن ، وعبر الامام عن ذلك بقوله :

(لنا حق فان أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وان طال السرى) .

ولا يغيب عن عصرنا الحديث اثار الموقف السياسي الذي انتهى الى تقويض ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) . فقد تعددت الفرق ، ولعب النظام السياسي في نشوئها ونموها وتبنيها دورا عظيما ربما كان مبررا بنفس التبريرات السياسية التي غيرت من وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخلافة من بعده . ولذلك شاع فكر هذه الفرق واتباعها ، من جهة اخرى تبنت بعض الفرق الإسلامية انظمة سياسية مختلفة وهيئت كافة قواها الفكرية لدعمها ورواجها ، بينما راحت بعض الانظمة السياسية تؤسس في الفرق بحثا عن فكر مؤيد لشرعيتها ، وسخرت قواها السياسية في دعم هذه الفرق حينا او نبذها حينا اخر حين تطلب الامر ذلك . وانتهى المطاف بملازمة دائمة بين النظام السياسي والفرقة ، فالايذان بانتهاء أحد الأنظمة السياسية هو نفسه ايذان بانتهاء الفرقة الاسلامية التي يتبناها ، لذلك لم تتبق من عشرات الفرق الإسلامية الا القليل ، وراح العلم والزمن ينخر فيما تبقى !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هنا فمن اليسر بمكان معرفة شرعية فرقة من الفرق وسلامتها من الانحراف ، فتأييد النظام السياسي لها وتبنيه لطريقتها ليس دليلا شرعيا على انها الفرقة الناجية الواردة في حديث الفرقة . ولو ان المسلمين اتبعوا وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الامامة وما بعدها لم يكن هناك مكانا في الاسلام لتعدد الفرق ، ولم يكن هناك عوامل لدخول الانظمة السياسية في لعبة الفرق وتعددها ، ولاضحى النظام السياسي اليوم اكثر سلامة ، واكثر قربا من تعاليم الشريعة ، لان الامامة في حقيقتها قادرة على خلق نموذج سياسي ديني ، وعلى صياغة المجتمع الاسلامي صياغة مثالية سليمة .

وفي هذا الوقت الذي تتعالى فيه صيحات الوحدة الاسلامية والتقريب بين المذاهب والفرق الاسلامية من وجه ايجابي ، او تتعالى صيحات الحرب والاقتتال بين طائفة واخرى من وجه سلبي ، حري بالمسلمين ان يتمعنوا في دراسة واقعية وموضوعية وبحياد تام للحقيقة ، ولما بني من فرق على اسس سياسية خالصة لم تعرف من الاسلام الا رسمه . وتقييم المراحل التاريخية التي انتهت بنشوء فرقهم ، والبحث الدائب والدائم عن الاسباب التي انتجت هذه الفرق وجعلتها بين مد وجزر سياسي على مدى التاريخ والتاريخ المعاصر .

والظروف السياسية وما لحقها من دهاء ومكر كان لها الدور الاعظم في نشوء غالبية الفرق منذ الولادة الاولى للاسلام . وياتي هذه البحث مساهمة في القاء الاضواء الكاشفة عن البعد السياسي في نشوء اهم فرقتين تتجاذبان اليوم عالمنا الاسلامي فضلا عما انفصم منها ونما من فرق وصراع سياسي نجم بينها لصالح هذا النظام السياسي او ذاك ، وانتهى الى سفك الدماء وهتك الاعراض حتى شهد عصرنا الحاضر مشاهد مخزية ليست من الاسلام في شيء .

الفصل الأول:

شهدت السنوات الأولى لنشوء الإسلام ولادة ابرز اتجاهين مختلفين ولكنهما مجتمعان في اطار امة واحدة بقيادة الرسول الاكرم . والى هذين الاتجاهين ترجع الفرق والمذاهب الإسلامية التي نشأت في العصور المتاخرة . ويرى الكثير من المؤرخين المهتمين بشؤون الفرق أن الأحداث التي تلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي السبب في نشوء الاتجاه الشيعي الذي التزم ودافع عن حق علي (عليه السلام) واتبعه وليا بموجب نص نطق به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مناسبات مختلفة .

وكانت الشيعة تشكل اقلية متعبدة بالدين وتسلم تسليما مطلقا لنصوصه ، وهى اول فرقة اسلامية على الاطلاق . وفرقة اخرى سارعت الى بيعة خليفة من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهي فرقة اتجاه الخلافة من اتباع ابي بكر وعمر وعثمان ، شكلت غالبية المسلمين ،وتشدها الخلافة ويقودها ايمان بالاجتهاد والتصرف وفقا للمصالح . بينما هناك الكثير من الشواهد التاريخية تفيد بان منشأ الشيعة لم يكن رد فعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على اغتصاب الخلافة وما اعقبها من احداث سياسية . فوفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) افرزت الشيعة عن غيرهم.

واختلفت الاعتقادات والظنون في نشوء بقية الفرق الاسلامية بعد ذلك . ولعبت العوامل السياسية لدى الكثير من اتباع الفرق نفسها فضلا عن اتجاهات الانظمة السياسية الحاكمة القائمة خلال فترة نشوء الفرق دورا كبيرا في تصنيف الفرق وتاريخ نشأتها ، كل ذلك لتحقيق غاية بعيدة جدا عن صدقية الغرض وسموه . وتجد احيانا من المهتمين والباحثين من يتوخى الموضوعية ولكنه يحمل في نفسه مسبقات وخلفيات ربما تكون ضاغطة ومؤثرة في مسار التحقيق ، ولذلك جاءت الكثير من النظرات حول نشوء الفرق مسرفة ومغلوطة .

فالشيعة مثلا قيل بان منشأها سياسي طارئ ، برزت على سطح الاحداث بعد محنة الخلافة واحداث السقيفة وما تمخض عنها من هضم لحق علي (عليه السلام) في زعامة المسلمين . وبعضهم ارجع نشوءها الى مقتل عثمان او خلافة علي (عليه السلام) او بعد معركة صفين وما اعقبها من ظهور للخوارج . وهناك من اعتقد انها نشأت مع مقتل الامام الحسين (عليه السلام) حيث امتزج راي سياسي بدماء تفجرت من نحور بغير حق ، مما ادى الى ولادة عقيدة التشيع المنفصلة عن اسلام اتجاه الخلافة الذي مثلته الدولة الاموية بقيادة يزيد بن معاوية .

وذهب البعض الى ان منشأ الشيعة جاء مع نشوء المذاهب الاربعة خلال عهد الامام جعفر الصادق (عليه السلام) . وهناك من تمادى في غيه فزعم ان الشيعة نشأت بفعل اجنبي وان دورا يهوديا بقيادة عبد الله بن سبأ استغل ظروفا سياسية تبعت دعوة الولاية لعلي ليقيم السبئية التي كانت بداية لنشوء التشيع !! .

هل الشيعة اول فرقة في الاسلام ؟

نشأ التشيع في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقي تحت رعايته ، ونما بنصوصه الكثيرة التي كان في طليعتها ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) والتزم بها الشيعة وما زالوا يوردونها في مواقف الاحتجاج على جل مبررات نشوء الفرق الاخرى التي من بينها فرقة اتباع الخليفتين ابي بكر وعمر اللذان تزعما اول انقلاب على دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتصدرا الخلافة بعده على خلاف النصوص التي من بينها :

1- **حديث الثقلين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)** : (يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي) . وروى امام الحنابلة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسنده /182عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : (اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله ، حبل ممدود ما بين السماء والارض ، وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

والامعان في هذا الحديث الذي بلغ من التواتر حدا لا يدانيه حديث الا حديث الغدير ، يقود الانسان الى الحكم بضلال من لم يتمسك بهما معا ، فالمتمسكون بهما هم الفرقة الناجية ، والمتخلفون عنهما او المتقدمون عليهما هم الهالكة)1

2- حديث السفينة : روى الحاكم بسنده عن ابي ذر رضي الله عنه يقول ، وهو آخذ بباب الكعبة: (من عرفني فانا من عرفني ، ومن انكرني فانا ابو ذر ، سمعت النبي يقول : الا ان مثل اهل بيتي فيكم ، مثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)2

ويقول ابن حجر (ووجه تشبيههم بالسفينة ان من احبهم وعظمهم شكرا لنعمه مشرفهم ، واخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفارز الطغيان)3

3- حديث الامان لامتي . روى الحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (والنجوم امان لاهل الارض من الغرق ، واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف ، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس) 4

ولم يكن التشيع فرقة بالمعنى المستقل ، بل يمثل امتدادا للاسلام الذي دعا اليه نبينا الاكرم واراده حاكما على المسلمين فكرا وعملا . وكان من الطبيعي ان يكون مسعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء امة متكاملة مترامية الاطراف مقدما ببذل الجهد في بناء طليعة مؤمنة تمثل النموذج الذي يجب ان يحتذى لاستكمال مقومات الدولة الفتية . ولم تكن هذه الطليعة الا فئة قليلة مكونة من اهل البيت (عليه السلام) وجمع من الانصار والمهاجرين ، وكان المسلمون يتلقون تعاليم الرسالة عن الرسول بواسطة هذه الطليعة التي كانت تترجم تلك التعاليم بحذافيرها الى واقع عملي .

ولم تكن هذه الفئة متميزة عن بقية المسلمين الا بهذه الفرادة ، ولم تاخذ شكلها كتجمع منظم له مواقفه المبدئية والفكرية والسياسية الا بعد ظهور اتجاه الخلافة في عملية انفصالية كبيرة وخطيرة جرت وراءها الغالبية من المسلمين بعد ان وضعت هذه الغالبية امام خيارين : اما القبول بواقع مغاير للنظام السياسي الذي اقامه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع بقاء الحركة الدينية مستمرة ، او الدخول في صراعات سياسية تنتهي بكارثة مدمرة تاتي على كل بناء اقيم على اسس الاسلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((والواقع ان التشيع بما هو فرقة في مقابل جماعة المسلمين لم يكن قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولكن المبدأ الذي يرتكز عليه الشيعة ، وهو نص النبي (عليه السلام) على استخلاف علي (عليه السلام) من بعد ، وكان بعد ولادة الاسلام وقبل ان يهاجر الرسول من مكة الى المدينة بأكثر من ثمانية اعوام تقريبا ، وذلك حينما اوحي اليه : (وانذر عشيرتك الاقربين) - وحينما جمع اكثر من ثلاثين رجلا منهم - كان من جملة ما قاله لهم :

(ايكم يؤازرني على هذا الامر وهو وارثي ووصيي، يقضي ديني وينجز عداتي ، وخليفتي فيكم من بعدي) ، فكررها فيهم ثلاثا او اربع فلم يتقدم منهم احدا غير علي (عليه السلام) كما اورد ذلك احمد بن حنبل في مسنده ، والثعالبي في تفسيره ... ولما يئس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جوابهم قال لعلي :

(انت اخي ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي) . فكان هذا الموقف البذرة الاولى للتشيع ، ومازال النبي يتعهد تلك البذرة ويغذيها باقواله وافعاله حتى نمت وتركزت في نفوس جماعة من المسلمين عرفوا بالتشيع لعلي وموالاته حتى في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)))5

ويرى محمد جواد مغنية (ان رسول الله هو الذي غرس بذرة التشيع لعلي (عليه السلام) بالنص عليه ، وبالمدح والثناء بما لم يثن به على غيره من الاصحاب . وكقوله :
(ياعلي ، لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق) .

وقوله (علي مع الحق والحق مع علي) . بل هو الذي اطلق على اتباع علي عليه السلام لفظة الشيعة ، واسماهم بهذا الاسم ، حيث قال له :
(يا ابا الحسن انت وشيعتك في الجنة) .

وقال : (تاتي وانت وشيعتك راضين مرضيين) .ونقل الشيعة هذا الحديث عن كتاب (الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي) . وظهرت هذه البذرة اول ما ظهرت حين توفى النبي (صلى الله عليه وآله) وبويع ابو بكر بالخلافة ، حيث امتنع علي (عليه السلام) ، ومعه شيعته وانصاره ، واستمروا ممتنعين عن البيعة ستة اشهر كاملة ، ذكر هذا المؤرخون والكتاب القدامى والجدد)6

تميز الوجود الشيعي الذي اقامه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال فترة حياته ببروز الكثير من رموزه ، وهم الصحابة الكبار الذين مثلوا الاسلام واقاموه بجهود وتضحياة جمة ، وكانوا هم الرعيل الاول الذي ائتم بعلي (عليه السلام) وعني بالاسلام واحتضنه ، وبه انتشر الدين في المدن الاولى مكة والمدينة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((فقد عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له . ومثل ابي سعيد الخدري الذي يقول : امر الناس بخمس ، فعملوا باربع ، وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الاربع قال : الصلاة والزكاة والصوم والحج . قيل فما الواحدة التي تركوها . قال : ولاية علي بن ابي طالب. قيل له : وانها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هي مفروضة معهن . ومثل ابي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة اليمان ، وذي الشهادتين ، وابي ايوب الانصاري ، وخالد بن سعيد ، وقيس بن سعد بن عبادة ... واذا كان معنى التشيع هو الايمان بوجود النص من النبي على علي كما اسلفنا فمن الطبيعي ان يبتدئ تاريخ التشيع من حين النطق بالنص)) 7

((وقد نص عليهم - الشيعة - رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)على ما ورد عن طريقي العامة والشيعة لا يستطيع احد الانكار . فابصر الشيعة النبي الاكرم (ض) في مشاهده ومحافله واستمعوا الى نهجه وخطبه ووعوا وصاياه في خليفته واهل بيته وتدبروا كلمه العسجدية في وزيره ووراثه ، ووقفوا بذلك على ما لعلي سلام الله عليه من مكانة عند الله ورسوله ، فشايعوه ووالوه دون تشكيك في امره وترديد في مقامه ، كيف لا ؟ وفيهم نزل قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية - البينة/7) . وقد ثبت فيها عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله لعلي (عليه السلام): (هم انت وشيعتك). وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي : (ان الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولاهلك وشيعتك ومحبي شيعتك) . وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (انك ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين). وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان هذا - يعني علي - وشيعته هم الفائزون يوم القيامة) . فلازموا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعلموا منه (صلى الله عليه وآله وسلم) الاصول وعلى ضوء احاديثه الصحيحة الثابتة في النص على خلافة صنوه الطاهر تمسكوا بولاء الامام علي (عليه السلام) ولم يحيدوا عنه) 8

ويقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في (اصل الشيعة واصولها) :(ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء وشاهدي على ذلك نفس احاديثه الشريفة لا من طرق الشيعة ورواة الامامية ، بل من نفس احاديث علماء السنة واعلامهم وطرقهم الوثيقة التي لايظن فيها ذو مسكة الكذب ، فمنها ما رواه السيوطي في كتاب الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالماثور في تفسير قوله تعالى : (اولئك هم خير البرية))) 9

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتجاوز الولاء للامام (عليه السلام) على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة ومكة المكرمة ، حتى اضحت قبائل باسرها وبلدان تدين بالولاء خضوعا لما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي (عليه السلام) وموالاته .
)) ففي حياة صاحب الدعوة الاسلامية كانت قبائل كثيرة من العرب تدين بالولاء لعلي مثل الخزرج وقبيلة بني يربوع التي فتك برجالها لتشيعهم ، كما ان اليمن من بدء اسلامها شيعة لعلي وبعد الفتح الاسبلامي اعتنق كثير من القبائل العربية عقيدة التشيع في العراق . وقد ظهر التشيع بابهى صوره بعد بيعة السقيفة بين الانصار بما فيهم الاوس والخزرج))10

وربما اراد القائلون بنسبة نشأة التشيع للامام الصادق (عليه السلام) الى مساواة التشيع بنظرائه من المذاهب الاخرى التي نشأت خلال عهده وبعد رحيله ، وعده مذهبا جاء به الصادق (عليه السلام) كطريقة منفصلة لها فكرها المميز عن اتباع الامام علي (عليه السلام) ، لكن تلك النسبة تجانب الحقيقة ولا ترقى الى تحديد واقع التشيع بصدق وحياد . فالصحابة الخلص المقربون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اطلق عليهم المسلمون بالشيعة وذلك لموالاتهم للامام علي (عليه السلام) خلال حياة النبي (صلى الله عليه وآله) .

((فلم يكن الامام الصادق (عليه السلام) هو واضع لحجرها - التشيع - الاساسي ، والغارس لبذرتها الاولى، بل كان الواضع لحجرها والغارس لبذرتها هو الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) . فقد وضع نهجها ونظامها ، وحث الناس على الانتهاء اليها ، اذ قرن العترة بكتاب الله العزيز بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا ابدا) ... فالمدرسة كانت نشاتها في عهد صاحب الرسالة ، وكان رئيسها الاول هو الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ... وقال ابو حاتم الرازي : ان اول اسم ظهر في الاسلام هو الشيعة، وكان هذا لقب اربعة من الصحابة هم ابو ذر ، وسلمان ، وعمار ، والمقداد ، حتى ان اوان صفين فاشتهر بين موالى علي رضي الله عنه))11
واتجه البعض الى تصنيف التشيع في منشئه الى دور سياسي شبيه بالدور الذي لعبه معاوية في صفين وادى الى ظهور الخوارج ، كما ذهب البعض الى القول ان التشيع كان بسبب خدعة اموية في مواجهة الامام علي (عليه السلام).

ويرد الامام السيد محسن الامين العاملي على من ادعى ولادة التشيع في زمن علي (ع) بدهاء معاوية وفساد الامويين (دعواه انه لم يحدث التشيع الا زمن علي -اي زمن خلافته - دعوى باطلة . فقد قال الشيخ محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتاب الفرق والمقالات المطبوع في استانبول : الشيعة هم فرقة علي بن ابي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما بعد ، معروفون بانقطاعهم اليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقول بامامته وقال ابو حاتم السجستاني في الجزء الثالث من كتاب الزينة ان لفظ الشيعة كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقب اربعة من الصحابة سلمان وابي ذر والمقداد وعمار وذلك صريح في ان مبدا التشيع من زمن الرسول ... وان اسم التشيع لعلي لم يحدث في خلافته بل قبلها(صلى الله عليه وآله وسلم) 12

ويرى السيد الشهيد الصدر (ان الشيعة ولدوا منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة متمثلين في المسلمين الذين خضعوا عمليا لاطروحة زعامة الامام علي (عليه السلام) وقيادته التي فرض النبي الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة ... وقد تجسد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الاولى ، في انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام علي واسناد السلطة الى غيره)13

ان احداثا سياسية مهمة تعاقبت على حياة المسلمين كان التشيع فيها طرفا رئيسيا مدافعا ومعترضا ومحاربا ايضا ، وكانت الاتجاهات السياسية في الجانب الاخر مدعومة من قبل كبار الصحابة او من قبل انظمة سياسية قائمة . فمن بين تلك الاحداث :

أ- محاولة استبعاد التشيع عن الحياة السياسية بتقويض وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المتعلقة بحق علي (عليه السلام) في الخلافة من بعده .
ب- مقتل عثمان واستغلال دمه في اثارة الفتنة على عهد الامام علي (عليه السلام)
ت- تمرد الخوارج علي الامام (عليه السلام) بعد لعبة التحكيم .
ث-نقض معاوية للصلح مع الامام الحسن (عليه السلام).
ج- مقتل الامام الحسين (عليه السلام) على يد يزيد بن معاوية .

هذه الاحداث وغيرها جعلت من التشيع حاضرا بكل ثقله السياسي خلال العقود التي مرت على المسلمين منذ الخليفة الاول ابي بكر . وكانت جميع هذه الاحداث قد جعلت من اليسر تمييز حقيقة التشيع والتعرف على رموزه وفكره . فحينما اختلف الانصار والمهاجرون على الخلافة كان الشيعة طرفا ثالثا بقي على اعتراضه السياسي حتى آلت الخلافة مرة اخرى الى علي (عليه السلام) بعد مقتل عثمان ، وحين وقف الامام موقفا صلبا برايه في استبعاد معاوية من ولاية الشام كان التشيع متصدرا حرب صفين ...

لكن الكثير من مؤلفي الفرق لم يميزوا بين التشيع في كونه اتجاها سياسيا او روحيا مندمجا او منفصلا عن عامة المسلمين ، او ان عوامل نشأته السياسية جاءت كرد فعل على مجريات السقيفة او غيرها من الاحداث المذكورة وما تلاها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التشيع الروحي والسياسي

فصل بين التشيع في كون منشأه روحيا ام سياسيا ، وذهب البعض الى القول بان التشيع الذي نشأ على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان بذر بذرته الاولى كان تشيعا روحيا بحكم اقترانه بالرسول والامام علي (عليه السلام) واهل بيته الذين حث القرآن الكريم على مودتهم وحبه بقوله : (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) وحيث كان امر التبليغ وعرض السنة واظهارها لازال حديث العهد . بينما برز التشيع بشكله السياسي بعد اعتراضه على احداث سياسية كان في طليعتها مجريات السقيفة ، وقيل بعد استشهاد الامام علي (عليه السلام) او بعد مقتل الامام الحسين (عليه السلام) .

ويميل الدكتور عبد الرحمن بدوي في مقدمة كتابه (دراسات اسلامية) في تحديده لهوية التشيع (الى اطلاق لفظ الشيعة في المقام الاول من التيار الروحي في الاسلام) . ويضيف : (ومن الغريب ان الباحثين لم يوجهوا عناية كافية الى هذه الناحية ، ناحية الدور الروحي في تشكيل مضمون العقيدة الذي قامت به الشيعة والعلة في هذا ان الجانب السياسي في الشيعة هو الذي لفت الانظار اكثر من بقية الجوانب مع انه ليس الا واحدا منها وقد يكون من اقلها خطرا من حيث القيمة الذاتية للمذهب ، ووجوده بشكل واضح لا يدل مطلقا على طغيانه على بقية الجوانب)) 14

بينما يرى الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتابه (بحث في الولاية) الى (ان التشيع لم يكن في يوم من الايام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت وانما ولد في احضان الاسلام بوصفه اطروحة مواصلة الامام علي (عليه السلام) للقيادة من بعد النبي فكريا واجتماعيا وسياسيا على السواء ، ولم يكن بالامكان ان يفصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في اطروحة التشيع تبعا لعدم انفصال احدهما عن الاخر في الاسلام نفسه) 15

وهناك من لم يميز بين الاتجاه الروحي والسياسي في التشيع بقوله ((انما طبيعة الادوار تقتضي ان يكون لكل مرحلة جانب مميز ، وان من قسم التشيع الى روحي وسياسي انما هو تقسيم اعتباري لتمييز مرحلة دون اخرى وليس هو تقسيما حقيقيا في الواقع)) 16

فالايمان بالامام علي (عليه السلام) خليفة بالنص لا يعد ايمانا روحيا او سياسيا متكرسا في صفوف التشيع لوحده دون بقية المسلمين ، وربما امن الغالبية من المسلمين ايمان روحيا بحتا بالامام علي (عليه السلام) باعتباره اول المسلمين اسلاما واكثرهم تقوا وزهدا واقربهم الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج سيدة نساء العالمين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكنهم لم يكترثوا به قائدا سياسيا جديرا بالخلافة دون منزع . لذلك اولوا النص وارجعوه الى مسلك روحي ، لكنهم رجعوا للامام علي (عليه السلام) لينصبوه قائدا بعد مقتل عثمان ، وسياسيا بعد الخلفاء الثلاثة دون بدليته عنهم ، لكن الوهج الروحي لدى المسلمين عندئذ قد خف اثره بتقادم سني خلافة ابي ابكر وعمر وعثمان وما تخللها من تجاوزات .

وصنف التشيع عند بعض القائلين الى ثلاثة اقسام ، عقيدي وسياسي وعاطفي وجداني ، دون تقييد بمرحلة تميز الشيعة بدور دون آخر ، فالاستاذ مصطفى الشكعة يقسم الاراء في التشيع الى ثلاثة ، (ان الشيعة يرون ان التشيع عقيدة دينية خالصة ، وهناك آخرون من المسلمين يرون ان التشيع فكرة سياسية خالصة ، وهناك من يرى ان التشيع وجداني عاطفي خالص ... فالذين يذهبون الى انه عقيدة دينية فحجتهم الحديث الشريف حين ينصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع في غدير خم ... بالاضافة الى احاديث اخرى مثل قوله (انا مدينة العلم وعلي بابها) وقوله (علي مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي) ، وقوله (لايحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) ... وعلى ذلك تكون امامة علي (عليه السلام) للمسلمين في نظر الشيعة امامة يفرضها الدين وتحتمها العقيدة ... اما الذين يذهبون الى ان التشيع مجرد فكرة سياسية فحججهم كثيرة ... ان الشيعة لم يتمسكوا بعلي اماما ومرجعا في امور الدين والدنيا لقرابته من الرسول وانما لتنصيبه او ترشيحه من قبل الله والرسول اذ لم يرد مثل هذا الادعاء في اي من كتب الشيعة ... والذين بايعوا عليا بامارة المسلمين لم يبايعوه لانه رمز ديني او لانه وصي النبي ، بل لانهم راوا انه احق المسلمين بولاية امر المسلمين تماما كما رأى المسلمون السابقون احقية ابي بكر بالخلافة فانتخبوه ومن بعده عمر ثم عثمان ... والذين يرون ان التشيع فكرة وجدانية عاطفية ليس لها علاقة بالعقيدة الدينية وما واكب ذلك من اشتراعات دينية محددة يقولون ان آل بيت الرسول ينبغي حبهم وتكريمهم والتعلق بهم لانهم اهله وعترته واحبائه ، فمن من المسلمين لا يحب فاطمة والحسن والحسين زينة شباب اهل الجنة ... ان المحن التي حلت بأل البيت قد جعلت كثيرا من المسلمين يتشيعون لهم ويتعصبون ، تشيع عاطفة ، وتعصب حب ، لا تشيع عقيدة دينية ترتكز على اصول عقائدية معينة)17

لم يكن التشيع يوما مجزءا ، والا لفقد اهم هدف اقيم من اجله ، فقد نشأ ليكون اطروحة لنظام سياسي روحي غير منفصل عن مسؤولية تسلم قيادة المسلمين بعد وفاة الرسول ، ذلك ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصرح بطبيعة النظام السياسي الذي يتوجب ان يخلفه في كونه شورى او بطريقية التعين التي مارسها الخلفاء من بعده ، لكنه (عليه السلام) صرح مرارا وفي مناسبات مختلفة ان الدولة من بعده هي استمرار لدولته وان يقودها من هو بمنزلة نفسه . فالبناء الفكري والسياسي لم يكن متكاملا الا عند الصفوة الخيرة التي اطلق على رموزها بشيعة علي (عليه السلام) بينما غالبية المسلمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لازالوا حديثي العهد بالاسلام ، وان عقدين من الزمن لاتكفي لان يعمر الاسلام هذه القلوب . وقد اثبتت الوقائع التاريخية صحة نبوءة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الفرقة بين المسلمين . فالانقلاب على الاعقاب كان سياسيا حتى اتى على ما تبقى من التزام روحي .

ربما كانت المغالطات او التباينات حول هوية التشيع ناشئة من تقييم الاحداث التاريخية كلها تقييما سياسيا فقط دون الاخذ بعين الاعتبار المجريات العقيدية والفكرية ، ويعتقد البعض ان اي تكتل او تجمع صحابي في اطار وحدة المسلمين في امة واحدة وان كان مقربا من الرسول فهو في جميع الاحوال تحزبا ، والتحزب لا يكون منشأه الا سياسيا . فالخطأ يكمن في تقييم الوقائع التاريخية بمنظار سياسي حديث ، وهو الامر الذي تسبب في الكثير من المغالطات .

وينفي د. طه حسين وجود تشيع سياسي على عهد الامام علي (عليه السلام) ويقول : (لم يكن لعلي قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون من غيرهم من الامة ... حتى كانت موقعة صفين ، وحتى افتتح معاوية مصر وحتى جعل معاوية يغير على اطراف العراق والحجاز واليمن ، وقد قتل علي وليس له حزب منظم ولاشيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوي)18

لكن الدكتور طه حسين نفسه يرى في المجلد الثاني من كتابه (الفتنة الكبرى) ان التشيع نشأ في الكوفة على يد سليمان بن صرد الخزاعي ردا على اللعبة السياسية التي انتهجها معاوية في علاقته مع الامام الحسن (عليه السلام) وقال: ان فرقة الشيعة ((انما نشأت وتكررت واصبحت حزبا سياسيا منظما لعلي وبنيه بعد ان وقع الصلح بين الحسن ومعاوية ، وبعد ان نكث هذا العهد ولم يف بما اشترطه على نفسه ، تألف وفد من اشراف الكوفة برئأسة سليمان بن صرد الخزاعي ، وذهبوا الى المدينة للقاء الحسن ، وطلبوا اليه ان يعيد الحرب ، وان يأذن لهم في ان يسبقوا الى الكوفة فيعلنوا خلع معاوية ، ويخرجوا منها عامله ، فأمرهم الحسن بالكف والانتظار الى حين ، وبهذا الوفد تكونت اول بذرة لفرقة الشيعة ، وكان برنامج الحزب في اول انشائه طاعة الامام من بني علي ، والانتظار في سلم ودعة حتى يؤمروا بالحرب فيثيروها ، ومضى رجال الشيعة يسجلون على معاوية وولاته ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل)19

بينما يرجع د. كامل مصطفى الشيبي التشيع السياسي الحزبي الى حركة التوابين التي تزعمها سليمان بن صرد ، ولكن بعد مقتل الامام الحسين (عليه السلام) وليس خلال عهد الامام الحسن (عليه السلام) كما يذهب الى ذلك د.طه حسين . اذ يقول : (لما قتل الحسين اتخذ هذا التعبير (الشيعة) صورته الاصطلاحية للدلالة على الانتماء الى الحزب الذي يوالي عليا وبنيه ويعادي الامويين . ومن هنا اطلق لفظ شيعة على انصار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلويين من التوابين الذين كانوا يعدون انفسهم للثورة على الامويين انتقاما لقتل الحسين 20(

ويذهب الشيخ محمد ابو زهرة في كتابه (المذاهب الاسلامية /51) ان (الشيعة اقدم المذاهب السياسية الاسلامية ، وقد ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان ، ونما وترعرع في خلافة علي ، اذ كلما اختلط بالناس ازدادوا اعجابا بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه) . وقال آخر : ان مذهب التشيع ظهر يوم الجمل ، وقال ثالث ، بل يوم ظهور الخوارج)21

ويؤيد ذلك الاستاذ مصطفى الشكعة : (فعندما مات عثمان ، انقسم المسلمون الى حزبين ، الحزب الاكبر وقد سمي شيعة علي ، والحزب الاقل وقد سمي شيعة معاوية ، ثم ما لبث اللفظ بمرور الايام ان اتخذ معنا محددا ، وهو انصار علي بن ابي طالب وابناءه واحفاده من بعده)22

لم يكن التشيع ولادة سياسية اقيمت نتيجة لحدث سياسي عرفه تاريخ المسلمين ، انما كان منشاه ديني خالص، لكن الاحداث السياسية التي طرأت بشكل مفاجئ خلال مجريات السقيفة صنفت التشيع كاتجاه منفصل عن اجماع الاغلبية التي مثلت اتجاه الخلافة . كما ان التشيع ليس حزبا سياسيا نشأ في مقابل الاحزاب الاخرى كالحزب الاموي وغيره ، بل هو مجموعة من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عرفوا بتشيعهم للامام علي (عليه السلام) واتبعوه في ساعات اليسر والعسرة ، ويوم تفرق المسلمون عنه خضوعا عند ثارات العرب التي تاججت في بدر واحد والخندق التي شهدت مصرع صناديد قريش وغيرهم .

فالشيخ محمد جواد مغنية يقول : (قال الذين اتبعوا الظن ، ويقيسون الغائب على الشاهد : ان السبب الاول للتشيع سياسي محض لايمت الى الدين بسبب ، وهذا خطأ ، فان التشيع ديني صرف ، ولا صلة له بالسياسة من قريب او من بعيد انه فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله . اما فعل الرسول فقد اختار النبي عليا اخا ونجيا ، وقام بتربيته وتنشئته منذ عهده بالحياة ، واهتم بتعليمه وتهذيبه ، حتى اصبح كما يشاء الرسول ، لم يؤاخذه او يعاتبه على شيء في حياته كلها . وقد اعتمد عليه النبي في المهمات و(في) ساعة العسرة . اما القول فقد نص النبي عليه بمناسبات شتى)23

ان الذي ميز التشيع عن غيره من الاتجاهات الاخرى هو الحدث السياسي الكبير الذي جرى في سقيفة بني ساعدة ، واستدعاه لان يتخذ موقفا جريئا لتصحيح المسار الى حيث امر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولذلك اختلطت الامور في تحديد هوية التشيع ، فهناك من ذهب الى ان التشيع نشأ عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه بدأ سياسيا ، ومن قال ان التشيع بدأ روحيا فصله الى مرحليتين ، مرحلة ولادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومرحلة صراعه السياسي . بينما كان التشيع في اصل منشئه دينيا صرفا ، وكان موقفه من الخلافة دينيا خالصا دفاعا عن النص وليس موقفا سياسيا ، بدليل اتباع التشيع للامام علي (عليه السلام) في موقفه المعتدل من الخلافة بعد وفاة الزهراء (عليها السلام) وبعد ان القى على المسلمين الحجة وعارض سيرة الخلافة بنظام السقيفة ، ولكن حين تعرض لتهديد القتل وهو زوج بنت النبي ، ووجد ان غالبية المسلمين قد خذلوا النص وكان الاسلام في بداية عهده ، قدم المصلحة العليا لدحر الفتنة وقبرها قبل كل شيء .

(والذين شايعوا عليا (عليه السلام) وتابعوه لم يكن ذلك منهم الا تمسكا بالدين مذعنين بان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نص عليه من دون ان يكون هناك اندفاع حزبي او علاقة شخصية او قبلية بل تسليما لقوله سبحانه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم -الاحزاب36)24

منشأ اتجاه الخلافة

صنف ابن هشام في السيرة النبوية المسلمين الى اتجاهين: (ان الامة العربية انقسمت الى سنيين وشيعيين من يوم السقيفة)25

فتوصيف طائفة من المسلمين باسم اهل السنة من العناوين الطارئة الحديثة التي ظهرت في آخر القرن الاول او في اوليات القرت الثاني ، فانك لا ترى اثرا من هذا الاسم ولا التوصيف به في زبر الاولين الا في رسالة عمر بن عبد العزيز في الرد على القدرية (حين قال : وقد علمتم اهل السنة كانوا يقولون (الاعتصام بالسنة نجاة ، وسينقص العلم نقصا سريعا) .

ان ابن تيمية محيي الدعوة السلفية في القرن الثامن لا يبيح تسمية الاشاعرة باسم اهل السنة فضلا عن المعتزلة والشيعة وغيرهم ولكن في هذه الاحتكار بل في هذه التسمية نكتة لافتة ...

... وقد عرفت ان كتابة الحديث وتدوينه والتحدث به وافشاءه كان من الامور المنكرة وهذا عمر بن الخطاب قال لابي ذر وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء : (ما هذا الحديث الذي تفشون عن محمد ؟ وكان يقول جردوا القران واقلوا الرواية عن رسول الله وامضوا وانا شريككم ... حتى انه بعد ما اصدر الخليفة عمر بن عبد العزيز الامر الاكيد بضرورة تدوين السنة ، كانت رواسب الحظر تحول دون القيام بما امر الخليفة ...)26

برزت معالم اتجاه الخلافة السني منذ ان وقف العديد من كبار الصحابة سدا منيعا امام شيوع الايات الكريمة والاحاديث النبوية المتعلقة بفضائل اهل البيت (عليهم السلام)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى راسهم الامام علي (عليه السلام) . ولم يكن هذا الاتجاه متبلورا في تجمع مميز له رموزه العلنية المعارضة لما كان يرد عن النبي من اقوال وافعال ، بل كانت هناك شخصيات تلتقي في اطماعها السياسية ورغبتها في مكانة متقدمة تعيد لها ما فقدته بين قريش ، وقد التقت هذه الاطماع والرغبات بشكل واضح وصريح حين بدأ الرسول (ص) يتحدث عن مستقبل المسلمين من بعده .

ولسوء الحظ ان الخليفة الثاني عمر قد اقتنع بالمقولة القرشية التي قامت عليها الاحدث السياسية من بعد حتى مقتل الامام الحسين (عليه السلام) . وكان عمر اكبر المروجين لهذه المقولة ، واخطر الساعين لتطبيقها على ارض الواقع . والمقولة : (لاينبغي ان يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) ، (وهو - عمر - يلتقي هنا مع التيار الغلاب الساكن في نفوس قريش والمتأهب للظهور بعد وفاة النبي ، واضفى عليها الفاروق ثوب الشرعية فوصفها بانها الصواب والتوفيق وان الغاية منها الاجحاف الهاشمي على بطون قريش ، وهكذا طور الفاروق هذه النظرية والبسها ثوب الشرعية فشقت طريقها بيسر وسهولة وبلا حرج تختال بثوبها الشرعي مخفية احاسيسها الجاهلية ، لان شعار (لا ينبغي ان يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) شعار جاهلي من كل الوجوه ، تجد جذوره مستقرة وواضحة في الصيغة الجاهلية التي سادت مكة قبل ظهور الاسلام والقائمة اصلا على اقتسام البطون القريشية لمناصب الشرف، ومن جهة اخرى فان الخليفة المقترح من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو علي بالذات نكل ببطون قريش فليس فيها بطن الا وله دم عند علي ، فهو قاتل سادات بني امية في بدر ، وقاتل حنظلة بن ابي سفيان ، وقاتل العاص بن هشام بن المغيرة ... فعصبت قريش دماءها بعلي ووجهت لومها وكراهيتها له مع الاحتفاظ بهويتها الاسلامية وولائها للنبي بالذات)27

وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد هيأ للامور الدينية والسياسية من بعده خلافا لما تطمع اليه قريش وتخطط من اجله ، وما كان له ان يترك امته دون ان يعلمهم بالخطوات المنقذة حاضرا ومستقبلا فشاعت اقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الصدد ، واستبانت امور الخلافة والوصاية . ومن هنا كان تدارك صحابة الاتجاه السني امور مستقبل الخلافة حتى بدؤا التمهيد لموقف سياسي نشط كان منطلقه بادئ الامر خطوة اولى تمثلت في منع كتابة السنة على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتمادي في وضع الاحاديث :

(وقد غلبت الغايات السياسية على الاهداف الدينية وقامت بكل قوة امام حديث النبي ونشره وكتابته ، حتى ان الخليفة ابا بكر احرق في خلافته خمس مائة حديث كتبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولما قام عمر بعده بالخلافة نهى عن كتابة الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

... ثم نهى عن التحدث ، فتركت عدة من الصحابة الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكتب الحديث ولم يدون الا في عهد المنصور عام 143)28

ونقل محمد ابو رية (ان ابا هريرة كان يسوغ كثرة الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله) بانه ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا فانه لاباس من ان يروى . وقد ايد صنيعه هذا باحاديث رفعها الى النبي ، ومنها ما رواه الطبراني في الكبير عن ابي هريرة ان رسول الله قال: (اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا واصبتم المعنى فلا باس) وقال ايضا انه سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : (من حدث حديثا هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وان لم اكن قلته . وروى ذلك ابن عساكر في تاريخه)29

ان الذي منع من تدوين الحديث ونشره ومدارسته بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي منع كتابة الصحيفة يوم الخميس عند احتضار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالغاية بداية ونهاية وقبل رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعدها واحدة لم تتغير) 30

فقد روي الكليني في الكافي ، عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن اليماني عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي : قال : قلت لامير المؤمنين (عليه السلام) : اني سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر شيئاً من تفسير القران ، واحاديث عن نبي الله غير ما في ايدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورايت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، انتم تخالفونها فيها ، وتزعمون ان ذلك كله باطل ، افترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين ويفسرون بآرائهم ؟!..

قال : فأقبل (عليه السلام) فقال : سألت فافهم الجواب : ان في ايدي الناس حقا وباطلا ... وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عهده حتى قام خطيبا فقال : (ايها الناس قد كثرت علي الكذابة ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده .)31

وحيث كان الامام معنيا بالاحاديث في كونها تستعرض شخصيته ومكانته عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكفاءته في الخلافة بعد النص ، وحيث كان الامام نفسه هو اول من الف الاحاديث وكتب فيها ، فقد ارادوا طعنه واسقاط هذه المنقبة ، فاختلقوا حديث منع الكتابة .

ومما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فامسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله ، فاومأ باصبعه الى فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق) ... وقد اشتهر النهي والمنع عن الخليفة عمر بن الخطاب ... وقد كتب عمر الى الامصار على عهد: من كان عنده شيء فليمحه ... وقد جمع ما في ايدي الصحابة من الحديث المكتوب على مدى شهر ، ثم احرقه وقال : مشناة كمشناة اهل الكتاب)32

وذكر الخطيب في (تقييد العلم) عن القاسم بن محمد : ان عمر بن الخطاب بلغه ان في ايدي الناس كتبا ، فاستنكرها وكرهها وقال : ايها الناس انه بلغني انه قد ظهرت في ايديكم كتب فاحبها الله ، اعدلها واقومها ، فلا يبقين احد عنده كتاب الا اتاني به فارى رايي . قال فظنوا انه يريد ينظر فيها ويقومها على امر لايكون فيه اختلاف فاتوه بكتبهم فاحرقها بالنار ثم قال امنية كامنية اهل الكتاب)33

وانتشرت بعض الاحاديث التي تدعي ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه منع كتابة السنة . فقد روى مسلم في صحيحه واحمد في مسنده ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وفي رواية : انهم استأذنوا النبي (صلى الله عليه وآله) ان يكتبوا عنه فلم يأذنهم)34

وفي مسند احمد ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى ان نكتب شيئا من حديثه , وايضا ورد في مسند احمد عن ابي هريرة انه قال : كنا قعودا نكتب ما نسمع من النبي فخرج علينا فقال : ما هذا تكتبون . فقلنا : ما نسمع منك ، فقال : اكتاب غير كتاب الله امحضوا او خلصوه . قال : فجعلنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم احرقناه)35

أحداث السقيفة

كانت وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الفرصة الذهبية الاولى لاتجاه الخلافة لجني ما زرعه خلال عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد منعه كتابة السنة واختلاق الاحاديث .

يقول دوايت م . رونلسون : ((ما اسرع ما بعثت القضية الحيوية فيمن يخلف محمدا روح التحاسد والبغضاء والضغائن القديمة من مرقدها ، واظهرت حقيقة الوحدة الوقتية التي نمت ، وهي لاتزيد على كونها توحيد صفوف امة ما في زمن الحرب) . بينما يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ان وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كشفت ان روح القبلية كانت لا تزال متمكنة في نفوس كثير من المسلمين ، فقد عبرت هذه الروح عن نفسها في اعمال الرجال الذين ظهروا على الصعيد السياسي في المدينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله سلم) بساعات وتحكموا في سير الاحداث التي توالت بسرعة مذهلة)36

لا احد يدري على وجه اليقين من الذي اوحى الى الانصار بفكرة الاجتماع بسقيفة بني ساعدة ولا كيف التم شمل هذا الاجتماع ولا من الذي دعا اليه ؟ ولا احد يدري كيف علم به عمر من دون المهاجرين ، فالثابت ان الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم ابو بكر الصديق وعمر وابو عبيدة والثابت ايضا ان ابا بكر كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي والثابت ايضا ان عمر هو الذي دعا ابا بكر واخبره بحادث اجتماع السقيفة والثابت ايضا ان ابا بكر وعمر وجدا وهما في طريقهما الى السقيفة ابا عبيدة الجراح .

فالفاروق كان يعيش في صميم الاحداث ويتابعها متابعة دقيقة بدقيقة ، وفي داخل السقيفة كان له الدور الاعظم فلو اراد لكان هو الخليفة ، وبعد الخروج من السقيفة ومبايعة الاكثرية الحاضرة لابي بكر الصديق ، هو بنفسه الذي قاد عملية اتمام البيعة ، وهو الذي صاح بالمهاجرين انه قد بايع الصديق وبايعه الانصار وان عليهم ان يقوموا ويبايعوا .. وعثمان والامويون باغلبيتهم هم اول من بايع الصديق، وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا ابا بكر في السقيفة وجهز منهم سرية اخرجت عليا ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق ... وهو نفسه الذي هدد عليا بالقتل ان لم يبابع)37

هنالك اجمع بين مؤرخي اهل السنة بان اول من سمع بخبر الاجتماع هو عمر ، و يقول الطبري: (ان اول من سمع خبر اجتماع الانصار هو عمر .)38

فعمر ابن الخطاب كان زعيم خطة صياغة نظام سياسي يحل بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تستبعد فيه كل تلك الملامح السياسية التي كرستها النخبة المقربة من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي احتلت مركز الريادة في الدعوة الاسلامية ونشرها بدأ من مكة ثم المدينة . لقد كان عمر يطمح في اقامة نظام سياسي قائم على اجتهاد الراي غير مقيد بالتعاليم الاسلامية التي باتت قيدا لما كان يرغب به من تطرف سياسي .

فلم يكن عمر متفاعلا بما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ينهجه من سلوك استيعابي يضع مصلحة الاسلام قبل المصالح السياسية ، وكان بداية الموقف السلبي لعمر بن الخطاب تجاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما بدأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اقامة صلح مع مشركي قريش مثلهم فيه سهيل بن عمرو . فقد روي عن عبد الله بن عباس عن سنده : قال عمر : (فاتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقلت : الست برسول الله حقا ، قال : بلى ، قلت : الست على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم تعطي هذه الدنية في ديننا اذا ؟ قال : اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري . قلت : كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به ؟ قال : : بلى . قال : فاخبرتك انك تاتيه العام ؟ . قلت : لا . قال : فانك آتيه وتطوف به . قال : فاتيت ابا بكر فقلت : يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى . قلت : السنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت فلم تعطى هذه الدنيا الدنية في ديننا اذا ؟ قال : : ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصى الله وهو ناصره فاستمسك بعروته ، فوالله انه على الحق ... وزاد الثعلبي في تفسيره عن ذكر سورة الفتح وغيره من الرواة ، ان عمر بن الخطاب قال : ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ) 39

لم يجعل عمر نفسه في واجهة التغيير السياسي الذي طمح فيه ، بل قدم ابا بكر الذي كان مقبولا عند الغالبية من المسلمين ومن المتضررين القرشيين بما فيهم ابو سفيان قائد تحالف الاتجاه القبلي المنكفئ على نفسه بعد هزيمة معركة الخندق التي تصدرها الامام علي من بعد الرسول الاكرم ، لكن ابي سفيان استغل هذا التحالف في ركوب موجة الخلفاء حيث كان لابنائه دور بارز في الخلافة حتى مجئ الامام علي (عليه السلام) اليها .

واما الفرصة الذهبية الثانية هي الظروف النفسية التي غلبت الانصار . فقد كانوا يعيشون عزلة بعدما اخذت الراية من سعد بن عبادة يوم فتح مكة حيث كان يردد (اليوم يوم الملحمة اليوم اذل الله قريشا) فقد استثار هذا الترديد المهاجرين . الامر الذي دعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اخذ الراية من سعد بن عبادة على ان تعطى الى سعد بن ابي وقاص وهو قرشي من المهاجرين ، يضاف الى ذلك المخاوف التي اجتاحت الانصار بعد غزوة الطائف حيث لم يكن للانصار غنائم فيها . هذه الامور نمت في الانصار هاجس المستقبل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاهم للتنادي للاجتماع في سقيفة بني ساعدة ربما لتداول امر الخلافة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي انشغل بغسله وتكفينه الامام علي (عليه السلام) والعباس وابناه الفضل وقثم واسامة بن زيد وصالح مولى الرسول واوس بن خول الانصاري .

وكان هذا الاجتماع الذي سادته المخاوف والتردد بين عدد من المهاجرين والكثرة من الانصار فرصة استغلال كبرى لعمر وابي بكر الذين مثلوا اتجاه الخلافة فيما بعد .

فلقاء جماعة من الانصار مع سعد بن عبادة هو لقاء عادي من كل الوجوه ، وليس له اي طابع سياسي وان جرى فيه حديث سياسي ، فما هو الا مجرد تبادل بوجهات النظر بين اناس اجتمعوا عند مريض . لكن الذي اعطى لقاء هذه الجماعة هذا الطابع السياسي والتاسيسي هو قدوم المهاجرين ، لقد حوله هؤلاء المهاجرون الى لقاء سياسي وتاسيسي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اتخذوه اساسا لتنصيب الخليفة من بعد النبي بالصورة التي ارادوها ... ولم تكن غاية المتواجدين من الانصار ان ينصبوا خليفة منهم كما يحلوا للرواة التركيز على ذلك ، لان كل الانصار تعلم ان الخلافة ليست فيهم ومن غير الوارد ان يبدلوا جميعا عهد الله وعهد رسوله والنبي لم يدفن بعد ... وقالت الانصار: لانبايع الا عليا)40

ويكشف الخليفة عمر بن الخطاب عن دوره الحاسم في يوم السقيفة . وبالمقاييس السياسية كان عمر صاحب المبادرة والفصل بها ، مستغلا جميع الظروف والثغرات في مجتمع المسلمين الذي تشكل من انصار ومهاجرين وقبائل لم تخلع عنها ثوبها المتميز بالعصبية .

فعن عمر بن الخطاب يقول حول دوره في السقيفة : (انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ، ان الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، فقلت لابي بكر : انطلق بنا الى اخواننا الانصار . فانطلقنا حتى اتيناهم ، فاذا رجل مزمل ، فقالوا : هذا سعد بن عبادة يوعك . فلما جلسنا قليلا ، تشهد خطيبهم فاثنى على الله ، ثم قال : اما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام ، وانتم معشر المهاجرين رهط .... فاردت ان اتكلم ، فقال ابو بكر : على رسلك . فتكلم هو ، والله ما ترك من كلمة اعجبتني في تزويري الا قال مثلها او افضل ، قال :ما ذكرتم فيه من خير له اهل ، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش ، هم اوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم . فاخذ بيدي وبيد ابي عبيدة ، فلم اكره مما قال غيرها ، فقال قائل من الانصار : انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا امير ومنكم امير يا معشر قريش . فكثر اللغط وارتفعت الاصوات ، حتى فرقت من الاختلاف فقلت : ابسط يدك يا ابا بكر . فبسط يده ، فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعته الانصار ونزونا على سعد بن عبادة - الى قوله - فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه ، تغرة ان يقتلا)41

(... فقام الحباب بن المنذر وقال : يامعشر الانصار املكوا عليكم املاكم فان الناس في فيئكم وفي ظلكم ، ولن يجترئ على خلافكم ، ولاتختلفوا فيفسد رايكم وينتقض عليكم امركم . فان ابى هؤلاء الا ما سمعتم ، فمنا امير ومنهم امير . فقال عمر: هيهات ! لايجتمع اثنان في قرن ... والله لاترتضي العرب ان يؤمروكم وبيها من غيركم ، ولكن العرب لاتمتنع ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم ، وولي امورهم منهم ، ولنا بذلك على من ابى الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ، ونحن اولياؤه وعشيرته الا من مدل بباطل او متجانف لاثم او متورط في هلكة .

فقام الحباب بن المنذر وقال : يا معشر الانصار ، املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ، فان ابوا عليكم ما سالتموهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور ، فانتم والله احق بهذا الامر منهم ، فانه باسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به . .. قال عمر : اذا يقتلك الله . قال : بل اياك يقتل)42

وروى ابو بكر الجوهري : ان عمر كان يومئذ - يعني يوم بويع ابوبكر- محتجزا يهرول بين يدي ابي بكر ويقول : ان الناس قد بايعوا ابا بكر. وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ! بويع ابو بكر . فقال بعضهم لبعض : ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن اولى بمحمد . فقال العباس : فعلوها ورب الكعبة !

وكان عامة المهاجرين وجل الانصار لايشكون ان عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم))
وقال الزبير بن بكار في (الموفقيات /583) : لما بويع ابو بكر واستقر امره ، ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ولام بعضهم بعضا ، وذكروا علي بن ابي طالب وهتفوا باسمه)43

ويقول اليعقوبي في تاريخه (وتخلف عن بيعة ابي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي بن ابي طالب ، منهم العباس بن عبد الطلب والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب وابي بن كعب)44

برز عمر خلال توجيهه لاجتماع الانصار الى شخصية سياسية مؤثرة في مسار الاحداث ، استغلت مقدرتها في حسم الامور السياسية في اسرع وقت تجاوز حتى مبادرة الانصار في عروضهم المتعددة لانهاء امر الخلافة ووضع حد لتوجسهم . لكن الامام علي (عليه السلام) كان اعرف الناس بما كانت تحيكه سياسة بعض دوائر الصحابة ، وبما ستؤول اليه الامور ان هو استمر في موقفه المعارض لاتجاه الخلافة الذي قدر بدهاء عمر على كسب بيعة غالبية مسلمي المدينة . لذلك حرص على وحدة المسلمين وانتهج نهجا مغايرا لما كان يتوقعه اتجاه الخلافة ، فمطالبته بحقه لم تعد المصارحة به الا في مقام الاحتجاج . وكان اتجاه الخلافة مستعدا لقتل الامام (عليه السلام) تحت مبرر الخروج على الاجماع او التمرد عليه ، حيث صرح الامام (عليه السلام) بذلك في شكواه وهو متوجه الى قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله (يابن ام ان القوم استضعفوني وقادوا يقتلوني) .

قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة (وان ابا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي . فبعث اليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار علي ، فابوا ان يخرجوا فدعا بالحطب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال : والذي نفس عمر بيده . لتخرجن او لاحرقنها على من فيها ، فقيل له يا ابا حفص . ان فيها فاطمة ؟ فقال وان ، فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال : حلفت ان لا اخرج ولا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن ، فوقفت فاطمة على بابها ، فقالت : لاعهد لي بقوم حضروا اسوء محضر منكم ، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة بين ايدينا ، وقطعتم امركم بينكم ، لم تستامرونا ، ولم تردوا لنا حقا . فاتى عمر ابا بكر ، فقال له : الا تاخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال ابو بكر لقنفد وهو مولى له : اذهب فادع عليا ، قال فذهب الى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله ، فقال علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله ، فارجع فابلغ الرسالة ، قال : فبكى ابو بكر طويلا . فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال ابو بكر لقنفذ : عد اليه ، فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتبايع ، فجاء قنفذ ، فادى ما امر به ، فرفع علي صوته فقال سبحان الله ؟ لقد ادعى)45

(ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت باعلى صوتها: يا ابت رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة ؟

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع واكبادهم تتقطر . الا ان عمر القوي الذي لايعرف اللين ... بقي ومعه فاخرجوا عليا فمضوا به الى ابي بكر فقالوا : بايع : فقال: وان لم افعل فمه ؟ قالوا اذا والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك .

جرد الامام (عليه السلام) من كل سلطاته ، واتي به الى ابي بكر بالقوة وهو يقول ، انا عبد الله واخو رسول الله ، فقيل له : بايع ابا بكر فقال : انا احق بهذ الامر منكم وانتم اولى بالبيعة لي ، اختم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتاخذونه منا اهل البيت عصبا ؟ الستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الامر لما كان محمد منكم ، فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة وانا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار ، نحن اولى الامر برسول الله حيا او ميتا فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا تبوؤا بالظلم وانتم تعلمون . فقال له عمر : انك لست متروكا حتى تبايع ، فقال له علي : احلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم امره يردده عليك غدا . ثم قال : والله ياعمر لا اقبل قولك ولا ابايعه . فقال ابو عبيدة بن الجراح لعلي : يا ابن عم انك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ارى ابا بكر اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واضطلاعا به فسلم لابي بكر ، فانك ان تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك .. - وبعد نصائح تقدم بها الامام للمهاجرين والانصار قال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك قبل بيعتها لابي بكر ما اختلف عليك اثنان)46

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خرج الامام علي يحمل فاطمة (عليها السلام) على دابة ليلا في مجالس الانصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا عنه ، فيقول علي : افكنت ادع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع ابو الحسن الا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم)47

والقت الزهراء خطبا لها تستصرخ المسلمين بالعودة الى جادة الحق والرجوع الى وصية الرسول في مسالة الخلافة (وكل خطبها كانت تثبيتا لاركان ومبادئ الدين ، وهزت مشاعر المسلمين ، ولم يقم احدا لنصرتها ، فعادت الى المنزل ، وخطبت امير المؤمنين (عليه السلام) بكلمات تهز اعماقه فنهض مسرعا وطلب سيفه ، ولكنه واثناء خروجه اذن المؤذن فقال لها (عليه السلام) انه اذا خرجت فقد لاتسمعين المؤذن بعد اليوم او تصبري ، فقالت : اصبر)48

ويبدو ان اتجاه الخلافة بزعامة عمر وابي بكر كان مستعدا لاسوء من تهديد الامام بقتله لولا الدور الذي لعبته فاطمة الزهراء في اظهار حق علي (ع) . وبعد وفاة فاطمة (عليها السلام) لم يكتف اتجاه الخلافة باخذ البيعة بالقوة من اهل البيت (عليهم السلام) بل اتجه الى عزل الامام (عليه السلام) وشيعته واهل بيته ومنعهم من ممارسة حقوقهم السياسية المتعلقة بالخلافة .

كان الخلاف بين اتجاه الامامة والخلافة فرصة كبرى لاتجاه ثالث كان يميل الى اتجاه الخلافة لكنه يرى في النزاع حول الخلافة فرصة للتنفيس عن الاحقاد ، وملاذ اخير للقضاء على الاسلام ، فقد لعب ابو سفيان وغيره من الطلقاء لعبتهم لاستثارة العصبية القبلية ، وحاول ان يستغل استبعاد علي (عليه السلام) عن الخلافة وذلك بعد انفضاض المجتمعين في السقيفة . فقال للامام علي (اني ارى عجاجة لايطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم ابو بكر من اموركم ؟ اين المستضعفان ؟ اين الاذلان علي والعباس ؟ ما بال هذا الامر في اقل حي من قريش ؟ ثم قال علي : والله ما اردت الا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك) 49.

وادى الدور الذي لعبه المنافقون الى خروج الكثير من ضعاف النفوس عن الاسلام (كان من بينهم مسيلمة بمن معه من بني حنيفة في اليمامة ، وطليحة بن خويلد بمن اجتمع اليه من غطفان واسد وطئ وكنانة ... بعد ان راى علي ذلك وادرك الاخطار التي تلوح في الافق هنا وهناك ، وان اصراره على موقفه يحقق للمنافقين والطلقاء وغيرهم ممن اعلنوا العصيان والتمرد كل ما يصبون اليه ويعملون من اجله في الظلام تراجع عن موقفه وترك الخلافة لادعيائها لان مصلحة الاسلام هي اعز واعلى عنده من كل شئ ...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو القائل : والله لاسالمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن جور الا علي خاصة ، والقائل في حديث يصف به الموقف بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : فما راعني الا انثيال الناس على ابي بكر يبايعونه فامسكت بيدي حتى رايت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق الدين فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة فيه اعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما ينقشع السحاب ... وصرح لابي بكر اسباب مبايعته له : يا ابا بكر لم يمنعنا عن مبايعتك اننا ننافسك على خير ساقه الله اليك ، ولكنا نرى ان هذا الامر هو حقنا وقد استبددتم به علينا وحلتم بيننا وبينه وقد فرضت علي مصلحة الاسلام ان اتغاضى عنه لدرء ما يعترضه من اخطار)50

لم تكتف بطون قريش بالحيلولة بين علي ورئاسة الدولة بل حرمت على اي هاشمي ممارسة اي وظيفة عامة ، فابو بكر لم يستعمل اي هاشمي ، وعمر كذلك . وكانت هذه رغبة عن الكثير من الصحابة القرشيين ، حتى ان عبد الرحمن بن عوف نهج هذا المنهاج خلال تعيين الخليفة من بعد عمر اذ قال لعلي (عليه السلام) : ابايعك على شرط ان لا تجعل احدا من بني هاشم على رقاب الناس، فقال علي عند ذلك (عليه السلام) : مالك ولهذا اذا قطعتها في عنقي فان علي الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان في بني هاشم او غيرهم ، قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط ، قال علي (عليه السلام) والله لا اعطيكه ابدا)51

وقد اكد ذلك عمر ايضا حين توجه الى علي (عليه السلام) خلال اختياره للشورى من بعد اذ قال لعلي : فان وليت هذا الامر فاتق الله يا علي فيه ، ولا تحمل احدا من بني هاشم على رقاب الناس)52

لم يترك اتجاه الخلافة اي مركز للقوى السياسية الا ووظفه لتكريس خلافة ابي بكر واستقرارها . ولما كان الهاشميون مايزالون كتلة واحدة مثلت مركزا سياسيا ودينيا قويا ، سعى اتجاه الخلافة الى شق صفوفهم بكسب بعض رموزهم ، وكان العباس اول المحاورين . فقيل : الراي يا ابا بكر ان تلقوا العباس ، فتجعلوا له في هذه الامر نصيبا - كما كان لابي سفيان - ، يكون له ولعقبه ، وتكون لكما الحجة على علي وبني هاشم ، اذا كان العباس معكم .

قال ابن قتيبة :فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس ، فقال ابو بكر ... فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا ، حتى اختار له الله ما عنده ، فخلى على الناس امرهم ، ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم ، متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم واليا ، ولامورهم راعيا ... وما ازال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ، ويتخذكم لجا ، فتكونون حصنه المنيع ، فاما دخلتم فيما دخل فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العامة ، او دفعتموهم عما مالوا اليه ، وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيبا ، يكون لك ولعقبك من بعدك - وقال عمر مثل ذلك - ثم قال العباس: ... فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت ، وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم ، وان كان هذا الامر انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين ، فاما ما بذلت لنا فان يكن حقا لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض)
53

بعد انتهاء امر الخلافة واستقرار الامر لابي بكر ومبايعة المسلمين له كان لابد من الحفاظ على السلطة السياسية وامنها ضد احتمالات قيام تكتلات سياسية قد تشكل خطورة على مسار الخلافة التي كان ينتظر عمر بن الخطاب نصيبه منها من بعد ابي بكر ، فلم يكن هنالك غير خيار اشغال الساحة الاسلامية بمعارك جانبية تكون امرا واقعا تجمد على اثره اية محاولة للتفرغ لامور الخلافة وتتبع ثغراتها وعثراتها او اعداد العدة لتقويضها . فجاءت حروب القبائل التي اتهمت بالردة ورفض دفع الزكاة وكذلك حرب الفتوح . فانخرطت كافة القوى والاتجاهات السياسية بما فيها التشيع للدفاع عن بلاد المسلمين حتى تحين فرص سياسية اخرى تكون مناسبة لاعادة الحق المسلوب ، على ان هذا الموقف لم يتطور بعد ذلك الى اتساع الشقة بين الاتجاهين الرئيسين في الوسط الاسلامي بل بقي اتباع ابي بكر واتباع علي متحدين عاملين على رفع كلمة الاسلام ، وقد استمر هذا الاتحاد الى خروج الخوارج والى خلافة عثمان ففي خلافته ظهرت بوادر الخلاف عندما تمكن الامويون واشياعهم وحكموا المسلمين .

بعد سنتين واشهر قليلة مرض ابو بكر ، وعندها كانت الكثير من مواقفه السياسية قد اضحت سنة بين المسلمين خصوصا اولئك المعنيين بشؤون الادارة السياسية للدولة ، وكان لهذه السنه بالغ الاثر السلبي على الحركة السياسية لدولة الخلافة . فقبيل وفاته قال ابو بكر :(آسى على ثلاث فعلتهن ، ليتني كنت تركتهن ، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهن ، فاما اللاتي فعلتهن وليتني لم افعلهن ، فليتني تركت بيت علي وان كان اعلن على الحرب ، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد احد الرجلين ابي عبيدة او عمر فكان هو الامير وكنت ان الوزير ،...)54

استخلف ابو بكر عمر من بعده في كتاب جاء فيه (هذا ابو بكر بن ابي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحا عنها، واول عهد بالاخرة داخلا فيها : اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد ان خرج عمر من عند ابي بكر وهو يحمل كتاب تنصيبه خليفة - قال له رجل : ما هذا يا ابا حفص ؟ قال : لا ادري ، ولكني اول من سمع واطاع . قال : لكني والله ادري ما فيه : امرته عام اول، وامرك العام)55

ويبدو ان المسلمين كانوا على علم بما ذهب اليه عمر في صناعة تكتل سياسي يكون حجر عثرة امام التشيع ، فقول الرجل : امرته عام اول وامرك العام هو نضير قول الامام علي (عليه السلام) لعمر اثناء مؤازرته لابي بكر وجعله في الخلافة ، احلب حلبا لك شطره اشدد اليه امره اليوم يردده عليك غدا.

تحولات الصراع بين اتجاهي الخلافة والإمامة

استمر اتجاه السقيفة في تكريس طبيعة النظام السياسي القائم على الراي والاجتهاد في مقابل النص القراني والسني ، حيث اتخذ عمر من بعد موت ابي بكر نظامه السياسي سنة انتهجها ، وشمل ذلك سنة تحكيم الراي في الاستخلاف التي بواسطتها وصل بها ابو بكر الى الخلافة .

وكانت ابرز خطوات عمر في صيانة نظامه السياسي ، ابعاد كافة الاطراف التي يمكن ان تشكل خطرا على ما ذهب اليه من راي وموقف من الاحداث التاريخية التي اعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . فاستبعد الهاشميين وحجر على كبار الصحابة عن ادارة الشؤون العامة (ومن الملاحظ انه لم يكن بين ولاة عمر احد من الانصار الا عمير بن سعد والي حمص ولا من السابقين من المهاجرين ، وانه قد عزل سعد بن ابي وقاص لا لظن فيه ، وانما خشي ان يفتتن الناس به فراى ان يمسك السابقين من المهاجرين والانصار في المدينة ، اذ الخير لهم الا يروا الدنيا ولاتراهم الدنيا وانما يكفيهم ما كان من جهادهم مع رسول الله!) 56

لكن ذلك لم يمنع من اقتراب احدهم لتصفية حساباته مع عمر ، فقد طعن عمر بن الخطاب بسيف ابو لؤلؤة . وحين دنت الوفاة دخل المهاجرون على عمر يستفتونه امر الخلافة من بعده ، فقال : (ان استخلفت فقد استخلف من هو خير مني ، يعنى ابا بكر) 57

لكن عمر ابى الا ان يقيم لونا جديدا من الاستخلاف انطلاقا من اجتهاده ورايه في المرشحين للخلافة من بعده ، فضلا عن تصوراته السياسية في امر خلافة ابي بكر (الفلتة التي وقى الله المسلمين شرها) ، فهو لا يجد ان خلافا او شقاقا قد فشا في فترة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلافته بل يذهب الى انها كانت مستقرة على جميع الصعد . لكن في تعيينه لمجلس الشورى دليل على تعدد القوى السياسية التي غمرتها شدة عمر وتعاطيه القاسي في امور سلطته . وكان اختياره المتعمد لاعضاء المجلس المتناقض في افكاره الدينية ومواقفه السياسية دليلا صارخا على بغية اثارة ما كان كامنا خلال فترة خلافته . وربما كان محاولة لاخراج علي (عليه السلام) عن صمته الذي ابعد شبح الصدام بين اتجاهي الشيعة والسنة ، وصبره على ما هضم من حق في سبيل اقرار الوحدة بين المسلمين .

امر عمر بجمع كل من علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائبا . قال عمر : يا معشر المهاجرين الاولين ، اني نظرت في امر الناس ، فلم اجد فيهم شقاقا ولانفاقا ، فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة ايام . فان جاءكم طلحة الى ذلك ، والا فاعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم . ثم قال : ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما ، وان استقر ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبد الله ، فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فان ابى الثلاثة الاخرون ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا : قل فينا يا امير المؤمنين مقالة نستفلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فان ابى الثلاثة الاخرون ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا : قل فينا يا امير المؤمنين مقالة نستفلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فان ابى الثلاثة الاخرون ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا : قل فينا يا امير المؤمنين مقالة نستفلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فان ابى الثلاثة الاخرون ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا : قل فينا يا امير المؤمنين مقالة نستفلأي الثفلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فان ابى الثلاثة الاخرون ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا : قل فينا يا امير المؤمنين ماحدا من بني امية على رقاب الناس .) 58

وبعد مشاورات طويلة كان الطرف المحرك والفاعل فيها عبد الرحمن بن عوف . باثارات تجاوزت اطار المجلس وحده ، بان خرج الى الناس يدعوهم الى مبايعة عثمان بن عفان ، وبعد ان مهد الطريق له ، رد الى المجلس بشروط حاول ان يمليها على علي (ع) بالالتزام في السلطة بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنة الشيخين وابعاد الهاشميين عن اي دور في هذه السلطة ان هو بويع للخلافة . فما كان من علي (عليه السلام) الا ان رفض ذلك بقوله لعبد الرحمن :

(مالك ولهذا اذا قطعتها في عنقي ؟ فان علي الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة واستعنت بها ، كان في بني هاشم او غيرهم ، فقال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط ، قال علي : والله لا اعطيكه ابدا . فخرج عبد الرحمن الى المسجد ، فجمع الناس وقال : اني نظرت في امر الناس ، فلم ارهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علي سبيلا الى نفسك ، فانه السيف لا غير . ثم اخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا)59

لم يكن عثمان قاهرا بمثل ما كان عليه عمر بن الخطاب من شدة وضيق على انفاس الناس (وان جانبا من الفتن التي وقعت في عهد عثمان كان من المفروض ان تقع في عهدي ابي بكر وعمر كما نرى ولكن هنالك عوامل معينة ساعدت على عدم ظهورها حينذاك منها قوة شخصية عمر والتفاف الكثير ممن كانوا لا يتفقون مع واقع الامام علي (عليه السلام) ويبغضونه حول ابي بكر وعمر . كذلك التدابير التي اتخذت لمواجهة المواقف ومنها منع الصحابة من الخروج من المدينة والقضاء على اية تحركات مهما كان مصدرها بكل حزم وصرامة ، فعلى سبيل المثال موقف عمر من آل البيت عندما هم بحق دار فاطمة اذ قيل له ان فيها فاطمة فقال ... (وان) ، لكننا نرى لين عثمان وضعفه وتسلمه زمام الامور بعد شخصية قوية كعمر بن الخطاب هو الذي اجبره على فسح المجال للصحابة للخروج من المدينة والتي كانت كما نرى بداية نشر الروايات ، واحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والتي تتضمن كذلك روايات عن حق او احقية الامام علي بالخلافة ونشر تفاصيل الاحداث التي وقعت بعد وفاته)60

فلت الامر من يد عثمان ، فطعن في سلطاته بامور كثيرة من بينها :

1- رده مروان ابن الحكم الى المدينة بعد ان طرده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يسمى طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعد ان تشفع الى ابي بكر وعمر ايام خلافتهما فما اجاباه الى ذلك بل نفاه عمر من مقامه باليمن اربعين فرسخا.
2- نفيه لأبي ذر الغفاري الى الربذة .
3- تزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم افريقيا له ، وقد بلغت مائتي الف دينار .
4- ايواؤه عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان رضيعه ، بعد ان اهدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه ، وتولته اياه مصر باعمالها . وكان ابي السرح قد ارتد بعد ايمان ثم كفر ثم كذب على رسول الله.
5- توليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث فيها ما احدث .)61

هذه الامور جعلت من المؤكد ان الخلافة قد دخلت منعطفا جديدا ، تميز بغلبة اتجاه القبيلة وتصرفها في الشؤون السياسية والاقتصادية ، كما ان طلائع الامويين التي كانت تتحين الفرص منذ فتح مكة جعلت من قرابة عثمان فضلا عن ضعف شخصيته معبرا لتحقيق ما لم يكن تحقيقه امويا خلال عهدي الخلفاء ابي بكر وعمر ، حتى اشار بعض المحققين التاريخين ان عهد الدولة الاموية قد بدأ ت مع تولي عثمان الخلافة ، فهذا ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سفيان يؤكد لبنيه (يابني امية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما زلت ارجوها لكم ، ولتصيرن الى صبيانكم وراثة . وفي رواية اخرى (تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار)62 .

وفي الانتفاضات الشيعية لهاشم معروف الحسيني /240 ، عن رواية ابن عساكر ان ابا سفيان كان مكفوف البصر ، فدخل على عثمان وقال : هاهنا احد ؟ فقالوا : لا ، فقال : اللهم اجعل هذا الامر امر جاهلية والملك ملك غاصبيه واجعل اوتاد الارض لبني امية . ومضى الى قبر حمزة في احد يقوده غلامه وحينما وقف عليه ضربه برجله وقال : قم يا ابا عمارة ان الذي تجادلنا عليه اصبح تحت اقادمنا) .

خرج سادة قريش الى الاقاليم المفتوحة فأنشؤا لانفسهم ارستقراطية دينية سداها المال ولحمتها السبق في الاسلام وصحبة الرسول ، واحاط الناس بهذه الشخصيات الغنية ذات الزعامة الدينية فالتفوا حولهم ... مفتونين بما يفيضه عليهم هؤلاء الاغنياء من هبات واعطيات ... وكان من جراء ذلك ان تغير التركيب الاجتماعي للطبقات في عهد عثمان ، بعد ان كان المسلمون سواسية يتفاضلون بالتقوى ، واصبحوا طبقات تستند الى العصبية والثراء ، واول هذه الطبقات ، طبقة كبار رجال قريش التي استأثرت بالخلافة ثم بحق انتخاب الخليفة ، ثم بسواد اهل العراق وبغير سواد العراق من بساتين ، وكان بنو امية اكثر قريش استئثارا بالمراكز والاموال ، ولم ينظروا الى الاسلام على انه دين يتصل بالقلوب والضمائر وانما على انه صفقة خطيرة من الصفقات التي يباشرونها ومغامرة جريئة داخل بلاد العرب وخارجها) 63 .

ربما كانت هذه المستجدات الخطرة باعثا على خروج اتجاه النص والامامة عن موقفه التوفيقي ، فالخلافة بدات تاخذ بعدا خطيرا تجاوز ما افضت اليه سنتي عمر وابي بكر من وضع سلبي على الصعيد السياسي . فانبرى كبار صحابة علي وشيعته ومنهم عمار بن ياسر وابو ذر الغفاري يدعون الى الحذر مما آلت اليه الامور . وكتب بعض العامة كتابا الى عثمان حذروه فيه من مخالفة السنة (وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من تطاوله في البنيان ، حتى عدوا سبع دور بناها في المدينة : دارا لنائلة ، ودارا لعائشة وغيرهما من اهله وبناته ، وبنيان مروان القصور بذي خشب (موضع بالمدينة) وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله والرسوله ، وما كان من افشائه العمل والولايات في اهله وبني عمه من بني اميه احداث وغلمة لاصحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور ، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو امير عليها سكران اربع ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ازيدكم صلاة زدتكم ، وتعطيله اقامة الحد عليه ، وتاخيره ذلك عنه ، وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم علي شيء ولا يستشيرهم ، واستغنى برايه عن رايهم ، وما كان من الحمى الذي حمى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حول المدينة ، وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم لايغزون ولايذبون ، وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط ، وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران)64 .

وتقدم عمار بن ياسر بهذا الخطاب الى عثمان بعد ان فر العامة اصحاب الخطاب من حوله ، فبرر عثمان فعلته باتباعه سنة عمر التي اقرها الناس من قبل ، لكن مروان بن الحكم اشار على عثمان بالتنكيل بعمار ، فضرب حتى فتق بطنه فغشي عليه . فرد عثمان على الناس مخاطبا : (لقد عبتم علي اشياء ونقمتم امورا قد اقررتم لابن الخطاب مثلها ، ولكنه وقمكم (قهركم) وقمعكم ، ولم يجتري احد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه ، اما والله لأنا اكثر من ابن الخطاب عددا) 65

واما ابو ذر الغفاري فاقام انتفاضته ضد ما انفردت به بطانة عثمان من ارستقراطية ونهب للاموال وجمع لها على حساب العامة ، حتى قيل انها احتكرت وتكاثرت على شكل اوزان كبيرة من الذهب ، وكانت انتفاضة ابي ذر الغفاري اول موقف علني لاتجاه التشيع ضد ما آلت اليه الخلافة (ويبدو ان الخلافة قررت وضع حد لحركة الغفاري ، ربما استجابة لنصيحة والي الشام ، حيث انتهى الاخير محكوما عليه بالنفي الحقيقي الى الربذة ومحضورا على الناس الاتصال به وهو في الطريق الى مستقره الاخير . ولم يجرؤ على خرق هذا القرار ، سوى بضعة اشخاص ممن ينتمي الى الاتجاه نفسه ، دون ان يابهوا لتحذير مروان بن الحكم الذي اراد لهذا الصحابي الكبير الخروج من (المدينة) كأي سجين عادي ياخذ طريقه الى المنفى فالموت)66
لقد كان سر قوة عثمان يكمن خارج عاصمة خلافته ، وهو امر فريد لم يدركه الناس ، لذلك لم يجدوا فيه طرفا نظيرا لسلوك السلطة السياسية لدى الشيخين اللذان سبقاه . كان درعه اهله من بني امية حيث سلطهم في مناطق مختلفة . ويبدو ان الناس لم يدركوا ايضا تلك القوة السياسية والعسكرية التي بناها معاوية بن ابي سفيان في الشام حيث كانت العاصمة الحقيقية لخلافة عثمان ، ولتكون ظهيرا لسلطته ولكن بما يراه معاوية مناسبا ، اي ان معاوية كان يمتلك كامل التفويض من الخليفة في معالجة امور المعارضة .

وفي محاولة للتظاهر بالقوة ، وابراز الامكانات السياسية والعسكرية امام حركة الاتجاه الشيعي وغيره ممن فطن الى ما وصلت اليه الخلافة من انحطاط ، قدم معاوية من الشام (فاتى مجلسا فيه علي بن ابي طالب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد ابن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر ، فقال لهم : يا معشر الصحابة ، اوصيكم بشيخي هذا خيرا ، فوالله فان قتل بين ظهرانيكم لأملانها عليكم خيلا ورجالا . ثم اقبل الى عمار بن ياسر فقال : يا عمار ، ان بالشام مئة الف فارس ، كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ياخذ العطاء ، مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم ، لايعرفون عليا ولاقرابته ، ولاعمار ولاسابقته ، ولا الزبير ولاصحابته ، ولاطلحة ولاهجرته ، ولايهابون ابن عوف ولاماله ، ولايتقون سعد ولادعوته ، فاياك ياعمار ان تقعد غدا في فتنة تنجلي ، فيقال : هذا قاتل عثمان)67

. وكان من الامور التي ساهمت في قوة معاوية ان الشام كانت قلعة الامويين منذ فتحها خلال عهد الخليفة ابي بكر وعمر ، ولم يول عليها سوى عبد الرحمن بن ابي سفيان ثم خلفه اخوه معاوية بن ابي سفيان ، فكانت الشام تنظر للاسلام من خلال بني امية .

ظروف نشوء الخوارج وفتنة عثمان

أدرك البيت الأموي ان المتغيرات السياسية في عاصمة الخلافة ، والتحولات باتجاه حسم الامور من قبل الناس بعد تمادي عثمان في تجاهله لارادة التغيير ، وربما كان موقفه من مقتل عثمان ينم عن قصد تحويل مركز الخلافة الى الشام بعد تجيير الاحداث ضد اتجاه التشيع الذي كان المرشح الاوحد بعد فشل اتجاه الخلافة في ضبط الامور السياسية منذ عهد ابي بكر وانحرافها عند ثالث الخلفاء ، لكن الاتجاه الاموي لم يدرك تماما ان وقت التحول من الخلافة الى القبلية كان غير مناسب ، فوجود الاتجاه الشيعي وتنامية واصراره على حفظ مسيرة السنة النبوية في ظل قيادته المتمثلة في علي (عليه السلام) كان مثالا يرجع اليه عامة المتضررين من خلافة عثمان، وهو الامر الذي عزز من الموقف السياسي للاتجاه الشيعي .

فقد جاء وفد من مصر مكون من مائة رجل ، يشكو ما فعله ابن ابي السرح عامل عثمان عليها من ظلم وقهر وقتل ، وتحت ضغوط سياسية مختلفة امر عثمان بتعيين محمد بن ابي بكر احد اتباع علي (عليه السلام) وتنحية عبد الله ابن ابي السرح ، وبينما كان محمد بن ابي بكر في طريقه الى مصر اذ التقى غلاما لعثمان يحمل منه رسالة الى ابن ابي السرح ، وبعد تفتيشه وجدوا معه الرسالة التي نصها : (اذا اتاك محمد بن ابي بكر وفلان وفلان فاقتلهم ، وابطل كتابهم ، وقر على عملك حتى ياتيك رايي) 68

. ولما سمع اهل المدينة بما ذهب اليه عثمان في حق اهل مصر ومحمد بن ابي بكر وجمع من الانصار والمهاجرين ، ضجوا ثم احاطوا قصر عثمان وحاصروه . وانظم اليهم مالك الاشتر بالف رجل من الكوفة . ثم تسور عدد من المحاصرين قصر عثمان وقتلوه . ولما كان الصباح اتى الناس عليا ببيته ، فابى ان يبايعهم (فانصرفوا عنه ، وكلم بعضهم بعضا فقالوا : يمضي قتل عثمان في الافاق والبلاد فيسمعون بقتله ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسمعون انه بويع لاحد بعده ، فيثور كل رجل منهم في ناحية ، فلا نأمن ان يكون في ذلك الفساد فارجعوا الى علي ، فلا تتركوه حتى يبايع)69

لكن علي قال لهم : دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لاتقوم له القلوب ولاتثبت له العقول ، وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت ، واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب) 70

واما الذين باشروا قتل عثمان فهم المصريون الذين رجعوا من البويب وبيدهم الصحيفة التي اخذوها من غلام عثمان وفيها حث على حبسهم وجلدهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم . وقيل ان الذي اخذوا منه الصحيفة هو ابو الاعور السلمي ولما وصلوا المدينة اجتمعوا حول الدار ... وكان عدد المصرين الفا على ما قيل وكان رئيسهم ابن حرب الغافقي العكي وهو الذي تولى القتل وباشره سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبي من المصريين .) 71

لم يكن للامام علي (عليه السلام) علاقة بما جناه عثمان من ثورة المسلمين عليه يضاف الى ذلك تاليب طلحة والزبير وعائشة الناس للانتهاء الى قتله ، وقد حاول الامام بمساعدة ابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام) الدفاع عنه والتوسط لانهاء القتال والحصار . لكن الزبير والاتجاه الاموي الذي كان يدير شؤون القصر وعلى راسهم مروان قد وقف عقبة امام مسعى الامام علي (عليه السلام) الذي (ارسل الماء الى عثمان وعارضه طلحة بكلام شديد وارسل ولديه الحسن والحسين ومولاه قنبرا للدفاع عن عثمان حتى جرح الحسن في سبيل عثمان وانصبغ بالدم وشج راس قنبر في هذا السبيل ... اليس الامام علي هو الذي بذل جهده في اصلاح ذات البين حتى اخذ عهدا من عثمان للمتالبين عليه فرجعوا الى بلادهم معتقدين ان مطاليبهم ستنجز - من جملتها ابعاد مروان عن عثمان . ولكن مروان - لما عز عليه التخلي عن الامرة - راح يعمل لرد قريبه عثمان عن رايه وعهده فتم له ذلك ثم زور كتابا على قريبه وضع فيه ما يقتص به من اولئك الذين طلبوا ابعاده عنه . ولكن التزوير قد ظهر وقبض المصريون على حامل الكتاب المزور . ومالبثوا حتى عادوا الى المدينة وحاصروا الخليفة وقتلوه)72

وربما كان المحرك الرئيس لمختلف الاحداث المضادة لعثمان هو معاوية ، وذلك بغرض اعداد العدة لامرين مهمين :

الاول :ان ضعف عثمان في المدينة لايمكنه وضع حد لتنامي الاتجاه الشيعي والتحول الكبير لدى عامة الناس باتجاه ولاية علي (عليه السلام) بعد ان شاعت في الوسط الاسلامي المجريات الحقيقية لاحداث السقيفة وما تبعها من استخلاف لابي بكر وعمر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خصوصا وان حركة السفر لكبار الصحابة في المدينة قد اخذت موقعها ، فضلا عن ان سنة السقيفة قد خلقت مبررا كبيرا لعدد من الصحابة في ان يرى كل واحد منهم رايه .
الثاني :كان معاوية يطمع في الخلافة ، وان جميع الامور كانت مهيأة له في الشام المستقرة على الولاء له دون منافس ، بينما كانت المدينة تتنازعها شخصيات وتيارات مختلفة . وهناك بعض من الصحابة قد زهدوا في عثمان ولكنهم ايضا يخافون بلوغ علي (عليه السلام) مبلغه من الخلافة ، ومن بينهم عمرو بن العاص .

فعمرو بن العاص قام بالتاليب على عثمان (يقول الطبري في تاريخه ج5 /108 : كان عمر و بن العاص عاملا لعثمان على مصر فعزله . فلما قدم المدينة جعل يطعن على عثمان فقال له عثمان يابن النابغة اقمل جربآن جبتك ؟ فخرج عمرو من عنده وهو محتقد عليه ، ياتي عليا مرة والزبير وطلحة مرة يؤلبهم على عثمان ويعترض الحجاج فيخبرهم بما احدث عثمان ... - وبعد مقتل عثمان - قال : انا ابو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها . اني كنت احرض عليه حتى الراعي في غنمه في راس الجبل) 73

وكان عمرو يهدف من التاليب على عثمان تهيئة الامر لحشر الاطراف الكبرى في معركة مباشرة قد تهيئ فرصا جديدة تسنح له اغتنامها ، فضلا عن محاولة ادخال الامام علي (عليه السلام) طرفا دفاعيا في هذه المعركة . فقد تباكى عمرو بعد ذلك على عثمان واشار على معاوية بنشر قميص عثمان على منبر الشام لاثارة اهل الشام على علي (عليه السلام) . ولذات السبب قال لعائشة : (لوددت انك كنت قد قتلت يوم الجمل . فقالت ولم لا ابا لك ؟ قال كنت تموتين وتدخلين الجنة ، ونجعلك اكبر تشنيع على علي) 74

- ان معاوية وزملاءه كانوا يعلمون ان الذين قتلوا عثمان كانوا اثنين او ثلاثة من اهل مصر وان اثنين منهم قتلا في دار عثمان فورا - كما في ج1 ص168 من شرح النهج - وان الثالث قتل في مصر مع ابن ابي حذيفة قبل وقعة صفين -كما في ج4ص149 من المقريزي . ويعلمون ايضا براءة علي من دم عثمان . ولكن الامرة والملك العضوض وضعف التدين هي وحدها - لا دم عثمان - التي دعتهم وحفزتهم لحرب من كان مع الحق في جميع احواله يدور معه حيث دار)75

ويبدو جليا ان الصراع والتصادم الحاد بين اتجاه التشيع بقيادة علي (عليه السلام) واتجاه الخلافة بقيادة عثمان ، ومعاوية من خلفه والذي اعتبر الخليفة الحقيقي المحرك للاحداث ، لم يكن في مبدئه تصادما مباشرا بل ان محاولات معاوية كانت بشكل التفافي ، جند خلالها اطراف خارجية من عامة الناس التي ربما لم تكن ترغب في دخول الصراع ، ولكنها كانت تجهل فحوى اللعبة السياسية ودهاء معاوية واعوانه ، وكان عثمان القطب الذي يراد له ان تدار عليه رحى حركة الناس وردود افعالها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واما امر علي وشيعته ففي نظر معاوية ان الامر قد اعد له بحيث يقتضي اخراج علي (عليه السلام) عن الساحة السياسية بشكل لارجعة فيه ، وربما بشكل يبعد التصادم المباشر بين الاتجاهين الى الابد ، لان هذا التصادم المباشر ربما تحمد عقباه في نظره ، وقد تفلت ازمة الامور من يد معاوية الذي لم يهدف النجاح في هذه المعركة فحسب ، بل اعد نفسه للخلافة ، وهي الامر الذي تطلب معه حساب الزمن وما خبئته الاقدار . لكن الامور لم تجر لصالح معاوية بالشكل الذي اراد .

فالخلاف ابتدأ قويا وحادا بين الاتجاهين بعد مقتل عثمان (وظهر ذلك الخلاف في فتن كموج البحر . وكانت هذه الفتن الخطوة الاولى لتكوين المذاهب السياسية ...لقد تظافرت الاسباب التي ادت الى مقتل عثمان واكمل بعضها بعضا ، وادت الى فتح باب الفتن في عهد الامام علي وقيام الخلاف المستحكم في السياسة الاسلامية ، ونشأت المذاهب المختلفة في ذلك) 76

واما عن السبب في ذلك - نشوء المذاهب على عهد عثمان - فلم يعد هناك تطابق بين المثل العليا التي كانت تؤمن بها الجماعة وبين واقع حياتها العملية ، وبدأ التساؤل واوجد هذا كله شعورا عاما بالسخط والتذمر ، وان هذا البحث والتساؤل والشعور بعدم الاستقرار هو الذي حمل كل طائفة على ان تكون لها آراء وان تفكر في وضع نظريات ، ثم لاتقف عند هذا الحد بل تنظم نفسها وتتكتل لتسعى الى تحقيق هذه النظريات وتجعلها مطبقة بالفعل في الحياة الواقعة . وهذه احدى الصفات العامة التي تتميز بها الفرق الاسلامية . وهي انها لم تكن مجرد مدارس فكرية تصل الى تكوين آراء ، ثم تكتفي بابدائها او تدوينها , ولكنها كانت (احزابا) بالمعنى السياسي الذي نفهمه اليوم في الميدان السياسي العملي)77 .

التشيع وخطوات هامة نحو الاصلاح .

تسلم الامام علي (عليه السلام) الخلافة وهي مثقلة بمشكلات لا تحصى ، انتهت في عهد عثمان الى سلطان بني امية التي كانت تكن الاحقاد والدسائس الى اهل البيت (عليهم السلام) . فما كان من علي (عليه السلام) الا البدء بخطوات الاصلاح الجذري وارجاع المسلمين الى سابق عهدهم حيث كان العدل النبوي والاخلاق المحمدية . وحاول تجاوز مخلفات العهود السابقة ، لكن الامر لم يكن سهلا ، فعن ابن ابي الحديد يقول الامام (عليه السلام) : (واقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، ولا يحمل هذا الامر الا اهل الصبر والبصر والعلم بواقع الامر ، واني حاملكم على منهج نبيكم)78 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالكثير من المتراكمات السلبية ، خصوصا السياسية منها ، قد غطت بغشاواتها على قلوب وعقول الكثير من الصحابة وعامة الناس ، وسعى بعضهم جاهدين للحصول على الامارة او ما يترتب عليها من اثار مادية ، ودخلوا في لعب سياسية مختلفة على هذا الطريق . الا ان الفترة التي ابقت الامام علي (عليه السلام) خارج الخلافة قدر له خلالها كشف معادن هؤلاء .

وتدلل مجريات هذه الفترة التاريخية ان عليا (عليه السلام) لو لم يكن يدرك هذه الامور او انه علم بها دون اتخاذ اجراءات بديلة وحازمة لكانت البلاد الاسلامية تتضاربها العديد من الفرق السياسية والدينية بعد صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكل صحابي بدأ يدرك ان سنة الشيخين تخوله ان يقيم ما يريد من سلطان وفق ما يراه راجحا من راي .

من هنا ابتدء علي (عليه السلام) الاصلاح بعزل ولاة عثمان قبل كل شيئ ، وعلى راسهم معاوية بن ابي سفيان ، ورفض تعيين الزبير وطلحة في السلطة ، وهما اللذان قالا لعلي بعد بيعته (هل تدري على ما بايعناك يا امير المؤمنين ... بايعناك على انا شريكاك في الامر .. وتقدم ابن عباس بالراي للامام علي (عليه السلام) وقال : ارى انهما احبا الولاية . فول البصرة الزبير ، وول طلحة الكوفة .. فقال علي (عليه السلام) : ويحك ، ان العراقين بهما الرجال والاموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان ، ولو كنت مستعملا احدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام) 78

وكان ابلغ موقف سياسي لعلي (عليه السلام) افتتح به مرحلته في الخلافة هو حسم امر معاوية دون الرضوخ عند بعض الضغوط التي كانت تضع امامها عواقب الشام ان هو اقدم على عزل معاوية ، وكان الامام (عليه السلام) يدرك ان عوامل قتل عثمان لازالت متمثلة في المذهب السياسي لمعاوية ، فبقاء معاوية طرفا نقيضا وقويا على ولاية من ولايات علي (عليه السلام) هو قمة الخطأ المبدئي وليس السياسي فقط . خصوصا اذا ما علمنا ان عليا لا يخاف في الله لومة لائم ، وقد وضع مصلحة الدين فوق كل اعتبار . يقول د. طه حسين :(ليس من شك في ان عليا لم يكن يستطيع ان يستبقي معاوية ، كان دينه يمنعه من ذلك لانه طالما لام عثمان على توليته)79

ثم اتبع الامام (عليه السلام) خطواته السياسية في امر الخلافة اصلاحات اخرى من بينها :
(رد جميع الاموال والكنوز والاراضي التي وزعت بوجه غير مشروع ، واعلن ان التمايز الذي رفع من لايستحق وخفض من لايستحق قد حان الوقت لتصفيته ، ثم ذهب الى التسوية في العطاء) 80

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية اكان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية اكان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية اكان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية اكان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون الاستسلام للواقعية السياسية الناس حكان عكان علي (عليه السلام) اكثر الناس حرصا على الاصلاح دون طب الاكثر اثرا في حركة المسلمين سواء في الشام ذاتها او العراق والجزيرة، كما انه يدرك تماما ما يتطلبه موقفه الحازم من الشام من متاعب يكون لها انعكاسات وامتدادات غير محمودة على الصعيد السياسي .لكنه آثر ان يسلك طريق الحق دون حساب لقلة سالكية .

فبين علي (عليه السلام) ومعاوية (تصادم بين مبدأين متضادين ، احدهما يحرص على اموال الامة ويريد مصادرة الثروات الضخمة والغاء الاقطاع والتسوية في العطاء ، والاخر يريد ان يقسم اموال الامة كما يشتهي السلطان وما تقتضيه مصلحتة الخاصة) 81

ادرك الامام علي(عليه السلام) ان تصادمه المباشر مع قوى الشام فيه اكبر عبر في انهاء اخطر سنة اراد معاوية ان يستنها ، وكان عدد من الصحابة قد سبقوه بها بعد ميراث السقيفة ، فالمكر والدهاء السياسي في سبيل الوصول الى مراكز القوى في امة محمد التي لازلت فتية ، كان الاخطر على الفترة الزمنية القصيرة من عمر الاسلام في الجزيرة العربية والبلاد المجاورة . وربما اصرار الامام علي (عليه السلام) على عزل معاوية بمجرد اعلان بيعته هو تعبير عن نفاذ صبر الامام علي (عليه السلام) في استمرار بقاء هذه السنة التي عانى منها المسلمون . وعلي (عليه السلام) القائل في ذلك : (والله ما معاوية بادهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس)، وقال (عليه السلام) (لولا التقى لكنت ادهى العرب)82 .

اراد الامام علي (عليه السلام) ان يقيم خلافته على سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون غيره ، لكن المسلمين الذين سايروا اتجاه الخلافة وهضموا اتجاه النص والامامة حقه ، لم يكن الامرعليهم يسيرا ، لذلك التقت القوى التي تكالبت على علي (عليه السلام) فترة تعين الخليفة الاول ، وتكتلت باتجاهين سياسيين متفقين في الشعار العام المستجد والمختلق القائل بوقوع دم عثمان على علي (عليه السلام) ، ومختلفين في منطلق العداء والحرب . فعائشة من جهتها حاولت تسوية حساباتها مع علي (عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام) بجمع المتضررين من اصلاحات خلافته ، فتبعها طلحة والزبير والكثير من الامويين ، فقامت معركة الجمل التي اعتبرت اول معركة بين المسلمين ، وانتهت بنصر حققه جيش علي (عليه السلام) . واما معاوية في الشام فقد اعد جيشه لقتال علي (عليه السلام) . ومثلت هذه المعركة قمة الصراع وتسوية الحسابات بين التشيع الذي قدر على تعبئة العامة من الناس ، واتجاه الخلافة ومخلفاتها الذي قدر على تحشيد اهل الشام .

وخطب الامام علي (عليه السلام) في جيشه خطبة كان بها اعرف الناس بما يجول في جيشه من اهل العراق والبصرة واليمن حين قال : (وقد دخل في هذا العسكر طمع معاوية ، فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها ...وايم الله لودت رجال مع معاوية انهم معي ، فباعوا الدنيا بالاخرة ، ولودت رجال معي انهم مع معاوية ، فباعوا الاخرة بالدنيا) 83

وكان من العوامل التي جعلت من معاوية قادرا على النفوذ الى اصحاب علي (عليه السلام) وجود اغلبية كبيرة بين اصحاب علي يشتركون مع الامويين في صحة اجتماع السقيفة وما تمخض عنه من خلافة لابي بكر ثم ما اعقبه من امر تعيين عمر ، يضاف الى ذلك ايمانهم ببعض الاحاديث الموضوعة التي وردت بحق عائشة ومعاوية ، لكن العامل الاكبر الذي طبع اثره على جيش علي (عليه السلام) هو تبني معاوية لاتجاه الخلافة المناهض لاتجاه الامامة ، وراح يحميه ويرعاه ويدعمه باموال الشام وما كدسته قوى الامويين خلال عهد عثمان .

لم يكن من شيعة علي (عليه السلام) حين خرج من المدينة باتجاه العراق ذي العمق البشري الا مائة صحابي تقريبا ، مثل بعضهم رموزا للتشيع ، لكن بعض المؤرخين اتجهوا الى اطلاق صفة التشيع على كافة اتباعه بعد ان اختير خليفة ، وفيهم الاشعث بن قيس صهر ابي بكر الذي كان من رجال معاوية والب اهل الكوفة والقراء (الخوارج) - الذي كان على صلة بهم - على علي (عليه السلام) خلال رفع المصاحف في صفين ، وساهم بشكل فاعل في فرض تنصيب الاشعري حكما . ويقول مصطفى الشكعة في اسلام بلا مذاهب (عندما مات عثمان ، انقسم المسلمون الى حزبين ، الحزب الاكبر وقد سمي (شيعة) علي ، والحزب الاقل وقد سمي شيعة معاوية . ويقول كامل الشبيبي في الفكر الشيعي : (في ايام علي بدأت عبارة الشيعة التي كانت اصطلاحا يطلق على اعضاء الحزب عموما ، وفي الظهور موازية للعبارات : صحابة وانصار ومهاجرين . ويقول د. طه حسين في الفتنة الكبرى: (فشيعة علي اثناء خلافته هم اصحابه الذين بايعوه واتبعوا رايه ، سواء منهم من قاتل معه ومن لم يقاتل ... ولست اعرف نصا قديما اضاف لفظ الشيعة الى علي قبل وقوع الفتنة) 84

جاء هذا التصنيف للتشيع مسرفا ، فلم يدرك حقيقة نشوئه ولم يغط النصوص الواردة في منشأ التشيع ، كما انه يجانب حقيقة الوقائع التاريخية التي غلبت على فترة عثمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانتهت الى فرض عامة الناس انذاك الولاية لامير المؤمنين علي (عليه السلام) ، فالتشيع دخل قائدا لعامة المسلمين بعد مقتل عثمان ولم يكن عامة الناس متشيعين لعلي (عليه السلام) ، واخذ بهم الى المشاركة في اصلاح ما افسدته الخلافة . فليس من الصحة بمكان ان ينفرد التشيع بنفسه في حربه مع جيوش معاوية في منطقة كالمدينة التي لاتمتلك عمقا استراتيجيا من حيث الامكانات البشرية والمادية لمكافحة العودة العربية الى الجاهلية .

الخوارج اثر سياسي اموي

لجأ معاوية الى عمرو بن العاص بعد ان راي اصحاب علي يستعدون للقتال ، قائلا:(الم تزعم انك ماوقعت في امر قط الا خرجت منه ؟ قال : بلى ، قال : افلا تخرج مما ترى ؟ قال : والله لادعونهم ان شئت الى امر افرق به جمعهم ، ويزداد جمعك اليك اجتماعا ، ان اعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا . قال معاوية : وما ذلك . قال عمرو : تامر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم الى ما فيها ، فو الله لئن قبله لتفترقن عنه جماعة ، ولئن رده ليكفرنه اصحابه)85

لم تات هذه المكيدة مصادفة دون دراسة متانية ومعمقة لطبيعة جيش علي (عليه السلام) الذي لم تمض الا فترة قليلة على تشكيله في ظل ظروف عرفت بتعددية المرجعية السياسية وتنافرها وتضاربها فكرا وعملا ، كما تدلل ايضا على قوة جيش معاوية الذي بني على فترة طويلة من الزمن بناء صلبا بعيدا عن المتناقضات السياسية التي عمت الجزيرة والعراق .

وبعد معارك طاحنة اختلف اهل العراق في جانب جيش علي(عليه السلام) وذلك بسبب اليأس والاحباط الذي عممه عدد من ضعاف النفوس من اعوان معاوية المندسين في جيش علي ، وقال بعضهم : (ان هذه الحرب قد اكلتنا ، واذهبت الرجال ، والراي الموادعة ... فجنحت الى الصلح والمسالمة . فقام علي مخاطبا فقال : ايها الناس ، اني لم ازل على ما احب حتى قدحتكم الحرب ، وقد والله اخذت منكم وتركت ، وهي لعدوكم انهك . وقد كنت بالامس اميرا ، فاصبحت اليوم مأمورا ، وكنت ناهيا فاصبحت منهيا ، فليس لي ان احملكم على ما تكرهون)86

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووقف شيعة علي (عليه السلام) معه في صفين بينما اعترضه اتباعه الجدد من العامة ، فقد ادانوا الاشعث على موقفه المتواطئ مع الشام (فبعد تهديده بالقتل من جانب الاشتر الذي كان من فرسان المعركة وآخر المطاردين لفلول البيزنطيين في شمال الشام ، وكذلك احد ابرز القادة المتحمسين لعلي في صفين انتفض في وجه عروة بن ادية (من زعماء تميم) وكاد ان يفتك به لولا ان هوت ضربة السيف على مؤخرة فرسه ، مما ادى الى تكتل كندة اليمنية حول زعيمها الاشعث، في الوقت الذي فيه اخذت بنو تميم يندرجون في تكتل آخر اكثر تماسكا ، ولكن على حساب هذه الجبهة - جبهة علي- ولنا ان نتصور تاثير هذا الانقسام على وحدة الجبهة العراقية التي ستفقد اثنتين من اكبر القبائل المقاتلة ، بعد اندراجهما في التطرف المتناقض الذي جاء في النهاية لمصلحة الجبهة الشامية ، فبينما تعاطفت الاولى (كندة) مع التحكيم الذي تبنته هذه الجبهة وراهنت عليه ، تمادت الثانية (تميم) في خطها المعارض لهذا المبدأ ، معبرة عنه بالقول الشهير - على الرغم من تعدد دوافعه - (لاحكم الا لله) ومشكلة نواة ما عرف لاحقا بـ(الخوارج) 87

بعد مقتل عمار بن ياسر وهو القائل فيه الرسول (آخر زادك من الدنيا لبن وتقتلك الفئة الباغية) ، حور معاوية هذه المقولة الى القول : انما نحن الفئة الباغية ؟ التي تبغي دم عثمان) ... واستمر القتال العظيم ثلاثة ايام حتى اشرف جيش معاوية على الهلكة ، فرفعوا المصاحف وصاحوا : لاترد كتاب الله با ابا الحسن فانك اولى به منا ، واحق من اخذ به ....يا ابا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلتنا ؟ الله الله البقيا ، كتاب الله بيننا وبينكم ... وقال زعيم اهل اليمن في جيش علي (عليه السلام) الاشعث بن قيس لعلي (عليه السلام) لاترد ما دعاك القوم اليه ، قد انصفك القوم ، والله لئن لم تقبل هذا منهم لاوفاء معك ، ولانرمي معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفا ... وجاء اليه القراء (الخوارج) منهم (زعيمهم)عبد الله بن وهب الراسبي في اناس كثير ، فقالوا لعلي : اتق الله ، فانك قد اعطيت العهد واخذته منا ، لنفنين انفسنا او لنفنين عدونا ، او يفئ الى امر الله ، وانا نراك قد ركبت الى امر فيه الفرقة والمعصية لله ، والذل في الدنيا ، فانهض بنا الى عدونا ، فلنحاكمه الى الله بسيوفنا . حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين ، لاحكومة الناس ...)88

واثر وساطة قام بها ابو الدرداء وابو هريرة لانهاء المعركة ، اشترط معاوية لانهائها تسليم ابرز قادة جيش علي (عليه السلام) وانصاره الذي عدوا من خيرة رجالات التشيع . ويقول احمد صبحي في (نظرية الامامة /44) (ان ابا الدرداء وابا هريرة سعيا في الصلح بين معاوية وعلي وانهما طلبا من علي قتلة عثمان ليدفعا بهم الى معاوية حتى يدخل فيما دخل فيه سائر المسلمين من البيعة لعلي ، فسالهم : اتعرفانهم ؟ قالا نعم ، قال فخذاهما ، فاتيا محمد بن ابي بكر وعمار ابن ياسر والاشتر فقالا انتم قتلة عثمان وقد امرنا باخذكم . فخرج اليهما اكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد شجار بين اصحاب علي (عليه السلام) ، عين ابو موسى الاشعري ممثلا لفريق الامام علي في الحوار مع ممثل معاوية عمرو بن العاص الذي اغوى الاشعري بحديث حول مقتل عثمان وعرض عليه خلع علي ومعاوية وتعيين عبد الله بن عمر خليفة . وفي خطاب عام اعلن ابو موسى خلع الامام علي بينما اعلن ابن العاص تثبيت معاوية . ثم تنابز الطرفان بالقاب وشتائم ولعنات ، فاختلط الامر بشكل جلي بين جنود علي (عليه السلام) ، وقال بعضهم بتقديم القران على الرجال ، وان الحكم الا لله . فقال علي : (اما اني قد اخبرتكم ان هذا يكون بالامس ، وجهدت ان تبعثوا غير ابي موسى ، فابيتم علي ، ولاسبيل الى حرب القوم حتى تنقضي المدة)89 .

أتهت معركة الحكمين الى نشوء تيار الخوارج المحتج على تعيين الحكمين من الناس في امر دين الله ، فكفرت هذه الفرقة عليا واصحابه . وكانت الظاهرة الاولى لبروز الخوارج رجل يدعى يزيد بن عاصم المحاربي ، حيث استنفر وهم بسيفه يقتل بين اصحاب علي ، ثم صوب سيفة تارة اخرى على اصحاب معاوية واصاب بعضهم ، ثم اعلن براءته من كلا الاتجاهين ، حتى (استقرت فكرة الخروج في اذهان جماعة من اهل الكوفة ، ولم يتمكنوا من تنفيذها الا بعد رجوعهم من صفين ، وبعد الفشل الذي انتهى اليه المؤتمرون ، وبلغ عدد الذين انفصلوا عن جيش علي (عليه السلام) اثني عشر الف جندي ممن كانوا معه في صفين ، والتجأوا الى قرية قرب الكوفة تسمى حروراء فغلب عليهم اسم (الحرورية) وتولى قيادتهم عبد الله بن الكواء وشبث بن ربعي ... ورجع ابن الكواء عن فكرته والتحق بالكوفة مع الف رجل منهم واستمر الباقون على فكرتهم) 90

ربما كان اول تناقض واضح بين الخوارج ، ارجاعهم الحكم لله دون حكم الرجال ، لكنهم ما لبثوا ان تجمعوا والتقى بعضهم البعض في بيت اول زعيم معلن لهم هو عبد الله الراسبي الذي قاد اول فريق معارض (لحكومة الناس دون حكم الله) في صفين ، ونادى بعضهم باهمية القائد العماد والسند والراية ، ثم توافدوا الى النهروان . (فخطب الامام علي (عليه السلام) يقول فيهم : اما بعد ، فان معصية العالم الناصح تورث الحسرة ، وتعقب الندامة ، وقد كنت امرتكم في هذين الرجلين ، وفي هذه الحكومة بامري ، فابيتم الا ما اردتم ، فاحييا ما امات القران ، واماتا ما احيا القران ، واتبع كل واحد هواه ، لحكم بغير حجة ، ولاسنة ظاهرة ، واختلفا في امرهما وحكمهما ، فكلاهما لم يرشد الى الله ، فبرء الله منهما ورسوله وصالحو المؤمنين ، فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير ... فقيل له : ياامير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة ؟)91

ويظهر من خلال سلوك الخوارج خلال مسيرهم الى المعركة انهم لايشذون عن ابي موسى الاشعري في كونهم من السذاجة بمكان بحيث لم يميزوا بين موقفهم السياسي من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

احداث صفين وما كانوا يمتلكونه من فن في القراءه ، فهم القراء كما وصفوا ، ولكنهم من اولئك الذي احترفوا قراءة القران كتقليد حميد بين مجتمعهم ، ويبدو انهم كما وصف عمرو بن العاص الاشعري بانه كالحمار يحمل اسفارا . فقد (سار الخوارج فاذا هم برجل يسوق امراته على حمار له ، فعبروا اليه الفرات ، فقالوا له : من انت ؟ قال : انا رجل مؤمن ، فقالا : فما تقول في علي بن ابي طالب ؟ قال : اقول انه امير المؤمنين ، واول المسلمين ايمانا بالله ورسوله . قالا : فما اسمك ؟ قال : انا عبد الله بن خباب بن الارت، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقالوا له : افزعناك ؟ قال : نعم ، قالوا : لاروع عليك ، حدثنا عن ابيك بحديث سمعه من رسول الله ، لعل الله ان ينفعنا به ، قال : نعم ، حدثني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ستكون فتنة بعدي ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمنا ، ويصبح كافرا : فقالوا : لهذا الحديث سألناك ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها احدا . فاخذوه وكتفوه ، ثم اقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم (قاربت الولادة) حتى نزلوا تحت نخل ، فسقطت رطبة منها ، فاخذها بعضهم فقذفها في فيه ، فقال له احدهم بغير حل ، او بغير ثمن اكلتها ، فالقاها من فيه ، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لاهل الذمة ، فقتله ، قال له بعض اصحابه : ان هذا من الفساد في الارض ، فلقي الرجل صاحب الخنزير فارضاه من خنزيره ، فلما راى منهم عبد الله بن خباب ذلك ، قال : لئن كنتم صادقين فيما ارى ، ما علي منكم باس ، ووالله ما احدثت حدثا في الاسلام ، واني لمؤمن ، وقد امنتموني ، وقلتم لاروع عليك . فجاؤا به وبامراته ، فاضجعوه على شفير النهر ، على ذلك الخنزير ، فذبحوه فسال دمه في الماء ، ثم اقبلوا الى امراته ، فقالت : انما انا امراة ، اما تتقون الله ؟ فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة ، فيهم ام سنان قد صحبت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فبلغ عليا خبرهم ، فبعث اليهم الحارث بن مرة ، لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ، ويكتب اليهم بالامر ، فلما انتهى ليسألهم ، خرجوا اليه فقتلوه ، فقال الناس : يا امر المؤمنين ، تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفوننا في عيالنا واموالنا ، سر بنا اليهم ، فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من اهل الشام)92

عند لقائه بالخوارج في النهروان قال علي (عليه السلام) : ايتها العصابة ، اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا ، وانتم صرعى بازاء هذا النهر ، بغير برهان ، ولا سنة ، الم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة ، واخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة ، وانباتكم ان القوم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن ، واني اعرف بهم منكم ، قد عرفتهم اطفالا ، وعرفتهم رجالا ، فهم شر رجال ، وشر اطفال ، وهم اهل المكر والغدر ، وانكم ان فارقتموني ورايي ، جانبتم الخير والحزم ، فعصيتموني واكرهتموني ، حتى حكمت ، فلما فعلت شرطت واستوثقت ، اخذت على الحكمين ان يحييا ما احيا القران ، وان يميتا ما امات القران ، فاختلفا ، وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبذا امرهم ، ونحن على امرنا الاول ، فما نبؤكم ومن اين اتيتم ؟ قالوا : انا اذ حكمنا الرجلين اخطأنا بذلك ، وكنا كافرين ، وقد تبنا من ذلك ... فقال علي (عليه السلام) : ويحكم بم استحللتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أأن اختار الناس رجلين ، فقالوا لهما : انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكانه . احل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم ـ تضربون بها هامات الناس ، وتسفكون دمائهم ؟! ان هذا لهو الخسران المبين) 93

ثم اشتدت الحرب وانتهت بنصر علي (ع) حتى قيل انه لم يبق من الخوارج الا تسعة فروا من المعركة ، لكن بقاياهم ممن لم يشتركوا في القتال اتجهوا لاعداد العدة لمعركة اخرى (ففي الكامل لابن الاثير انه اجتمع على الخريت ابن راشد ـ احد زعماء الخوارج ـ علوج من الاهواز انضم اليهم اللصوص والموالي وبعض النصارى وجماعة من العرب فكسروا الخراج واخرجوا عامل علي (عليه السلام) في تلك البلاد ، ويعلل بعض المستشرقين تحمس الموالي لفكرة الخوارج ، بانهم نادوا بمساواة العرب والموالي في جميع الحقوق حتى تولي الخلافة .. وحاولوا اغراء الموالي وبعض المسيحيين المقيمين في البلاد التي خضعت للاسلام بسقوط الجزية عن المسيحيين وجواز استخلاف غير العربي على المسلمين) 94

تعاقد الخوارج الثلاثة ، عبد الرحمن بن ملجم المرادي والحجاج بن عبد الله الصريمي وعمر بن بكر ، على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، (فاعتمرو عمرة رجب ، واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم في علي ومعاوية وعمرو ، ثم سار كل منهم في طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم امره ـ وتزوج امرأة يقال لها : قطام بنت علقمة ، وكانت خارجية ، وكان علي قد قتل اخاها في حرب الخوارج . وتزوجها على ان يقتل عليا . فاقام عندها مدة ، فقالت له في بعض الايام وهو مختف : لطالما احببت المكث عند اهلك ، واضربت عن الامر الذي جئت بسببه ، فقال : ان لي وقتا واعدت فيه اصحابي ، ولن اجاوزه ، فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه ، خرج عدو الله ، فقعد لعلي حين خرج علي لصلاة الصبح ، صبيحة نهار الجمعة ، ليلة عشر بقيت من رمضان سنة اربعين ، فلما خرج للصلاة وثب عليه ، وقال : الحكم لله لا لك يا علي ، وضربه على قرنه بالسيف ، فقال علي : فزت ورب الكعبة)95

الفكر السياسي للخوارج

لم يكن الخوارج ظاهرة وليدة ساعة قتال صفين ، بل هم جمع نشأ نتيجة متناقضات الخلافة وما اعقبها من مجريات ، لكن معاوية ومخطط عمرو بن العاص قد جمعهم في تكتل سياسي كفر عليا ، وتميزوا في اول ما تميزوا به (استنكارهم مبدأ الوراثة ، وليس التحكيم الذي انشقوا من اجله الا سببا مناسبا لا علة جوهرية ، واما العلة الجوهرية فانهم رأوا ان عليا اثار الحروب من اجل ارستقراطية بني هاشم وسيادتهم في مقابل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ارستقراطية الامويين فخرجوا على الناس بمبدأ هو ان الامامة عامة تصلح في قريش وغيرهم)96

و(لعل الدافع الانفصالي - للخوارج- تعدى في اسبابه الاحتجاج على التحكيم او الرفض له ، انطلاقا من بضعة مؤشرات يمكن ربطها بذلك التحرك غير العفوي الذي اوقع علي والجبهة العراقية في غاية الحرج . فهؤلاء الذين كانت نواتهم من تميم ، لم ينظروا بعين الرضى كثيرا الى الخلافة ، شأن معظم قبائل الامصار ، ذلك الموقف الذي اخذ يتبلور في الثلاثينات ، مع الشعور بتراجع دورهم وانحسار نفوذهم ، امام (الهجمة) القرشية الواسعة التي اجتاحت الامصار في عهد عثمان . ومن ناحية ثانية ، فان هذا الموقف ربما كان موصولا بحركة الردة التي كانت لتميم ، النازلة حينذاك على امتداد الطريق التجاري قبل الاسلام (مكة-اليمامة-العراق) شان خطير فيها ، حيث تاثر هذا الطريق بالتحولات التي قادت الثقل السياسي والاقتصادي الى (المدينة) ، مما حدى بهذه القبيلة الكبيرة الى القيام بدور بارز في تطورات تلك المرحلة . ولم يكن مصادفة ، قيام القبيلة نفسها بالتمرد على الخلافة مرة اخرى ، في وقت تولاها احد ابرز وجوه الاتجاه الاسلامي ، وذلك عبر المنظور ذاته ، المتعارض مع توجهاتها ونمط سلوكها المتاثر بالبداوة ، فضلا عن مصالحها التي (استهدفتها) قريش ، سواء استملاك الاراضي او في مراكز النفوذ ، الامر الذي سيترك تاثيره على الفكر السياسي الخوارجي ، وبالتحديد النظرية الداعية الى اسقاط قرشية الخلافة حسب تقليد (السقيفة))97

تظهر احداث الخوارج ومبدء نشوئهم ، ان انطلاقتهم كانت بفعل عامل سياسي صرف ، وكانت شعاراتهم ومواقفهم بادئ الامر سياسية خالصة ، واستمروا على هذا المنحى فترة طويلة من الزمن ، حتى ان تنظيمهم وتجمعهم وطبيعة اختيارهم لزعيمهم كانت على اساس سياسي ، لكنهم لم يتجاوزوا سنة ابي بكر وعمر برغم اعتراضهم على انحصار الخلافة في قريش ، فاعلانهم الاول كان ينادي بتكفير علي (عليه السلام) ثم نادوا بتكفير عثمان وطلحة والزبير (بينما لم يذهب احد منهم على اختلاف فرقهم وتباين آرائهم في بعض المسائل الى تكفير ابي بكر وعمر ، والتهجم عليهما ، وقد عللوا تكفيرهم علي (عليه السلام) بامرين :

اولهما : انه حكم في دين الله .
والثاني : انه خلع نفسه من امارة المؤمنين في وثيقة الهدنة التي كتبها بينه وبين معاوية لايقاف القتال . واما عثمان فيعللون كفره بانه قد حابى اقاربه وولاهم على رقاب المؤمنين مع علمه بسوء تصرفاتهم واستخفافهم بالاسلام ومبادئه .. كما اتفقوا على ان خلافة ابي بكر وعمر خلافة شرعية تعبر عن راي الامة ورغبة المجموع ...ادعوا ان الخلافة لاتنحصر في القرشيين ويصلح لها كل مسلم حرا كان او عبدا ... ولم يعترفوا بالاحاديث المروية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)التي تنص على انحصار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلافة في القرشيين ، واعتبروها من وضع القرشيين انفسهم لغرض احتكار السلطة فيما بينهم ... مع ان عمر بن الخطاب هو الذي وضع نواة هذه الفكرة التي نادى بها الخوارج ، ذلك انه في الايام الاخيرة من حياته وهو يستعرض من يصلح للخلافة من بعده قال : لو كان مولى حذيفة حيا ما عدوته ، قال ذلك وفي المسلمين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وغيره من اعيان المسلمين)98

فالخوارج نشؤا كفرقة سياسية برزت في العام 37 هـ لكنها لم تتبدل الى فرقة دينية الا في اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني (لقد تبلورة فكرة الخوارج واتضحت بعض اهدافهم بعد ان مضى على بدء ثورتهم شطر من الزمن ، اما في بداية امرهم فلم تكن لهم اهداف منظمة ، ولم تنبثق حركتهم الثورية الاولى عن الاهداف التي برزت في العصر الاموي ، ولم تذكر المراجع التاريخية شيئا قبل خروجهم على علي (عليه السلام) بعد فشل الحكمين في التوصل الى حل مرض لدى الطرفين ، وليس ببعيد ان تكون فكرة انحصار الخلافة في القرشيين التي كان يؤمن بها القسم الاكبر من المسلمين والتي من شانها ملكيتهم لها يتوارثونها جيلا بعد جيل هذه الفكرة كانت تحز في نفوس الكثيرين من العرب ، ولاسيما وقد وصلت الى غلمان الامويين وفساقهم ، وهؤلاء لم تكن لهم في النفوس تلك القداسة ، وبالاضافة الى ذلك فان قادة الثورة ينتمون الى قبائل عربية لها ماضيها وحاضرها - قبائل تميم وحنيفة وربيعة - ما يدعوهم الى الطموح اليها وانتزاعها من ايدي الامويين ، ولا اقل من التخلص من القرشيين واستعلائهم على الناس ... ويؤيد ذلك انهم على اختلاف فرقهم مجمعون على ان الخلافة ليست حقا للقرشيين وحدهم)99

كان جهلهم بالمبادئ الاسلامية واهتمامهم بالشؤون السياسية المتعلقة بامور الخلافة سببا في تشددهم الديني الساذج . وبعد ان اتسعت حركتهم وغطت مناطق مختلفة ، تبلور فكرهم الديني في الاصول والفروع لكنهم تخطوا بارائهم وافكارهم وفتاويهم الاصول المتبعة في القران والسنة والاساليب التي اتبعها المسلمون في عهدهم . (فقد اتفقوا بجميع فرقهم على تكفير مرتكب الكبيرة من الذنوب ، وان فاعلها يخلد في النار ، ولم ينسب الخلاف لاحد منهم الا النجدات ، اتباع نجدة بن عامر الحنفي ، بينما يرى الازارقة - اتباع نافع الازرق - ان كل كبيرة توجب الكفر ... وان اطفال المشركين يدخلون النار مع آبائهم ، ويذهب العطوية المنتسبون الى عطية بن الاسود الحنفي اتباع عبد الكريم بن عجرد الى ان الاطفال قبل بلوغهم تجب البراءة منهم . ونسب الى العجاردة - اتباع ميمون العجردي - انهم يجيزون نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وبنات بنات الاخوة والاخوات ، ويدعون ان الله لم يحرم البنات وبنات الاخوة والاخوات ، كما يدعون بان سورة يوسف ليست من القرآن ... ومن فرقهم الاباضية - اتباع عبد الله بن اباظ- ولهؤلاء آراء يخالفون غيرهم بها ... ومن فروعهم الحفصية اتباع حفص بن ابي المقدام والشبيبية اتباع شبيب بن يزيد ... وقد ادعى احد الاباضيين وهو يزيد بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انيسه ان الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء يكتب في السماء ، وينزل جملة واحدة ، واضاف ان اهل الكتاب اذا شهدوا لمحمد بالنبوة نتولاهم ويجوز وصفهم بالايمان وان لم يدخلوا دين الاسلام) 10

وكفر الخوارج كل من خالف رايهم من المسلمين ، وحكموا بالسيف في جميع امورهم ، وكانت لهم افعال بشعة في سفك دماء المسلمين وانتهاك حرماتهم ... ويذهب الاباضية المحدثون الى انهم ليسوا من الخوارج ويتبراون من كثير مما ينسب اليهم . لكن مؤرخي الفرق القدامى يدرجونهم في عداد فرق الخوارج)101

وقد اطلق على الخوارج عدة اسماء منها (المارقة للحديث الوارد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) روته عائشة انه يخرج قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) . وقوله لعلي (عليه السلام) ستقاتل بعدي القاسطين والناكثين والمارقين ، ويقال لهم المحكمة لانهم طلبوا التحكيم في صفين والحرورية لتجمعهم بحروراء والخوارج لخروجهم ومخالفتهم عامة المسلمين . واما الخوارج فيسمون انفسهم الشراة واتخذوا شعارهم الاية الاكريمة (ومن يشري نفسه ابتاء مرضاة الله) ... فهم نكثوا على طلبهم التحكيم واقروا على انفسهم بالكفر وغضبوا من الامام لانه لم ينقض العهد الذي عقده مع معاوية وكانوا يذهبون الى ان هذا العهد لاقيمة له لانه مخالف للايمان الذي يجب ان يدين به الانسان وان الدين يفرض على علي نقض هذا العهد فلما لم يفعل وجب جهاده وجهاد من معه لان المسلمين اصبحوا كفرة يجب استعراضهم بالسيف)102

ان الخوارج اكثرهم من القبائل المعادية لمضر، رأوا الخلافة من مضر فنفروا من حكمهم واتجهوا في تفكيرهم نحو الخلافة تحت ظل هذا النفور وذهبوا الى ان تصرفهم بدافع ديني وانه لادافع لهم الا الاخلاص لدينهم ... وهم مع هذا الحقد منكمشون على انفسهم وهم ضد من يقول بالوراثة بالملك او تفويض الخليفة الامر لمن يليه ... فكانوا يلجأون الى المؤامرات لقتل صلحاء المسلمين ولم تكن لهم عقيدة ظاهرة ومبدأ قوي يتمسكون به الا معارضتهم لخلفاء بني امية وشيعتهم ... وهم ليسوا باهل علم وحلم ، فلما رضخ الامام لقبول التحكيم - بعد ان دعوه واشتدوا بطلبه - رجعوا عنه مما يدل على انهم ليس لديهم فكرة مركزة او عقيدة ثابته او مبادئ يدعون الناس الى اعتناقها ... وقد اوصى الامام (عليه السلام) اصحابه بقوله : لاتقاتلوا بعدي الخوارج فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه ... ويقول ابن ابي الحديد ان الامام علي (عليه السلام) قال فيهم: (اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذوها الظالمون فيكم سنة ، وهذه المخاطبة لهم والدعاء عليهم وهذه الاخبار عن مستقبل حالهم قد وقع ذلك ، فان الله تعالى سلط على الخوارج الذل الشامل والسيف القاطع والاثرة من السلطان ومازالت حالهم تضمحل حتى افناهم الله تعالى وافنى جهودهم ... وكانوا يظهرون متفرقين في انحاء مختلفة الا ان اكثرهم في البصرة ، وقد قضى على اكثرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زياد بن ابيه في خلافة معاوية وولده يزيد، وقد تتبع آثارهم فلم يرحم منهم احدا وكان يقتل حتى النساء منهم واستعمل معهم السيف الذي استعملوه مع المسلمين ، وفي خلافة يزيد ظهر نافع بن الازرق بالبصرة فجمع شملهم ... واظهروا معتقدهم ، ومخالفتهم للسنة والشيعة ... ولهم خطة في الحياة لايعاشرون جميع الفرق ولا يختلطون بهم ، فهم في حياتهم في عزلة عن جميع البشر)103

الا ان عبد الله بن اباظ احد زعمائهم سنة 129هـ (استولى على حضرموت واليمن واظهر التقرب من المسلمين بقوله انه لاخلاف بينه وبين المذاهب السنية في الجوهر ... وقد تفرق الخوارج الى فرق كثيرة تكلم عنها مؤرخوا الفرق وهي مندثرة الان عدا الاباظية والصفرية ، فكان كل خارجي على حكومة الامويين يدعي الامامة ويدعوا الخوارج الى اتباعه وكل من خالفه يتبرا منه ، لذلك تشعبت فرقهم وكثر اختلافهم وظهر بينهم التباين ، وقد سجل التاريخ اسماء فرق لهم ظهرت في العراق والجزيرة العربية وفي بلاد فارس ، منها العطوية والفدكية والسليطية والحمزية والخلفية والشعيبية والحازمية واليزيدية . .. لكن هذه الفرق لم تثبت ولم يستمر لها البقاء الا مدة قصيرة ، وكان شعار الخوارج بفرقهم المتعددة الثورة على الحكومة الاموية)104

مراجع ومصادرالفصل الاول :

1- بحوث في الملل والنحل . جعفر السبحاني ج1ص33
2- نفس المصدر السابق عن المستدرك على الصحيحين ج3ص151
3- نفس المصدر السابق ص33
4- المستدرك على الصحيحين ج3ص149. عن بحوث في الملل والنحل
5--الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة . هاشم معروف الحسيني . دار القلم ط1. 1978ص24
6- الشيعة في الميزان . محمد جواد مغنية . 1986. ط6-. ص 430
7- الشيعة والحاكمون .محمد جواد مغنية-ص17
8- بداية الفرق ونهاية الملوك . الشيخ محمد الحكيمي ص65 . دار الفردوس 1990
9- تاريخ الفرق الاسلامية . العلامة الشيخ محمد خليل الزين ص109
10- انظر تاريخ الفرق الاسلامية . العلامة الشيخ محمد خليل الزين ص11- 12
11-الامام الصادق والمذاهب الاربعة . اسد حيدر . ج2 ص32 . مكتبة الصدر 1411هـ
12-نقض الوشيعة . الامام السيد محسن الامين العاملي ص35. ط4 مؤسسة الاعلمي1983
13-نشأة التشيع والشيعة . السيد الصدر ص91 . مركز الغدير للدراسات الاسلامية 1993
14-الشيعة في الميزان . محمد جواد مغنية . 1986. ط6-ص313
15-الاديان والمذاهب . د. ابراهيم العاتي . الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية
16- نفس المصدر السابق
17- الفكر السياسي الشيعي الاصول والمبادئ . د. حسن عباس حسن ص128 . الدار
18-الفتنة الكبرى ج2ص173ز عن الفكر السياسي الشيعي
19- الشيعة في الميزان . محمد جواد مغنية . 1986 .ط6 ص286. دار التيار الجديد ودارالجواد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

20- الفكر السياسي الشيعي . انظر (الفكر الشيعي) . د. كامل الشيبي ص15 .
21- تاريخ الفرق الاسلامية . العلامة محمد الزين ص111. انظرالشيعة والحاكمون .محمد جواد مغنية ص16. دار الجواد 1084
22-الفكر السياسي الشيعي . . حسن حسن ص135 . انظر اسلام بلا مذاهب . مصطفى الشكعة .ص109. نقلا عن الفكر السياسي الشيعي .
23- الشيعة والحاكمون . محمد جواد مغنية ص13
24- بحوث في الملل والنحل ص54
25- تاريخ الفرق الاسلامية . العلامة الشيخ محمد خليل الزين ص110. مؤسسة الاعلمي .ط2 . 1985
26- بحوث في الملل والنحل . ص 343-344
27- نظرية عدالة الصحابة م. احمد حسين يعقوب ط1 . شركة شمس المشرق . 1992
28- الصياغة المنطقية للفكر السياسي الاسلامي . ص203 . انظر محمد تقي الحكيم / الاصول العامة للفقه ص113
29- في الملل والنحل نقلا عن كنز العمال ج10ص237-239 . ومسند احمد ج3ص12-14. مستدرك الحاكم ج1ص102-104
30- عن الصياغة المنطقية للفكر الاسلامي . حسن عباس .ص204 . عن محمود ابو رية . اضواء على السنة المحمدية . ص110 .
31--بحوث في الملل والنحل -ص70
32- اصول الحديث . د. عبد الهادي الفضلي .ص21 ط1 1993. دار المؤرخ العربي
33-نفس المصدر السابق ص39
34- بحوث في الملل والنحل66
35- سنن الدرامي ج1 ص119 . في الملل والنحل . جعفر سبحاني ص65
36-مسند احمد ص12-182. في الملل والنحل . جعفر سبحاني ص65
37-اصول الحديث . د. عبد الهادي الفضلي ص42
38- الصياغة المنطقية للفكر الاسلامي . حسن عباس ص203 . عن اضواء على السنة المحمدية . محمد ابو رية ص119 . ع
39- معالم المدرستين . السيد مرتضى العسكري . م1ط3 1989ص313
40- نفس المصدر السابق ص142 . نقلا عن البخاري ، كتاب العلم . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
41- الصياغة المنطقية للفكر السياسي .عن محمد مهدي شمس الدين . ثورة الحسين (عليه السلام) ط1
ص15.
42- نظرية عدالة الصحابة م. احمد حسين يعقوب ط1 . شركة شمس المشرق . 1992 ص 219 .
43-نفس المصدر السابق ص 309 عن تاريخ الطبري ج3ص219
44-الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف . رضي الدين ابي القسم الحسيني ج1ص441. عن صحيح مسلم
45- نظرية عدالة الصحابة م . احمد حسين يعقوب ط1. 1992 ص 318
46-معالم المدرستين ص146 نقلا عن صحيح البخاري . كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى 120/4

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

47-نفس المصدر السابق ص146. نقلا عن تاريخ الطبري
48- نفس المصدر السابق . ص151 عن الموفقيات للزبير بن بكار ص580- 583
49- نفس المصدر السابق -ص155. عن تاريخ ايعقوبي
50- الامامة والسياسة. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري . ص19 .ج1 . ط1 1985
51- نفس المصدر السابق ص19
52- نفس المصدر السابق ص19-24
53- محاضرة للسيد محمد علي الشهرستاني . من مقررات السنة الثالثة .
54- من دولة عمر الى دلة عبد الملك . ابراهيم بيضون . ص 15 . دار النهضة العربية 1991. عن ابن الاثير ، الكامل ج2 ص326.
55-الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ . هاشم معروف الحسيني .ص25. دار الكتب الشعبية بيروت.
56- الامامة والسياسة . 30
57-نفس المصدر السابق ص29
58-نفس المصدر السابق ص21
59-نفس المصدر السابق ص24
60- نفس المصدر السابق ص25.
61 - نظرية الامامة-ص283.عن طه حسين في الفتنة الكبرى ص46
62- الامامة والسياسة ص28
63-نفس المصدر السابق ص29
64- نفس المصدر السابق ص30
65- الفكر السياسي الشيعي . حسن عباس حسن---ص243
66- الاديان والمذاهب . نقلا عن الشهرستاني الملل والنحل .ص 26
67- حقيقة الشيعة . اسعد القاسم .1991. عن تاريخ الطبري ، المسعودي ، ابن الاثير ، الاستيعاب
68- نظرية الامامة-ص289-291
69- الامامة والسياسية ص 34
70- نفس المصدر السابق ص32
71- من دولة عمر الى دولة عبد الملك ص107. دز ابراهيم بيضون .دار النهضة العربية 1991
72- الامامة والسياسةص33
73 -نفس المصدر السابق ص39
74 -نفس المصدر السابق -ص47
75 - الشيعة في التاريخ . العلامة الشيخ محمد حسين الزين عن نهج البلاغة .
76 -نفس المصدر السابق --ص109
77 -نفس المصدر السابق --ص110
78 - نفس المصدر السابق ص107ط2. مكتبة النجاح الشيخ محمد عبده م1ص109
79 -نفس المصدر السابق --ص143. عن تهذيب الكامل للمبرد ج1 ص 297
80 - الشيعة في التاريخ . العلامة الشيخ محمد حسين الزين --ص143

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

81 - الفكر السياسي الشيعي . حسن عباس حسن ص79. عن تارخ المذاهب الاسلامية . محمد ابو زهرة ص19-31
82 - نفس المصدر السابق -ص80 . عن النظريات السياسية الاسلامية . د. ضياء الدين الريس ص39
83 - الامامة والسياسة ص51
84 - نظرية الامامة--ص284-عن طه حسين في علي وبنوه ص24
85 - الاديان والمذاهب ص14
86 - نظرية الامامة . ص265. عن نهاية العقول . الرازي ص252
87 - الفكر السياسي الشيعي ص263. عن د. على الوردي ، مهزلة العقل البشري ص271
88 - الامامة والسياسة ص101
89 - الفكر السياسي الشيعي . حسن عباس حسن-ص135
90 - الامامة والسياسة ص101
91 - نفس المصدر السابق ص104
92 - من دولة عمر الى دولة عبد الملك --ص131
93 - الامامة والسياسةص108-116
94 - نفس المصدر السابق -ص119
95 - الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة . هاشم معرف الحسيني ص34
96 - الامامة والسياسةص123
97 - الامامة والسياسةص126
98 - نفس المصدر السابق ص127
99 - الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص37
100- الامامة والسياسةص137
101- نظرية الامامة . د.احمد محمد صبحي دار المعارف بمصر ص261
102- من دولة عمر الى دولة عبد الملك -ص133
103- الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص38. عن ابن ابي لحديد م1ص64
104-نفس المصدر السابق ص39

ا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني:

الاضطهاد الأموي والعباسي لاتجاه التشيع

بويع الحسن بن علي (ع) اماما بعد مقتل ابيه الاماما علي (ع) ، لكنه لم يلبث ان قتل (ع) بعد ان اقام صلحا مع معاوية ، وتفرد معاوية بالساحة السياسية الاسلامية ، وبه قامت الدولة الاموية . عندها اقبلت الدنيا على اتجاه الخلافة امام اتجاه الامامة ، فراح يعرضه للتنكيل والاضطهاد والقتل والسب والشتم . واذا ما اردنا ان نصف الوضع والعلاقة السياسية بين الاتجاهين ، فيمكننا ان نصفه بزمن تصفية الحسابات والاحقاد علنا دون ضوابط سياسية او دينية او قبلية . فانتشرت مظاهر العنف ضد الشيعة في كل مكان من حبس وقتل وتشريد .

وبذل المغيرة بن شعبة نصائحه لمعاوية على ان يعدل وان ينصف بني هاشم واتباعهم ، لكنه رد ذلك بقوله : هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل فوالله ما عدا ان هلك وهلك ذكره الا ان يقول قائل ابو بكر ، ثم ملك اخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك وهلك ذكره الا ان يقول قائل : كان عمر بن الخطاب ، ثم ملك اخونا عثمان ولم يكن احد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به ، فوالله ما عدا ان هلكل وهلك ذكره وذكر ما فعل الناس به . وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات : اشهد ان محمدا رسول الله فأي عمل يبقى بعد هذا لا ام لك الا دفنا دفنا)1

كان معاوية يرى في آل البيت (ع) وعلى راسهم نبينا محمد (ص) انهم اصحاب دولة جاءت على طموحات بني عبد الدار التي كانت قد ترسخت بين جدران مكة . فانتهت به الخلافة الى صناعة دولة ملكية تجب ما كان قبلها من اعراف وتشريعات دينية متعلقة بشؤون الخلافة ، ولم يكن ذلك ممكنا الا بتخطي التحديات التي تعترض طريقه . فما كان منه الا محاولة جادة لطمس جميع معالم اتجاه الامامة وعلى راسها معالم دولة الامام علي (ع) . فعرض على اتباعه سب ولعن الامام علي (ع) على المنابر ، وفرض على شيعة علي (ع) خيارين لا ثالث لهما ، اما البراءة منه ولعنه ، او القتل .

(لقد بدأ معاوية في تطبيق بيانه ، الذي وضعه بالنخيلة ، فاول ما قام به هو اضطهاد الشيعة والتكيل بهم ، بالحبس والقتل والتشريد ، وكتب نسخة واحدة الى جميع عماله ، ان برات الذمة ممن روى شيئا في فضل ابي تراب واهل بيته وكان اشد الناس بلاء اهل الكوفة ، لكثرة من بها من الشيعة ، واستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وقطع الايدي والارجل وسمل العيون ، وصلبهم الى جذوع النخل ، وشردهم عن العراق ، فلم يبق منهم فيها معروف ، ثم تتبعهم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكتب الى جميع عماله ان لايجيزوا لاحد منهم شهادة ... ثم كتب الى عماله في جميع الاقطار الاسلامية ان يقطعوا العطاء عمن اتهم بالتشيع لعلي واهل بيته ويهدموا عليه داره . فاشتد البلاء في العراق ، لايسما الكوفة ، وبلغ حدا لايطاق ، وبخاصة بعد موت الحسن وقتل الحسين ، ومضى على سنة معاوية كل من جاء بعده من الامويين وعمالهم فلم يعد باستطاعة احد ان يتظاهر بالتشيع ، او يسمى حسنا او حسينا . واذا اراد الرواة ان يحدثوا عن علي (ع) قالوا حدثنا ابو زينب. ووقف عبد الملك بن قريب في طريق الحجاج فقال له : ايها الامير ان اهلي عقوني ، فسموني عليا ، وانا الى صلة الامير محتاج ، فتضاحك الحجاج وقال : ما الطف ما توسلت به وليتك موضع كذا واغدق عليه من عطائه .. وقد قتل زياد منهم الفقهاء امثال جويرة بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسهر ورشيد الهجري وصيفي بن فسيل وحجربن عدي وعمر بن الحمق الخزاعي وامثالهم من القراء وحملة الحديث) 2

وقبل موته طلب معاوية البيعة لابنه يزيد التي وصفها عبد الرحمن بن ابي بكر بـ (الهرقلية) كلما مات هرقل قام هرقل . واستنكر المسلمون هذه البيعة ليس لانها هرقلية فحسب بل لان يزيد سيء السيرة والسلوك . وقال الحسين (ع) في وصفه ليزيد في رسالته لمعاوية بعدما رفض بيعته ليزيد (وقد دل يزيد من نفسه على موقع رايه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لاترابها والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصرا) 3

صحب الحسين (ع) خيرة طلائع الاتجاه الشيعي المتواجدين في المدينة ، متوجها الى الكوفة لاعداد العدة لمحاربة الدولة الاموية بزعامة يزيد بن معاوية ، فحاصره جيش يزيد في الكوفة . واثر معركة استمرت نصف نهار ، قتل الامام الحسين (ع) واصحابه وسبيت نساؤه . لكن خروج الحسين ومقتله لم يكن امرا اعتياديا مضافا الى جرائم الامويين التي طالت انصار الاتجاه الشيعي ، بل كان حدا فاصلا في اوساط المسلمين بين الحق والباطل ، وعاملا في اعطاء انصار الاتجاه الشيعي دفعة جديدة لاعادة الكرة بمواجهة الدولة الاموية .

فقد كان المسلمون في اكثرهم اتجاها توفيقيا بين سلطة الخلفاء ، حتى اضافوا اليهم معاوية خليفة خامسا برغم تنكيله بانصار الاتجاه الشيعي جهرا . وربما ذهب هذا الاتجاه الذي مثل اغلبية المسلمين الى اضافة يزيد خليفة سادسا لولا حركة الامام الحسين ومقتله .

(وكان رد الفعل لمقتل الحسين عنيفا لدى اهل السنة ، اذ فشلت تماما كل محاولة للتوفيق في الحكم بتصويب حركة الحسين وموالاة اعدئه من الخلفاء مع اهل السنة الى الحلول الوسطى ، ولكن ذلك قد انهار عند مقتل الحسين ، وقد عبر ابن حجر عن الازمة العنيفة التي يعانها جمهور السنة بقوله :

(اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب) 4

وراح دم الحسين يدوي في الآفاق (واذا كان الحسين قد هزم في معركة حربية او خسر قضية سياسية ، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الاثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين ، فلقد اثار مقتله ثورة ابن الزبير وخروج المختار ، ولم ينقض ذلك حتى افضى الامر الى ثورات اخرى الى ان زالت الدولة الاموية بعد ان اصبحت ثارات الحسين هي الصرخة المدوية لتدك العروش وتزيل الدول ، فقام بها ملك العباسيين ثم الفاطميين واستظل بها الملوك والامراء بين العرب والفرس والروم ... فنجح - الحسين - في ادانة اعداء ابيه من اهل الشام وخاذليه من اهل العراق على السواء ... فتبلور الشعور بالاثم على نحو لم يستشعروه من قبل في عهد علي والحسن (ع) ، بل على نحو من الشعور بالاثم لم يعرف في مذهب من المذاهب او في دين من الاديان)5

ويصور ابن حجر ذلك حين يروي ان ان قيصر الروم قد بعث يقول : (قتلتم نبيا او ابن نبي . وحين سخر منهم رسول القيصر قائلا : عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى ، فنحن نحج اليه كل عام ، وننذر النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم ، وانتم تقتلون ابن بنت نبيكم ، فاشهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انكم على باطل ، وقال آخر من اليهود : بيني وبين دادود سبعون أبا وان اليهود تعظمني وتحترمني وانتم قتلتم ابن نبيكم) 6

ولم يكن عهد العباسيين باحسن حال من الامويين ولا اقل ضراوة ، فقد صدرت مراسيم ملكية ضد كل منتمي الى الاتجاه الشيعي من بغداد الى مصر جاء فيها : (ان لايقبل على ضيعة ، ولا يركب فرسا ، ولايسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها ، وان يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ، وان كان بين علوي وبين احد سائر الناس خصومة فلا يقبل قول العلوي ويقبل خصمه دون بينة . وكانوا يسفرون بين آونة واخرى من اطراف البلاد الى العاصمة ليكونوا تحت الرقابة ، وقد امر الرشيد عامله على المدينة ان يضمن العلويون بعضهم بعضا ، ويعرضوا في كل يوم على السلطة المحلية ، فمن غاب عوقب) 7

ولعل الاخطر من كل ذلك ان العنف ضد الاتجاه الشيعي خرج عن سيطرة الامويين ليغطي سلوك الاتجاه العام من المسلمين ، فالعنف والارهاب في هذا العهد لم يكن من قبل الحكام فقط ، وانما كانت تقع حوادث يقوم بها العامة من الناس ايضا فقد (روى ابن الاثير وقوع مذبحة للشيعة عام 407هـ ، اذ قتل منهم كثيرون ، واحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا في جميع افريقيا ، واجتمع منهم جماعة امام قصر المنصور قرب القيروان ، فحاصرهم العامة وضيقوا عليهم حتى اشتد عليهم الجوع ، فصاروا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ من كان منهم بالهدية الى الجامع فقتلوا كلهم)8

قال صاحب عيون اخبار الرضا : (لما بنى المنصور الابنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلبا شديدا ، ويضع من ظفر به في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والاجر) 9

ظهور الفرق الشيعية

بعد مقتل الحسين (ع) انقلب الوضع السياسي في البلاد الاسلامية ضد الدولة الاموية ، وراحت الكثير من القيادات الشيعية تخترق الحصار الامني لتستجمع قواها وانصارها في مناطق مختلفة من العراق استعدادا لمقاومة الدولة الاموية ، لكنها اتجهت نحو الامامة التي ستخلف الامام الحسين (ع) لتحضى بشرعية تحركها في اطار الامتداد الشيعي الذي كافح طوال عمر الخلافة الاسلامية .

فالامام زين العابدين (ع) الذي شهد مقتل ابيه الحسين واهل بيته (ع) في معركة الطف ، ورث ظروفا سياسية تميز خلالها الاتجاه الشيعي بالجماهيرية الواسعة والتنظيم السياسي ، حتى ان زين العابدين وارث الامامة اضحى اكثر شهرة من هشام بن عبد الملك . فهشام جهد نفسه للوصول الى الحجر الاسود خلال حجته الى بيت الله ، وراح يشق الصفوف في ضنك للوصول اليه برغم تلك الحاشية الكبيرة التي رافقته لتميزه بين الناس ، الا ان زين العابدين (ع) تنحت له الصفوف حين عزم على استلام الحجر الاسود حتى ظهرت ملامح الحقد على وجه هشام حين راى ذلك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يستسلم السجاد الى الجموع الغفيرة التي راحت تدعوه لقيادتها نحو الاخذ بثأر ابيه الحسين (ع) . فقد فضل الاستفادة من هذه الاجواء لاعادة بناء النفوس التي خربتها السياسة وشهوة حب المال ، فراح يبني ما طمس من عقيدة وفكر وسلوك اسلامي بطريق الدعاء والبكاء في ظل حالة طوارئ فرضها الامويون بعد تنامي الاتجاهات السياسية المختلفة التي تحينت الفرص لانهاء الوجود الاموي ، بينما راح شيعة الكوفة يتبعون سليمان بن صرد الخزاعي الموسومة بـ (حركة التوابين) التي هزمت على يد الامويين ، وينخرطون في جيش المختار بن ابي عبيدة الثقفي الذي اخرج من سجن الامويين ليقود ثورة كبرى على الامويين بدأها بطلب البيعة على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء اهل البيت (ع) ومناصرة المستضعفين ، ثم خرج يتعقب قتلة الحسين (ع) .

1- الكيسانية

لم يشأ السجاد (ع) ان يتبنى قيادة تلك الجموع الغفيرة المنادية بالكفاح المباشر ضد قتلة الحسين (ع) . ولم يرغب في تصدر حرب خاسرة ضد الامويين تلقي بوبال امرها على الاتجاه الشيعي بعد مضي سنوات من القتل والسجن والتشريد . فردود الفعل السياسية السريعة على حدث بحجم حادثة كربلاء ضد دولة تمتلك من الامكانات المادية والبشرية وفي ظل مجتمعات مختلفة في اتجاهاتها الفكرية والسياسية ، سنتهي حتما الى معركة ستخلف دمارا وفناء لن يكون ضحيتها الاول الا الاتجاه الشيعي والاسلام بكله .

وقد فطن الاتجاه الاموي للموقف الحكيم الذي تبناه الامام السجاد (ع) ، ووجدوا فيه الخطورة البالغة على الوجود الاموي . فالقوى التي اتخذت اسلوب الحرب على بني امية قد تم معرفة حجمها ومقدار استعدادها ، ولا يمكن لها ان تضاهي الدولة الاموية التي لم تنشأ كأطار امني مدني فحسب، بل اقيمت كدولة عسكرية ، وضعت اولوياتها في خدمة الجيش قبل كل شيء ، بينما وصف ما ذهب اليه السجاد (ع) بانه محاولة لاعادة بناء الاتجاه الشيعي من جديد في ظل استعداد شعبي كبير وواسع لادانة فكر الخلافة الذي تمخض عنه مجتمعات جامدة تقبل بالمتناقضات الدينية . وهذا اللون من الموقف الحكيم سينتهي به المطاف الى استيعاب كافة نتائج المواجهة المباشرة ضد الامويين التي تقام هنا وهناك .

ربما كانت الخطوة الاولى التي خطاها الامويون ضد مسعى السجاد (ع) هي محاولة اختلاق متناقضات سياسية في البيت العلوي بحيث تكون لها انعكاسات سلبية على الاتجاه الشيعي وتأخير مسيرته . فروجت اشاعة ما يعرف بـ (الفرقة الكيسانية) ، واسندت زعامتها الى محمد بن الحنفية ابن الامام علي (ع) في مقابل امامة علي السجاد (ع) . وقيل انها فرقة تعتبر محمد بن الحنفيه اماما بعد الحسين (ع) ، وتبيح المحرمات وتقول بالحلول والتناسخ والوهية الاشخاص ، وتفرعت الى ما يقارب ربع الفرق التي اوردها مؤرخوا الفرق الاسلامية . واريد من هذه الشائعة ان تبث الفرقة في الوسط الشيعي بغية زعزعة الثقة في الامامة ورموزها خصوصا وان المختار اجيز وفوض من قبل ابن الحنفية حينما قال له ابن الحنفية : (اني لاحب ان ينصرنا ربنا ويهلك من سفك دماءنا ، ولست آمر بحرب ولا اراقة دماء) .

لقد عرف محمد بن الحنفية بشجاعته ومحبة الامام علي (ع) له ، واوصاه الحسين (ع) يوم خرج الى كربلاء من المدينة باهل البيت (ع) ، وترك عنده مواريث الامامة على ان يدفعها الى ولده علي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن الحسين ان هو قتل في كربلاء (وحرص محمد على ذلك حتى دفعها الى علي بن الحسين وراح يجمع الناس على القول بامامة ابن اخيه السجاد ويعظم منزلته عند الناس لاسيما الخاصة من اصحاب ابيه) 10

وبعد ان دخل المختار في حروب ضد الامويين ، نجح في قتل عبيد الله بن زياد الذي قاد الجيش لمقتل الحسين (ع) ، وابدى علي بن الحسين سروره لمصرع عبيد الله . وروى اليعقوبي ان عليا (لم ير ضاحكا قط منذ قتل ابوه الا ذلك اليوم)11

واشيع ان (كيسان هو لقب المختار بن ابي عبيدة الثقفي وان امير المؤمنين علي بن ابي طالب كان قد لقبه بذلك لما جاء به الى ابوه عند ولادته ووضعه في حجر الامام فقال له الامام : كيس كيس ، فلقب بذلك ، ومنهم من قال : ان محمد بن الحنفية لما ارسله الى العراق لطلب ثار الحسين (ع) وكان قد عرف قيامه ومذهبه سماه كيسان لكيسه . وقال بعضهم : ان كيسان اسم عميرة مولى امير المؤمنين (ع) وهومؤسس الكيسانية . وقال بعض آخر انه كان مولى محمد بن الحنفية . ومنهم من قال : انه كان تلميذا لمحمد بن الحنفية اخذ عنه علم التاويل والباطن ... ومنهم من زعم انه حارس المختار ، ومنهم من قال : انه كان رجل من اهل الكوفة دل المختار على قتلة الحسين ... ان هذا الشخص - كيسان - الموهوم في شخصيته وهويته وصلته بالامام علي وولده محمد وبالختار بن ابي عبيدة يحكي لنا شخصيته - شخصية عبد الله بن سبأ الذي قيل انه مؤسس السبئية) 12

فعبد الله بن سبأ شخصية مفتعلة في التاريخ ، ابتدعها عمر بن سيف التميمي لتشويه الاتجاه الشيعي ، وارجاعه الى منشأ يهودي . وتعتبر السبئية اول فرقة مختلقة نسبت قسرا الى التشيع . وبعد ظهور اشاعة فرقة الكيسانية ونسبتها الى المختار قيل انها امتداد او اثر من آثار السبئية . ويرى البغدادي (ان الكيسانية قد تاثرت بتعاليم السبئية)13

وقد مرت اشاعة الكيسانية بمرحلتين :

الاولى : جاءت في زمن الدولة الاموية بعد مقتل الحسين ، حيث برزت في فترة خروج المختار ، (وفي هذه الفترة نسب الى المختار امور كثيرة منها انه يقول بالبداء والرجعة ويزعم ان الملائكة تحارب معه وانه اتخذ كرسي الامام علي (ع) كمثل تابوت بني اسرائيل يخرجه امام جيشه وانه كان زبيريا ثم صار كيسانيا ثم رافضيا ، وانه كان يتزين بطلب ثار الحسين ويزعم ان الوحي ينزل عليه وان محمد بن الحنفية هو المهدي وقد ارسله الى الكوفة وانه يدعو لمحمد بن الحنفية ويقول بامامته) 14

والثانية بدأ ت مع مطلع نشوء الدولة العباسية حيث كانت (اشاعة الكيسانية في طريق الزوال والتلاشي بعد ان حققت الاغراض المطلوبة من اطلاقها ونشرها في عهد المختار , وبدأ العباسيون يخططون منهاج دعوتهم ، واعزهم الدليل على اقناع الناس ان الامامة انتقلت اليهم بالنص ، وان خلافتهم لا تختلف عن خلافة المنصوص عليهم بالامامة عن النبي (ص) فعمدوا الى اشاعة - الكيسانية - ولما تختفي وتتلاشى كليا فجددوها ونقلوا الامامة من محمد بن الحنفية الذي زعمت اشاعة الكيسانية انه كان الامام بعد ابيه الى ولده عبد الله المكنى بابي هاشم ، واتخذوا من وفاته في دارهم بالحمية من ارض الشراة وصية تنقل الامامة الى عميدهم محمد بن علي)15 . وقد كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفاته بعد ان دعاه سليمان بن عبد الملك الى القدوم الى دمشق فدس اليه السم في طريق عودته الى الحجاز ، وبعد ان ادرك ابو هاشم منيته اتى الى الحميمة - احدى قرى فلسطين على حدود الصحراء في شمال شبه الجزيرة -حيث كان يقيم محمد بن العباس ، وقبيل مماته قيل انه اوصى لمحمد الامامة بعده .

ويذكر فلهوزان في كتابه (الدولة العربية) ان رواية التنازل على الارجح مخترعة ، ولكن اختراعها كان منذ زمن مبكر ، لان شواهدها قوية ، ولولا ذلك لحذر العباسيون فيما بعد من ان يقيموا حقهم على مثل هذا الاساس)... وينفي المؤرخ زتاريين الذي كتب مادة (ابو هاشم) في دائرة المعارف قصة تنازل العلويين عن حقهم للعباسين ، فيذكر ان هذه الرواية وان وردت في اقدم تواريخ العرب ، فان المحققين الاخرين يشكون في صحتها شكا كبيرا ، ويعزونها الى اختراع العباسيين الذين ارادوا ان يبرهنوا بهذه الصورة على حق العباسيين في الخلافة . وقد رد رونلدسن على هذا الراي فقال : ان قوة الشك تخف عندما نعلم ان ابا هاشم قد مات بالحميمة ، وليس من المستبعد ان يكون لهذا الاتفاق علاقة بتوحيد الجهود بين الكيسانية والعباسيين ضد بني امية) 16

ويشار الى ان هناك دليل يرجح بطلان الوصية ، وهو ان المنصور في رده على محمد النفس الزكية الذي انكر وراثة الامامة عليه ، لم يشر الى تنازل ابو هاشم لمحمد العباس . فقد جاء في رسالة النفس الزكية (... فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وان ابانا عليا كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ؟ . فكتب المنصور : (اما قولكم انكم بنو رسول الله (ص) فان الله تعالى يقول في كتابه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم - الاحزاب 33) ولكنكم بنو ابنته ، وانها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تجوز الميراث ، ولاترث الولاية ولا تجوز لها الامامة ، فكيف تورث بها)17

انقرضت هذه الفرقة بانقراض اشاعتها بعد ان سخرها العباسيون لتكريس مبدء شرعي يرتكزون عليه في نشوء دولتهم (ولكن اصحاب تلك الكتب - المختصة في الفرق - ومن ورائهم السلطات الحاكمة ارادت التطبيل على التحزب وكثرة الفرق - خصوصا في مجال الفرق الشيعية - لتجعل من ذلك مبررا لوصفها بالضلال والشك وتعدد العقائد والاختلاف . والا ، فاين السبئية او الكيسانية او الفطحية وغيرها من عشرات الفرق التي قالوا بانها شيعية ؟)18

2- الزيدية

تنتسب هذه الفرقة الى زيد بن علي بن الحسين بن علي (ع) ، واعتبرته اماما (وخالفوا الامامية الذين قالوا بامامة محمد بن علي الباقر (ع) بعد الامام زين العابدين (ع)) 19

وورد عن المحدثين من الزيدية - الذين يحلوا لبعضهم تسمية المهدوية بدلا عن الزيدية نسبة الى الامام الهادي يحي بن الحسين الذي اسس الزيدية في اليمن - في (الزيدية نظرية وتطبيق ط12/1. 1985) للعلامة الزيدي علي عبد الكريم الفضيل . ان الزيدية (نسبة لم يطلقها الامام زيد على اتباعه ، ولا اطلقها في البداية اتباعه على انفسهم ، وانما اطلقها حكام بني امية على كل ثائر عليهم بعد الامام زيد من اهل البيت النبوي ... فالتسمية هذه تسمية سياسية في الاصل ولا دخل لها في ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعارف عليه الناس في النسبة المذهبية الى ائمة المذاهب الاسلامية ... ولكن الزيدية الطائفة قبلتها ورضيت بها لانها شعار حرية وعزة وكرامة وجهاد وتضحية في سبيل الله والمستضعفين).

ويرى العلامة علي الفضيل ان النسبة هي نسبة الى الفكر الزيدي وهي نسبة انتماء واعتزاز ، وقد اعتقد بعضهم ان النسبة نسبة مذهبية الى الامام زيد بن على رحمه الله كنسبة الشافعي او الحنفي مثلا الى ابي حنيفة والشافعي رحمهم الله . واعتقد لذلك ان الزيدية مقلدون للامام زيد في الفروع ، وربما اعتقد انهم مقلدون له في الاصول ولا يخرجون من قوله . وهذا الاعتقاد خطأ ومغلوط . لان النسبة نسبة انتماء واعتزاز ولم تكن نسبة مذهبية على النحو المعروف في النسبة الشافعية او الحنفية مثلا ، وذلك لان المذهب الزيدي يحرم التقليد على كل متمكن من اخذ الحكم من كتاب الله وسنة الرسول (ص) ولا يبيحه في الفروع الا لغير المتمكن... ولا تعتقد الزيدية بان الامام زيد بن علي اولى بالتقليد من غيره كالامام الصادق مثلا) .

ويعتبرهم اتجاه السنة في تصنيفه لاتجاه التشيع ، بانهم شيعة معتدلون لايتناقضون ولا يختلفون في امر خلافة ابي بكر وعمر وعلي من حيث امر التضارب بين النص في ولاية علي (ع) وما انتهت اليه السقيفة من تنصيب ابي بكر ثم تعيينه لعمر من بعده وما اعقب ذلك من مجلس للشورى لتعيين عثمان عند وفاة عمر . فنص الرسول (ص) في علي عند الزيدية كان دون تسميته ، لكنه اماما حين دعا الى نفسه .

وتورد كتب السنة حادثتين تدللان على اعتدال الحركة الزيدية :

الاولى : وقد نقلها الطبري وهي ان كثيرا من اهل الكوفة وعدو زيدا بمناصرته ان هو خرج على الدولة الاموية ، لكن (بعض رؤسائهم ارادوا ان يتبينوا رايه في ابي بكر وعمر ، فقال لهم زيد : رحمهم الله وغفر لهما . ما سمعت احدا من اهل البيت يتبرا منهما ولا يقول فيهما الا خيرا . قالوا : فلم تطلب اذا بدم اهل البيت الا ان وثبوا على سلطانكم فنزعوه من ايديكم . فقال لهم زيد : ان اشد ما اقول فيما ذكرتم انا كنا احق بسلطان رسول الله (ص) من الناس اجمعين ، وان القوم استاثروا علينا ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا لهم بالكفر ، وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة ، قالوا : فلم يظلمك هؤلاء اذا كان اولئك لم يظلموك . فلم تدعوا الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين . قال : ان هؤلاء ليسوا كأولئك ، ان هؤلاء ظالمون لي ولكم ولانفسهم . ففارقوه ونكثوا بيعته ، فسماهم زيد بالرافضة) 20

الثانية : ان زيد بن علي اعتبر الخليفتين ابي بكر وعمر مفضولين يجوز ان يتقدما في الخلافة على الفاضل وهو الامام علي (ع) . يقول زيد : (كان علي بن ابي طالب (ع) افضل الصحابة على الاطلاق ، وان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رأوها من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ، فان عهد الحروب التي جرت ايام النبوة كان قريبا ، وسيف امير المؤمنين علي (ع) لم يجف بعد من دماء المشركين ، فكانت المصلحة ان يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق في الاسلام ، والقرب من رسول الله (ص) . الا نرى ان ابا بكر لما اراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر لعمر زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظا غليظا . فما كانوا يرضون باامير المؤمنين عمر لشدته وصلابته .) 21

(وضع زيد بن علي ثلاث مباديء لحركته : اولاها ان الامامة في اولاد فاطمة دون غيرهم ، وثانيها طاعة كل فاطمي زاهد شجاع يطلب الامامة سواء من اولاد الحسن او الحسين ، وثلثها جواز خروج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امامين في قطرين يشتركان في الخصال الحسية فتصبح واجبة)... (ويمكن وصف هذه المباديء الزيدية بالاعتدال ، فقد اصبح هناك دعوتان احداهما علوية ، والاخرى عباسية ، تتنافس على كسب تاييد المسلمين ، وكما وقفت الدعوة العباسية موقفا وسطا حين دعت الى الرضا من آل محمد ، فقد اتصفت آراء زيد ايضا بالاعتدال ، حتى يمكن وصفها بانها اقرب الى مباديء السنة منها الى مباديء الشيعة) 22

لكن مؤيدات تاريخية تشير ان زيدا لم يكن اتجاها منفصلا عن الاتجاه الشيعي من حيث مواقفه من الخلافة وما تبعها من احداث . وربما اسند لزيد دورا سياسيا يكون من خلاله قديرا على استيعاب وتحشيد كافة القوى المعارضة للدولة الاموية التي تناثرت هنا وهناك دون قائد ينسق جهودها وقواها . خصوصا وان يمتلك من العلم الكثر . فقد ترعرع زيد بن علي (ع) في بيت النبوة الذي انتشر منه العلم وتوارثه المسلمون خلفا عن سلف ، نشأ وورث العلم عن ابه وجده وروى عن آبائه في مختلف المواضيع وظل يتابع دراسته منصرفا بكله الى العلم حتى سطع نجمه واصبح بعد ابيه واخيه الباقر (ع) من اكبر المراجع في شتى الميادين ... ولازم اخاه الباقر مؤسس جامعة اهل البيت التي رحل اليها طلاب العلم والحديث من مختلف الجهات .

وفي معرض رد الزيدية على القائلين بان زيدا معتزليا اخذا العلم عن واصل . قالوا انما اخذ زيد العلم من معدنه وينبوعه ومدينته . اخذه عن ابيه زين العابدين ، وعن اخيه محمد الباقر .

لقد كان زيد مدركا لما تلعبه سلطات بني امية في مقاومتها لرجال المعارضة ، وهي الدولة التي تمتلك اكبر رصيد في المكر والخدعة ، وبها قتلت الامام علي (ع) بعد ان فرقت جمعه من اهل الكوفة بحجة المطالبة بالثار لعثمان ، وبها شقت صفوف اهل الكوفة بعد مطالبتها الحسين (ع) الخروج لنصرته . كما كان زيد مدركا تماما للدور الخطر الذي لعبته بني امية للحصول على شرعية الخلافة وايصالها بالخلافة الراشدة خصوصا وان اكثر رجالات الاتجاه السني قد كرهوا احقاد الامويين ، لذلك كانت الدولة الاموية تضع قادة الاتجاه الشيعي في مواقف محرجة لفصلهم عن جماهيرهم ، ولادخالهم معارك جانبية مع الاتجاه السني الذي بدأ يتجاهر بعصيانه للسلطة الاموية ، (وما عسى زيد ان يقول - في ابي بكر وعمر - وكل كلمة تصدر منه بحقهما يستغلها الامويون للتشنيع عليه وتبرير مواقفهم المعادية له ولابائه واجداده ... لقد كان رحمه الله متزنا وحكيما في اجوبته - لاهل الكوفة - وهم يلحون عليه لانتزاع كلمة منه تسئ الى- الخليفتين ... هذا الاحراج لزيد بن علي في تلك الساعات الحرجة وسيوف الامويين مشهورة فوق راسه يبدوا كما ذكرنا انه مقصودا لتفتيت الجبهة الموالية له اذا رفض تكفير الخليفتين او تفسيقهما ، وان استجاب لطلبهم استغل جوابه الامويون وانصارهم لتبرير ملاحقته وقتله ، لان الراي العام الاسلامي وان كان الى جانبه ولايساند الامويين فلا يتحمل الطعن في الخليفتين والاساءة اليهما) 23

ومع كل ذلك لم يهتم زيد بالكثرة الكاثرة من اتباعه الذين التفوا حوله وقدروا باربعين الفا ، فقد خرج ولم يتبق منهم سوى مائتين او اربعمائة رجلا من القراء والفقهاء . لكنه لم ير الموت الا حقا ، فانه ان لم يقتل بالسيف في ساحة المعركة فهو ملاقيه حتما في ظل سلطات بني امية التي تعقبته وراقبته واقامت له كل مرصد . لكنه راى ان الحق والعدل وانقاد المستضعفين خيرا له من العيش مع آل امية ، فاختار طريق جده الحسين(ع) حين قال بعد ان خذله اهل الكوفة : (اني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهز هشام بن عبد الملك جيشا شاميا جرارا لقتال زيد بن علي ، لكن زيدا هزمهم في بداية المعركة (وبينما زيد يطاردهم بمن معه اذ انفصل رجل من اصحاب يوسف بن عمر من بني كلب وتقدم من زيد حتى اصبح قريبا منه فشتم عليا والزهراء فاطمة بضعة المصطفى فغضب زيد وبكى حتى ابتلت لحيته الكريمة والتفت الى من كان معه وقال : اما فيكم احد يغضب لفاطمة بنت محمد ... وسار زيد بمن معه وهو يقول : والله لو كنت اعهد عملا ارضى لله من قتال هؤلاء لفعلته وقد كنت نهيتكم ان تتبعوا مدبرا وتجهزوا على جريح وتفتحوا بابا ، ولكني بعد ان سمعتهم يسبون عليا فاقتلوهم من كل وجه وحيث وجتموهم فالله لاينصرني رجل عليهم اليوم الا اخذت بيده وادخلته الجنة . لقد وعدهم زيد بن علي (ع) بذلك بعد ان سمع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري يروي عن النبي (ص) انه كان يقول : ان زيد بن علي واصحابه يتخطون رقاب الناس يوم القيامة ويدخلون الجنة بغير حساب) 24

ويوجز صاحب (تاريخ الفرق الاسلامية) الاسباب التي دعت زيدا للثورة على الامويين بما يلي :

1- كراهية هشام بن عبد الملك للعلويين كراهية تمثلت في محاولة التقليل من شأن زيد حينما وفد عليه . فقد عيره بامه ثم باخيه الامام محمد الباقر (ع) . فقد قال له : ما فعل اخوك البقرة ، يعني الباقر، وزيد لم يحتمل منه ذلك اجابه : لشد ما خالفت رسول الله (ص) ، سماه رسول الله الباقر وتسميه البقرة لتخالفنه يوم القيامة فيدخل الجنة وتخل النار .
2- سوء السياسة التي انتهجها ملوك بني امية ومعهم هشام من مطاردة انصار العلويين ومحبيهم وسبهم الامام علي (ع) وولده على المنابر وتهاونهم بالامور الدينية وطعن المعارضين عن طريق لصق تهم كاذبة بهم ... واختلف في تفسير اهداف ثورته فاغلب المؤرخين يذهبون الى ان حركته تتلخص في المطالبة بحق اهل البيت بالخلافة وليس لنفسه ، فهو يدعو للرضا من آل محمد (ص) ولم يعين الشخص الذي يدعوا اليه ... وروي الكليني : ان زيدا ... لم يدعوا الى نفسه انما الى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوفى بما دعاكم اليه ، انما خرج على سلطان مجتمع ينقضه . على ان هناك مصادر اخرى تذهب الى دعوته لنفسه ، فابن الطقطقي يقول : وكان دائما يحدث نفسه بالخلافة ، ويرى انه اهل لذلك وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه) 25

كان الامام محمد الباقر (ع) على راس مودعي زيد حين عزم على دخول المعركة مع جيش هشام ، واخبر الامام (ع) زيد بالمصير الذي سيلاقيه حين قال له : (بها - الكوفة - قتل جدك علي وبها طعن عمك الحسن وبها قتل ابوك الحسين . فاخاف عليك يا اخي ان تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة . ثم ودعه وداعا اخيرا) 26

واستشهد زيد بعد ان اصيب بسهم في راسه (وحاول ابنه يحي ومن بقي من اصحابه اخفاء قبره ، فدفنوه في محل مجهول ، واجروا من فوقه الماء مبالغة في اخفائه ، ولكن جواسيس هشام عرفته ، فنبشه يوسف بن عمر ، واجتز راسه ، وارسله الى هشام ، ثم صلب الجسم الشريف في محل الكناسة ، وبقي مصلوبا اربعة اعوام ، واخيرا امر الوليد بن يزيد بن عبد الملك خليفة هشام بانزاله ، واحراقه ، وذر رماده في الفرات انتقاما لنفسه المتاججة بالحقد على ابنه الثائر يحي بن زيد في خراسان ... وفي العراق اتفق - العباسيون- على مبايعة محمد بن عبد الله النفس الزكية ، والعمل متوحدين ضد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظالم وطغيان بني امية لكن قادة بني العباس قد خرجوا سرا عن المسيرة الزيدية وعملوا في خراسان لصالح انفسهم حتى كانت ثورة في خراسان بقيادة ابي مسلم الخراساني) 27

ويقول الشهرستاني في الملل والنحل / 252 (لما قتل زيد بن علي وصلب ، قام الامام بعده يحي بن زيد ومضى الى خراسان ، واجتمعت عليه جماعة كثيرة ، وقد وصل اليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد (ع) بانه يقتل كما قتل ابوه فجرى عليه الامر كما اخبر ، وقد فوض الامر بعده الى محمد وابراهيم الامامين ، وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضا ، واخبرهم الصادق (ع) بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان آباءه (ع) اخبروه بذلك كله .., ولم ينتظم امر الزيدية بعد -ابراهيم - حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل ، فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل ، ولم يتحلوا بدين الاسلام بعد ، فدعا الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن علي ، فدانوا بذلك ، ونشؤا عليه ، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين ، وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ، ويلي امرهم وخلفوا بني اعمامهم من الموسوية في مسائل الاصول ، ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول ، وطعنت في الصحابة طعن الامامية) .

ويقول محمد حسين الزين في (الشيعة في التاريخ /53) ان البحاثة صاحب (شهداء الفضيلة) استدل على ان ناصر الاطروش هذا مات شهيدا سنة 304هـ بآمل من اعمال طبرستان وهو ابن 79سنة وقبره هناك عليه قبة معروفة ، ومال الى انه اثنى عشريا لا زيديا).

انتهت ثورة زيد واخفقت في الوصول الى اهدافها السياسية ، وارجع الكثير من المؤرخين اسباب الاخفاق الى عوامل مختلفة ، لكن الاخطر في الامر غياب الاشارة الى دور العباسيين في فشل ثورته ، فبينما كانت حركة زيد في اوج قوتها وجماهيريتها كانت الدولة الاموية قد احكمت قوتها وسيطرتها على العباسيين حتى اضحى زعيمهم محمد العباس رهين بيته ، وادرك العباسيون ان زيدا انفرد بساحة المعارضة ، فبعثوا اليه يحبطونه ويثنونه عن المضي في مبتغاه ، وانتهوا الى تهديده ان اصر على مسيره (فقد اقبل داود ابن علي - احد اركان الحركة العباسية - على زيد يذكره بموقف اهل الكوفة من علي والحسن والحسين وينصحه بالا يستلم الى وعودهم الخلابة التي سرعان ما تتبخر . ولكن زيدا اصر على المضي في طريق الثورة ، فقال لداود : ان عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه باهل الشام ، وان الحسين قاتله يزيد بن معاوية والامر عليهم مقبل . ويئس داود من اقناع زيد ، فقال له : اني لخائف ان رجعت معهم ان يكون احد اشد عليك منهم وانت اعلم)28

وهذا اللون من التهديد العباسي قد نفذ في حق عبد الله بن معاوية الذي نافسهم بحركته ودعا الى الرضا من آل محمد ، وامتدت دعوته الى مدن العراق وفارس والري وهمدان وخراسان ، ففي باديء الامر هادنوه وحالفوه وشاركوه في ادارة بعض مناطقه التي سيطر عليها ، وكان ابو مسلم قد استدرج ابن معاوية الى خراسان حين اظهر ابو مسلم نفسه كمطالب بثأر يحي بن زيد كخطوة ممهدة لاستيعاب حركة ابن معاوية ، وتصور ابن معاوية اثر ذلك ان خراسان منطقة آمنة لحركته ، لكن ابو مسلم (ادرك خطورة ابن معاوية على الدعوة العباسية اذ نجح في استمالة عدد كبير من اهل خراسان الذين يرى ابو مسلم قصر ولائهم على دعوته العباسية ، ولذا اقدم ابو مسلم على القبض على ابن معاوية وسجنه ، ثم قتله) 29. عندها خلا الوضع السياسي للعباسيين فاستقلوا بحركتهم عن العلويين بعد ان كسبوا من تضحياتهم وركبوا موجتهم العاتية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزيدية وعلاقتها بالمعتزلة

يقول بعض المؤرخين ان الزيدية رد فعل عنيف على الاتجاه الشيعي في عهد الامام الباقر (ع) - ويوردون ان اتجاه الاثنا عشري بقيادة الباقر (ع) اعتبر اتجاها سلبيا في حل المشاكل السياسية ، ذلك ان زيدا تتلمذ على يد واصل بن عطاء راس المعتزلة الذي يعتقد عدم صوابية موقف الامام علي (ع) في حروب الجمل والشام ، ويذهب آخرون الى ان زيدا اخذ الاصول عن عطاء واخذ عطاء الفروع عن زيد ، مما ادى الى تاثر زيد بالقول بـ (الاختيار) . بينما ينقض مؤرخون آخرون ذلك بقولهم بان زيدا متمسك بالاتجاه الشيعي (وتفكيره مشتق من آراء الامام علي (ع) التي اشتهرت بين الناس ، وانه اراد ان يرد المذهب الشيعي الى اصوله في عهد علي (ع) 30

وينفي تتلمذ زيد عند واصل بن عطاء (ان مسألة الاختيار من الامور المشهورة عند اتباع مذعب آهل البيت (ع) ، قبل ان يوجد واصل او غيره من المعتزلة ، حيث رفض اهل البيت الجبر من بداية ظهوره ، وقد بدا الجبر مع بداية الدولة الاموية ، في حين ظهر الاعتزال في اواخر الدولة الاموية ، وقال الامام علي (ع) عندما سئل عن الجبر : (ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا). وقال ابن ابي الحديد : ان المعتزلة لم يزيدوا شيئا على ان يأخذوا اصول كلام امير المؤمنين (ع) , ومما يبعد تتلمذ زيد على ايد واصل انه ابن الامام السجاد وزين العابدين وحفيد امير المؤمنين)31

ويورد الزيدية اليمنيين ان القول بتتلمذ زيد على يد واصل بن عطاء هو اغرب واعجب . (ذلك ان المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين والعالمين - ان المدينة المنورة - وليس البصرة - هي معدن العلم ومدينته ، كما قال الامام ابو حنيفة رحمه الله لمن سأله عمن تلقى علمه ، فقال : كنت في معدن العلم ولزمت فقيها من فقهائها . وهو يعني الامام جعفرا الصادق (ع) حيث لازمه عامين وكان يقول لولا السنتان لهلك النعمان . فهل من المعقول ان يخرج الامام زيد من معدن العلم وينبوعه ومدينته ليذهب الى البصرة ليحصل على علم الفروع والاصول حتى يتحلى بالعلم ... فلم يكن زيدا معتزليا ولا اخذ العلم عن واصل وانما اخذ العلم من معدنه وينبوعه ومدينته . اخذه عن ابيه زيد العابدين ، وعن اخيه محمد الباقر ، وعن غيرهما من علماء اهل بيته)32

انقسمت الزيدية الى فرق بائدة هي الجارودية والسليمانية والبترية (وكان اصحاب الجارود زعموا ان النبي (ص) نص على علي (ع) بالوصف دون التسمية ، والامام بعده علي (ع) ، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا ابا بكر باختيارهم ، فكفروا بذلك ، وقد خالف ابو الجارود في هذه المقالة امامة زيد بن علي ، فانه لم يعتقد بهذ الاعتقاد . واختلفت الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين زين العابدين ثم الى زيد) 33

وابرز فرقة زيدية في عالمنا الاسلامي اليوم هي الفرقة المتواجدة في اليمن ، ومكزها العلمي هي مدينة صعدة . وكانت اليمن على عهد الامويين تعج بالفوضى حيث وزعت الى حكومات ومشيخات كثيرة . ففتش اليمنيون عن من يقودهم من اهل البيت (ع) فوجدوا الامام الهادي يحي بن الحسن بن القاسم بن ابراهيم (في قرية اسمها الفرع في سفح من سفوح الرس ، وتقع فيما بين المدينة المنورة وبين الجهة الشرقية من بدر ...فدعوه للخروج الى اليمن ، فوصل صعدة سنة 284هـ) 34

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- الامامية

يعتبر مذهب الامامية امتدادا لاتجاه التشيع الذي نشأ على عهد رسول الله (ص) وغرس بذرته الاولى ، وقاده الامام علي (ع) ، ويطلق عليه ايضا مذهب الاثنا عشرية انطلاقا من اعتقادهم بالائمة اهل البيت الاثنا عشر الذين ابتدأوا من الامام علي (ع) وانتهوا بالامام محمد المهدي المنتظر (ع) ، وتمييزا لهم عن المذهبين اللذان ينتسبان الى التشيع وهما الزيدية والاسماعيلية . (ويطلق عليه -غالبا - المذهب الشيعي لكثرة اتباعه مقارنة باتباع المذهبين الشيعيين الاخرين . ويشكل الشيعة الامامية في الوقت الحاضر نصف مسلمي اسيا وثلث مسلمي العالم) 34

كما ويسمى المذهب الامامي ايضا (المذهب الجعفري) نسبة الى الامام جعفر الصادق (ع) سادس ائمة اهل البيت (ع) . واول ما بروز لهذه التسمية كان عند نهاية الدولة الاموية وبداية نشوء الدولة العباسية . وتميزت هذه الفترة التي شهدت ضعف الدولتين الاموية عند نهايتها والعباسية في بداية عهد طفولتها فرصة ذهبية عرفت بانفراج امني نسبي استغلها الامام الصادق (ع) في عطاء علمي وفكري واسع فاق عطاء الائمة (ع) ، (فازدحم طلاب العلم على ابواب مدرسته ، وكثرت الهجرة اليها ، فنسب المذهب اليه في عهد ازدهار العلم ، لان كل ما ذهب اليه الصادق في تصويبه والوثوق بصحته من الاحكام اصبح بجملته يسمى (مذهب جعفر الصادق (ع))35 .

كان الاتجاه الشعبي العام مؤيدا لركب التشيع بعد عدد من الثورات الشيعية التي برزت هنا وهناك اثر مقتل الامام الحسين (ع) والظلم الذي لحق بالشيعة في كافة الاقطار الاسلامية . ويقول د. طه حسين في كتابه (علي وبنوه) : (وليس شيء من سياسة يروج الاراء ويغري الناس باتباعها كالاستبداد الذي يعطف المغلوب على الذين تلم بهم المحن وتصب عليهم الكوارث ، وتبسط عليهم يد السلطان ، والذي يصرف القلوب عن هذا السلطان الذي يدفع الى الظلم ويمعن فيه ويرهق الناس من امرهم عسرا . لذلك عظم امر التشيع وانتشرت دعوتهم اي انتشار في شرق البلاد الاسلامية وفي جنوب بلاد العرب ، ومات معاوية حين مات ، وكثير من الناس وعامة اهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني امية وحب اهل البيت لانفسهم دينا) 36

ولكن ركب العباسيون موجة هذا الاتجاه بالدعوة باديء الامر للرضا من ال محمد ، واستطاعوا ان يصلوا الى السلطة عقب انهيار الدولة الاموية ، لكن الامام جعفر الصادق (ع) الذي شهد صعودهم الى سدة السلطة كان اعلم الناس بما يضمره العباسيون من اهداف غير سامية ، كان من بينها سعيهم في محاولات سياسية عدة لاستيعاب حركة التشيع وتقريب قادتها من قصورهم ، مثلما فعلوا مع بقية المذاهب الاسلامية الاخرى التي نشأت في تلك الفترة .

وقد حاول المنصور ان يستميل الصادق (ع) عندما كتب اليه (لولا تغشانا كما تغشانا سائر الناس . فاجابه الصادق (ع) : ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الاخرة ما نرجوا له ، ولا انت في نعمة فنهنيك عليها ، ولا تعدها نقمة فنعزيك بها فلم نغشاك ؟ . فكتب المنصور ثانية : تصحبنا لتنصحنا . فاجابه الامام : من اراد الدنيا فلا ينصحك ومن اراد الاخرة فلا يصحبك) 37

ربما كان اهم امرين اتبعهما الامام الصادق (ع) في هذه المرحلة الخطرة ، هو المحافظة والتاكيد على استقلال الاتجاه الشيعي امام السلطة العباسية كأمر اول . ولم يكن ضعف الدولة الاموية امرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشجعا للامامين الباقر وابنه الصادق (ع) للخروج واقامة الامامة السياسية ، فعمليات البناء العلمي والفكري للامة الاسلامية انذاك اضحت اكثر اهمية . فاستعداد المسلمين للميل الى الاتجاه الشيعي بعدما بدر من الامويين من اعمال قتل لاهل البيت (ع) دون رادع ديني فضلا عنما اعقبه من رفض شيعي عملي لحكم الامويين ، كان افضل السبيل للخروج من محنة المسلمين التي تجاوزت الازمات السياسية وانتهت الى انحراف مبين ، بينما التوجه نحو العمل السياسي الصرف وبشكله المباشر قد ينتهي الى تسييس الامة في وقت هي بحاجة ماسة الى ضرورة الرجوع الى الاصالة الاسلامية في ظل تضارب عقدي وفكري انشأه الامويون باختلاقهم المذاهب والاحاديث والاقاويل علي رسول الله (ص) وصحابته الاوفياء . يضاف الى ذلك ان العباسيين في مرحلة عملهم السلبي المعارض للامويين لم ينته الى مواجهة مباشرة معهم فحسب بل بقي في الضد من اي تحرك معارض للامويين ومنافسا لهم ، كما شهدنا ذلك في مقتل عبد الله ابن معاوية وانتهاء حركته على ايديهم فضلا عن التهديد بالحرب الموجه الى الحركة الزيدية من قبلهم .

واما الامر الاخر هو الارتفاع بالاتجاه الشيعي الى مستوى علمي وفكري رفيع في وقت تعددت فيه الفرق الاسلامية ، خصوصا تلك التي انشأتها السلطات السياسية بغية تشويه الاسلام وتهيئة الامر الى خلق اتجاه شعبي عام يقبل بهم كحكام شرعيين مبررة افعالهم مهما كانت مصادرها ومنابعها الفكرية كما شهدنا ذلك في الجهود التي بذلها الامويون لترويج عقيدة الجبر .

وكان الاخطر من كل ذلك اختلاق السلطة السياسية لبعض الفرق الاسلامية ومن ثم محاولة نسبتها قسرا الى الاتجاه الشيعي لتشويه حقيقته وزعزعة عقيدة المنتسبين اليه ، وكانت من بين هذه الفرق البائدة فرقتا السبئية والكيسانية وغيرهما ، ويضاف الى هذا الامر ان هذه الفرق قامت على اساس سياسي وهو منطلقها وهدفها ، لكن بقاءها دون منافس حقيقي يمتلك الحقيقة الساطعة سينتهي بها الى التحول لمذاهب فكرية ودينية ، وهو الامر الذي دعا الامام الصادق (ع) لان يقوم الاتجاه الشيعي على اسس من التنظيم العلمي والفكري . والى جانب ذلك دخل الامام الصادق (ع) معارك فكرية وعلمية ضد الزندقة والالحاد .

لكن المنصور كان مدركا لما يتجه اليه الصادق (ع) الذي تغلب على عقبات الطريق ليضحى علما بارزا من بين جميع المذاهب التي نشأت آنذاك ، لكون مذهبه له امتدادات تاريخية وقفت سدا منيعا امام العواصف السياسية والعسكرية المتتالية . فسعى المنصور الى مساندة بعض المذاهب في قبال حركة الصادق (ع) . وهذا مالك قد تعرض باديء الامر الى الضرب بالسياط والاهانة قبل سنتين من وفاة الصادق (ع) الا ان المنصور قد وعى اهمية تجيير هذه المذاهب ، فقرب مالك وامره ان ينشر مذهبه في البلاد الاسلامية بواسطة كتاب يؤلفه ليكون بديلا رسميا عن جميع ما اشيع من مذاهب واتجاهات فكرية ودينية اخرى، وكان هذا الامر موجها للحد من انتشار اتجاه التشيع والجهود التي يبذلها الصادق (ع) في عملية نشره . (ولم يغب عن مالك هذا التكليف - من المنصور- فاجاب المنصور : يا امير المؤمنين لاتفعل ، اما هذا الصقع فقد كفيتكه ، واما الشام ففيه الرجل الذي علمته - يعني الاوزاعي - واما اهل العراق فهم اهل العراق . فكان المنصور يشد ازر الاوزاعي ويراسله ويلحظ مالكا يواصله حتى ازدحم الناس على باب داره التي اصبحت كابواب دور الملوك ، وبذل جهده لانتصار اهل الراي وهو يأمل من وراء ذلك كله تغليب مذهبه على مباديء اهل البيت ، ولما اشتد جانب الدولة وقوي ساعدها ، اظهر المنصور ما كان يضمره ، فاعلن مقاومة اهل البيت ومعارضة انتشار مذهبهم ، وشدد النكير على اهله) 38

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستمر من بعد المنصور في دعم مذهب مالك كل من المهدي والهادي ، والرشيد الذي قدر اخيرا على تقريب الشافعي واعطائه منصب المرافقة الدينية لواليه على مصر .
وبذل المنصور جهودا جبارة لكسب ابي حنيفة الى جانبه لاقامة دور له شبيه بدور مالك ، وعرض عليه رئاسة القضاء ، لكنه فشل في ذلك ، اذ قال المنصور له (يا ابا حنيفة ، ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيء له المسائل الشداد) . لكن ابا حنيفة وقف متعاطفا مع الاتجاه الشيعي ، مجاهرا بتاييده للحركة الزيدية على عهد الامويين ، وساخطا على ظلم العباسيين لهم ، وداعيا للخروج مع حركتي النفس الزكية وابراهيم .

ومع كل ذلك انتشر التشيع في العراق والشام والجزيرة العربية وعواصم بلاد اسلامية مختلفة ، وقدر على تجاوز العقبات التي اختلقها العباسيون امام انتشاره ، حتى التفت المأمون الى حكومته فوجد رجالها من وزراء وامراء وقادة الجيش وروساء الدواوين وكتاب وقد دانوا بالتشيع ، فحاول ان يستميل الاتجاه الشيعي وقواه الشعبية حتى انتهى امره الى القبول شكليا بولاية العهد للامام الرضا (ع).
كان انشغال العباسيين بالامور السياسية والادارية قد در عليهم الاموال والجاه والسلطة ، لكن الاتجاه الشيعي قد تفوق في بناء قاعدة شعبية علمية وفقهية وادبية واسعة ، تعمقت خلالها مواقفه السياسية برغم العداء الذي يكنه العباسيون للتشيع .

وفي فترات تاريخية مختلفة من عهد العباسيين استبدلوا معركتهم السياسية مع التشيع وقائده الامام الصادق (ع) بمعارك فكرية وادبية بغية السيطرة على المد الشيعي الذي قد يشكل قاعدة خطرة لانطلاقة عمل سياسي واسع ضد العباسيين . من هنا استدعي الامام الصادق لمناظرات كلامية وفكرية مختلفة ، حيث جند خلالها العباسيون كبار انصارهم من المسلمين وغير المسلمين . ودخل الشعراء من الفريقين في هجاء الطرف الاخر . (ولم يعترض العباسيون على ما ساقه السيد الحميري من مديح الى العلويين حتى لا ينطلق ويقتصر على مديحهم ، وهجاء العباسيين . وعاصر السيد الحميري الخلفاء ابا العباس ، والمنصور والمهدي ، وقد كان في اول الامر على مذهب الكيسانية - كما اشيع - ثم تحول الى مذهب الشيعة الامامية ، ومدح جعفر الصادق ، ولكن المسلمين اخذوا على السيد الحميري هجاءه لبعض الصحابة الذين وقفوا موقفا عدائيا من بني هاشم وخاصة الامام علي بن ابي طالب ، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة ابو بكر وعمر بن الخطاب)39

اما دعبل الخزاعي فقد جهر بعدائه للعباسيين وهجاهم بشعره ، ولم ينج منه الخلفاء المنصور والرشيد والمأمون والمعتصم والواثق بالله ، حتى تعقبه العباسيون فاضطر الى الفرار الى المغرب .
كانت فترة الامام الصادق (ع) حافلة بكنوز العلم والفقه . فقد اغنى (ع) التشيع بالفقه ، ولم يكن الصادق مرجعا فقهيا للشيعة فحسب ، بل اخذ عنه فقهاء السنة ، فابوا حنيفة قال فيه : لولا السنتان لهلك النعمان (يريد بذلك السنتين اللتين صحبه فيهما لاخذ العلم ، والشافعي كذلك كان يرجع اليه ، اما فقيه المدينة مالك ابن انس فقد استفاد من علمه وقد قال : ما رايت افضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وورعا ، ويقر اهل السنة للصادق بهذا الفضل اذ يقول صاحب التحفة الاثنا عشرية ان الائمة المتاخرين كالسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا كانوا قدوة اهل السنة واسوة لهم ، اذ علماؤهم كالزهري وابي حنيفة ومالك اخذوا العلم عنهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وروى محدثوا اهل السنة عنهم في كل فن لاسيما في التفسير احاديث كثيرة) 40. لكن ابا حنيفة ومدرسة الراي والقياس خالفوا الصادق (ع) في الكثير من المباني الفقهية .

4- ظهور الاسماعيلية

تنتسب الاسماعيلية الى اسماعيل بن الامام الصادق (ع) الذي ادعى الاسماعيليون ان الصادق (ع) اوصاه بالامامة من بعده ، وانه لم يمت بل دخل دور الستر وشوهد حيا في مدينة البصرة ، وشاء الصادق (ع) باعلان موت اسماعيل التمويه على العباسيين الذين اعدوا العدة لمطاردة وقتل من يحتملونه اماما من بعد الصادق (ع) ، ثم انتقلت الامامة من بعده الى ابنه محمد بن اسماعيل .
لكن اسماعيل في عقيدة الشيعة توفى في حياة والده الصادق (ع) ونعاه الصادق ومشى في جنازته في حضور عامل الخليفة العباس المنصور الذي كتب سجلا بوفاته ، في اشارة من الصادق على التاكيد بوفاته .
ويعتبره الاتجاه الشيعي من الرجال الصالحين الذين رافقوا الصادق (ع) (وكان الصادق شديد المحبة له والبر به ، وانه القائم بعده والخليفة له اذ كان اكبر اخوته سنا فمات في حياة ابيه بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى المدينة حتى دفن بالبقيع سنة 133 فحزن عليه ابوه حزنا شديدا وتقدم الى سريره بغير حذاء ولا رداء فامر بوضع سريره على الارض وكشف عن وجهه لازالة الشبهة عنهم في حياته وفي سنة 546 وصل الى المدينة الحسين بن ابي الهيجاء وزير العبيديين فبنى على مشهده قبة) 41 . وينفي الاتجاه الشيعي ان يكون الامام الصادق (ع) قد اوصى له بالامامة من بعده او انه قال بالبداء الذي يفيد معنى بعدم علم الله فينتقل من حال الى حال . بل ان البداء عند الشيعة ليس تقلبا في التقدير . وهو الظهور بعد الخفاء . ويرون ان الابن الاصغر موسى الكاظم (ع) هو الامام من بعد الصادق (ع) .

بينما يذهب اتجاه الخلافة الى القول بعدم صلاح اسماعيل ، وقالوا انه شارب خمر ، او اتصل بالغلاة من فرقة الخطابية اتباع ابي اخطاب الاسدي الذي لعنه الصادق (ع) لغلوه وادعائه بالوهية ائمة اهل البيت (ع) . وادعى الاتجاه السنى ان الصادق عدل عنه بعد ان عرف عدم صلاحه ، وقال بالبداء ، فقد نسبوا ذلك الى قوله : (بدا لله في اسماعيل ابني اذ اخترته قبلي ليعلم ذلك انه ليس بامام بعدي) 42 .
وذهب بعض السنة الى ابعد من ذلك ، اذ اتهموا التشيع بانه تاثر ببداء اليهودية (ففي الفصل السادس من تكوين التوراة) وراى الرب ان شر الانسان قد استفحل في الارض وتاسف في قلبه وقال امحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته . ولكن الشيعة لا تذهب في البداء مذهب اليهود الذين يرون ان الله قد بدت له امور لم يكن يعلمها ، يقول الصادق (ع) ما بدا لله شيء الا كان في علمه قبل ان يبدو لله . وعنه ان الله لم يبد له عن جهل . ولكنهم -الشيعة - يجعلون قضاء الله معلقا وحكمه مشروطا دون ان يمس هذا علمه او يفيد البداء انتقاله من حال ظن الى حال يقين "4)

وجاءت تلك المقالات في حق اسماعيل والشيعة بغرض تشويه احقية الامامة لاهل البيت (ع) ، ولا يستبعد ضلوع العباسيين في دور كبير للاثارة السلبية ضد الصادق (ع) والطعن في بيته ، خصوصا بعد ان لمع نجمه وانتشر علمه في اقاصى بلاد المسلمين ، وتعدى المحاولات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العباسية الرخيصة المدعومة بجهود المذاهب الاخرى ، (فظهور طائفة الاسماعيلية يرجع الى عوامل كثيرة تتعدى كثيرا مجرد اتهام اسماعيل بشرب الخمر او وفاته في حياة ابيه ، ويبدوا انه لايمكن الفصل بين ظهور طائفة الاسماعيلية وقيام الدولة العباسية التي قامت تحت ادعاء احقية اهل البيت في الخلافة ثم تمكن ابناء العباس ان يستأثروا بالامر دون العلويين ، ، وكان الصادق الذي عاصر هذا التحول الخطير بكل ما يتضمنه من خيبة امل العلويين بقيام الدولة العباسية لم تكت اقل صدمة عليهم من خيبة املهم باعتلاء معاوية الحكم من قبل ، لان الامر حسبما يبدوا ان العباسيين قد جنوا ثمرة كفاح العلويين "44 .

ويذهب الشهرستاني الى " ان محمد بن اسماعيل بن جعفر ، هو الذي سأل عمه ابا الحسن موسى ان يأذن له في الخروج الى العراق وان يرضى عنه ويوصيه بوصية ، فاذن له واوصاه) 45
لقد احاط الحركة الاسماعيلية غموض كبير في بداية نشوئها ، فلم يكن احد يعرف اول من دعى الى امامة اسماعيل ، وقال الاسماعيلية حول هذا الغموض ان الدعوة انطلقت في الكوفة بدور الستر . وقيل (انها نشأة على يد رجل من اهالي خوزستان لم ينشر اسمه ولم يبح بنسبه ، وكان ذلك سنة 278هـ . وكان هذا الرجل يصوم نهاره ويحي ليله بالعبادة ، ويرتزق من كد يده ويدعو الناس الى المذهب الاسماعيلي ، ولقد التف حوله جمع كثير ، اختار بينهم اثنى عشر نقيبا ، ثم توجه الى الشام وغاب خبره . ثم بعد ذلك ظهر شخص آخر في العراق باسم (قرمط) وبدأ ينشر تعاليم الباطنية . والغى الصلاة اليومية الاسلامية محدثا نموذجا آخر من الصلاة بدلا منها ، كما الغى غسل الجنابة واباح الخمر . وقارن ذلك قيام دعاة آخرين من الباطنية ، مما ادى الى اصطباغ الدعوة الاسماعيلية بصبغة الباطنية)46

بعد اتفاق الحسين الاهوازي مع قرمط حمدان ابن الاشعث على مذهب واحد ، استقل قرمط بدولته وخالف الاسماعيلية حتى انكر الفاطميون على لسان مؤسس دولتهم المهدي عبيد الله العلوي عليهم افعالهم ولعنهم ، وحاربهم الفاطميون بعد ان حاولوا السيطرة على دمشق.

فالقرامطة تطرفوا في عقيدتهم وسياستهم . وعرف من بين قادتهم ابو سعيد الحسن الجنابي الذي تزعم القرامطة في عمليات سلب ونهب وقتل وسبي ، (وارسلت اليهم الدولة العباسية جيوشها التي كانت تنهزم امام القامطة . قتل الجنابي في احدى المعارك عام 301هـ بعد ان استولى على سائر بلاد البحرين وكان قد ولى ابنه (ابا طاهر سليمان الجنابي) فتابع سيرة ابيه فهجم البصرة عام 311هـ فدخلها بعد قتل حاميتها , ووضع السيف في اهلها واقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من المال والامتعة والنساء والصبيان ثم عاد الى بلده ومنها توجه الى طريق الحجاج . فالتقى بقافلة منهم فاوقع فيهم القتل والسلب .. وقلعوا الحجر الاسود وارسله الى هجر ... وقلع باب البيت وقتل الحجاج في المسجد الحرام وطرح القتلى في بئر زمزم . ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير تغسيل ولا صلاة ولا كفن . واخذ كسوة البيت فوزعها على اصحابه . ونهب دور اهل مكة) 47

وهناك قول اخر في نشوء الاسماعيلية لم يثبت تاريخيا ، يفيد بانها فرقة ظهرت منذ بدء الكون لكن التسمية بالاسماعيلية عرفت منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل (ع) ، ولكن الاسماعيلين حافظوا (على سريتها التامة طيلة العصور الماضية وجعلوا المعرفة عنها مقتصرة على طبقة خاصة من الدعاة الى ان تحولت الى دعوة سياسية عام 259هـ وعندما بحثوا تسلسل الامامة لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجعلوا تسلسلها من اسماعيل بن جعفر الصادق فحسب بل ذهبوا الى ابعد من ذلك . وحجتهم ان الامامة اذا كانت قد بدات من هذا العهد المبكر فتكون محدثة ولا يقوم وجودها على اساس متين ، وانهم ذهبوا الى عهد بدء الخليقة المعروف بعهد آدم فطبقوا قواعد الامامة تطبيقا دقيقا ، وسلسلوا الامامة تسلسلا منطقيا مرتكزا على النصوص التي وردت في التوراة والانجيل ، ثم اضافوا الى ذلك قولهم : بالادوار والاكوار فقد جعلوا كل دور يتألف من امام مقيم ورسول ناطق او اساس له) 48

ويذهب بعض الباحثين الى ان الاسماعيلية نشأة على يد (ميمون القداح) بعد مقتل ابي خطاب الذي كان يوما مقربا من الصادق (ع) ، حيث تحول اتباعه بعد وفاة قائدهم الى القول بامامة اسماعيل ثم من بعده ابنه محمد بن اسماعيل الذي جاء في المرتبة السابعة بعد الائمة من ولد علي (ع) حتى الصادق ومن ثم اسماعيل ، وبعد اسماعيل استتر ائمتهم . فلم يعد الامام الصادق بالنسبة لهم اماما يمكن تبنيه قائدا لهم ، خصوصا بعد لعنه ابي الخطاب لغلوه ، وفي ذلك اشارة واضحة الى فشل ابي الخطاب في استيعاب الصادق (ع) كقائد وزعيم لفرقته في ظل تموج شعبي وحركات ثورية تسعى للتغير ولكنها تعاني نقص التوجيه السليم من قبل قائد ياخذ بها بعيدا عن تلك الضربات الموجعة التي يقوم بها السفاح والمنصور .
وربما كان الاسماعيليون بقيادة ابي الخطاب قد اطلقوا على انفسهم هذا الاسم بعد محاولات بذلوها لجذب اسماعيل الى صفهم بعد ان فشلوا في كسب رضا والده الصادق (ع) (فالغلاة اتصلوا باسماعيل ، وذلك حين تبرا منهم ابوه وانهم حاولوا التاثير فيه وجذبه الى صفوفهم ، وكان اسماعيل في ميعة الصبا ... فلما تدخل ابوه خلصه منهم وعاد الى رحابه كاملا) 49

ولعب (ميمون) الذي يحتل مكانة خطيرة في الدعوة الاسماعيلية دورا خطيرا في هذا الامر حتى ذهب البعض الى القول ان (ميمون) هو نفسه محمد بن اسماعيل . وذهب اتجاها الخلافة والعباسي في محاولة لتشويه حركة الامام الصادق (ع) الى القول (ان ميمون من نسل ديصان الثنوي الذي تنتسب اليه فرقة الديصانية والمجوسية) ...ودخلت الدعوة الاسماعيلية على يد عبد الله بن ميمون - الذي كان متضلعا بجميع الشرائع والسنن والمذاهب - في دور جديد ... وعادت عليه الدعوة بالاموال الطائلة ، وكان يخفي دعوته وراء ستار التشيع والعلم ، وحاول ان يتنبأ فلم يجد استجابة ، وثارت ضده الشيعة والمعتزلة ، واقتحموا داره فهرب الى البصرة ، ومعه داعية من دعاته هو الحسين الاهوازي ، ودعا الى محمد بن جعفر الصادق ، ولكنه ما لبث ان هرب هو وداعيته الى (سلمية) حيث رزق بابنه احمد الذي تولى الدعوة من بعد ابيه ، وبعث الحسين الاهوازي داعية الى العراق وهناك التقى بحمد ابن الاشعث المعروف بقرمط - الذي اقام دولة القرامطة - ، في سواد الكوفة ... واستمرت الدعوة الاسماعيلية في طريقها حتى نجحت في تمهيد بلاد المغرب لقيام الدولة الفاطمية) 50

ان الدور الذي قام به عبد الله بن ميمون فيه الكثير من الوضع المسرف (فان بني علي بن ابي طالب (ع) قد كانوا آنذاك على غاية من وفرة العدد وجلالة القدر عند الشيعة فكيف الحال لشيعتهم والاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي او يهودي فهذا لايفعله احد ولو بلغ الغاية في الجهل ، وانما جاء هذا الادعاء من قبل خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم ببلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو اربعين خطبة ... ويقول برنارد لويس : ان التهم التي وجهت الى اصل الفاطميين من قبل المؤرخين يتحمل اللوم فيه على تكتم الحركة ونظامها الشبيه بالماسونية والحجاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكثيف الذي يخفي عقائدها واشخاصها على غير المنتمين اليها كل ذلك صعب مهمة المؤرخ) 51
هناك مغالطة كبيرة في امر ميمون القداح ونسبة تاسيس الاسماعيلية اليه ، ويرجع الامر الى دور العباسيين الذين كانوا اكثر خبرة من الامويين في مواجهة الاطراف المعارضة . فالامويون كانوا يعتمدون الصدام المباشر بحكم قواهم العسكرية التي بناها معاوية في الشام على اسس صلبة معززة بجهل اهل الشام بطبيعة الصراع الذي نشب على عهد الرسول (ص) مع القوى الجاهلية وما خلفه هذا الصراع من احقاد وثارت ضد آل بيته (ص).

فالعباسيون اعتمدوا دورا سياسيا ممهدا للقضاء على الجهات المعارضة قبيل الشروع في المواجهة العسكرية المباشرة . فعبد الله بن ميمون هو من صحابة الصادق (ع) المخلصين الذين عرفوا بالرواية عن الصادق (ع) والدعوة له ، وليست له صلة بما ادعي من دور سياسي وتأسيس للاسماعيلية . والذي يلفت النظر فيما كتبه بعض كتاب الفرق (انهم يحاولون الصاقهم - القرامطة - بالشيعة ، ولذلك يجعلون عبد الله ابن ميمون القداح ووالده من ابطال دعوتهم ، مع ان عبد الله بن ميمون قد عاصر الامامين الباقر والصادق وروى عنهما وكان من الثقات ، وله كتب منها مبعث النبي (ص) وكتاب في صفة الجنة والنار ، وقد ذكره الطوسي في كتابه فهرست اسماء المصنفين ، كما ذكره كل من النجاشي والكشي . وفي منهج المقال للميرزا محمد ، ان ابا جعفر محمد بن الباقر (ع) قال له يا ابن ميمون : كما انتم بمكة ؟ قال نحن اربعة ، قال : انكم نور الله في ظلمات الارض . .. واكثر المؤلفين في الرجال وصفوه بالوثاقة والاستقامة في دينه وعقيدته ، ومن ذلك تبين ان عبد الله بن ميمون القداح ، ووالده ميمون كانا من شيعة اهل البيت ورواة احاديثهم ، ولم يرد في عبد الله ما يشير الى الطعن عليه في شيء مما وصفه به الشهرستاني والفقيه اليماني محمد بن مالك في كتابه اسرار الباطنية واخبار القرامطة ... فالعصر الذي وجد فيه عبد الله القداح ووالده لا يتفق مع العصر الذي ادعاه الشهرستاني ، ولا مع العصر الذي ظهر فيه القرامطة) 52
ولما استتب الامر للاسماعيلين في مصر والمغرب ، وفشل العباسيون في انهاء حركتهم ، (جمع القادر بالله الخليفة العباسي العلماء ، وفيهم القاضي ابو محمد ابن الاكناني ، ووضعوا سجلا في نسبهم - الاسماعيليين - الذي ينتهي الى ميمون القداح ، وقد وقعه جماعة من العلماء منهم ابو حامد الافراييني ، وابو عبد الله الصيمري ، وابو الحسن القدوري ، وابو الفضل النسوي ، والشريفان المرتضى والرضي كما جاء في كتاب كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة - لمؤلفه الفقيه السني محمد بن مالك اليماني)53

وهنا يبدو الامر صريحا في الوضع ، فهذا الجمع الفقهي الذي ادان الاسماعيلين - وانتهى في نسبهم الى ميمون بسجل موقع من قبلهم - كان مختلقا ، او ان بعضهم اضيف قسرا دون موافقته . فالشريف الرضي والمرتضى من كبار رجالات التشيع الذين عرفوا برفضهم للدولة العباسية وولائهم لاهل البيت (ع) :
لقد ايد الرضي صحة نسب الاسماعيلين الى العلويين وذلك في ابيات له :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي
البس الذل في ديار الاعادي وبمصر الخليفة العلوي
من ابوه ابي ومولاه مولاي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد النا س جميعا محمد وعلي) 54

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وربما وقع الرضي ذلك خوفا من الخليفة العباسي ، وان ما اورده ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة افاد بان الرضي امتنع عن التوقيع وان الخليفة القادر شكاه الى والده .

واشار المقريزي الى ذلك في كتابه (ان العباسيين بعد ان ضعفت دولتهم وتداعى ملكهم ، واصابهم الانقراض والتفكك ، وعجزوا عن مقاومة الفاطميين ... التجأوا الى الطعن في نسبهم ، ليسودوا صحائفهم ، وليجبروا الناس على كراهيتهم ، وان القضاة الذين سجولوا شهادة الطعن عليهم في بغداد كانوا من الد اعداء الفاطميين ، ومن اخلص شيعة بني العباس . ولم يعرف عنهم التجرد والنزاهة والصدق ، بل اشتهروا بكراهيتهم وبغضهم ونقمتهم على آل علي بن ابي طالب (ع)) 55

ويذهب ابن خلدون في مقدمته : ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيدين، من خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيهم عن اهل البيت (ص) ، والطعن في نسبهم لاسماعيل بن الامام جعفر الصادق (ع) يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء العباس تزلفا اليهم ، ومضى يسرد الادلة على صحة نسبهم ، وقال اخيرا : والذين سجلوا نفيهم عن اهل البيت من الاعيان والعلماء في ايام الخليفة العباسي القادر انما حكموا بذلك على السماع من الناس شيعة بني العباس) 56

استتر الائمة الاسماعيلين منذ محمد بن اسماعيل الذي فر مع عدد من اصحابه من العراق خوفا من ارهاب العباسيين ولجأوا الى مدينة سلمية بالشام بالقرب من مدينة حماه ، وفيها نشروا دعوتهم بين القبائل البربرية في الخفاء ، ثم باشروا في ابتعاث عدد من دعاتهم الى ارجاء مختلفة من عالمنا الاسلامي . وقد (ادرك المأمون خطر هذه الدعوة فاراد ان يقضي عليها فقرب اليه الامام الرضا (ع) وعهد اليه بالخلافة بعده وتتبع عبد الله الرضي - الذي تولى خلافة الاسماعيلية بعد محمد بن اسماعيل - فقتل اغلب اسرته وابنائه ، لكنه تمكن من الوصول الى الشام ... وعاش هناك مدعيا انه هاشمي) 57

فرق اتجاه الخلافة

استطاع الاتجاه الشيعي الذي كان طرفا معارضا لدول اتجاه الخلافة المتعاقبة ان يصمد امام المحاولات السياسية المتعددة لاختراقه او حرفه عن اتجاهه الصحيح . وقد عرفنا ان الفرق الاسلامية المختلقة التي نسبت اليه لم تستطع ان تشكل خطورة على مساره ، فقد ساد بعضها اعلاميا ولفترات تاريخية قصيرة جدا لكنها ما لبثت ان بادت وانتهت ، او ظهرت حقيقة بعدها عن الاتجاه الشيعي . وبقي الاتجاه الشيعي محافظا على مساره الصحيح ، وقدر على رفد كيانه بتراث علمي وفقهي عظيم لا يختلف وسطه عن طرفاه .

من جهة اخرى تصارعت الدول المتعاقبة في تمثيل اتجاه الخلافة ، واكدت على ذلك بصناعة فرق عقائدية وفقهية مختلفة ، كل منها يمثل الواقع السياسي للدولة التي تبنته . وتقاذفت الحكومات المتعاقبة هذه الفرق ، فنجد ان بعضها ساد عدد من المجتمعات الاسلامية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد دخولها معركة حامية مع فرق اخرى مثلت دولة بائدة في احيان كثيرة . ففرق الدولة الاموية لم تكن مستحبة عند فرق الدولة العباسية وقد نالت بعض فرق الامويين تعاطفا من قبل بعض خلفاء العباسيين ، الا ان ذلك قد اظهر الكثير من المصالح الانية التي انتهت الى تقويض هذه الفرق .

وبمقدار قرب هذه الفرق من السلطات كانت حركتها في الدولة الاسلامية اكثر اتساعا . ووجد الحاكمون في بعض فرق الخلافة المتعددة عوامل بقائهم واستمرارهم في السلطات بعد ان نفذت اسلحتهم في مقاومة قوى المعارضة التي برزت هنا وهناك احتجاجا على وجودهم اللاشرعي في سدة الحكم ، او لسلوكهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي غير السوي .

وكان العامل الاهم في نشوء فرق اتجاه الخلافة باشكالها المتناقضة عقائديا وسياسيا في احيان كثيرة ، هو الارث السياسي المتناقض الذي تمخض عن سنة الخلفاء فضلا عن الاجتهاد المستقل بالراي الذي كان صبغة تغلبت على جميع انماط السلوك الديني لكافة فرق اتجاه الخلافة .

السلوك السياسي الموروث عن الخلفاء اصطدم بحالة التوسع الجغرافي الذي نتج عن الفتوحات الكثيرة والمتتالية . فدخول اقوام جديدة الى الاسلام تحت ظل دول مضطربة الفكر والسياسة والعقيدة ، تتقاذفها اهواء الامراء والملوك ، ساهم في زيادة عوامل الشقاق بين فرق اتجاه الخلافة . فالامر لم يكن محصورا في الدعوة الاسلامية في مناطق قليلة السكان كالمدينة ومكة ، بل ان شمال افريقيا وشرق اسيا التي تميزت بعمق بشري اضيف الى بقية بلاد المسلمين كالعراق والشام .

وان كانت العامة من المسلمين قد تاثرت بما كانت تحمله الشعوب الجديدة في اسلامها من معتقدات وافكار يونانية او فارسية معوجة ، فان رؤساء الفرق قد جمعوا الكثير منها كمؤيدات مساندة ، او انهم اعتزلوها او رفضوها واتخذوها ندا ، ولكن الاخطر من كل ذلك ان الامراء اتجهوا الى هذه الافكار والمعتقدات ليستقوا منها ما يبرر سلوكهم ويعينهم على مواجهة الرعية والتخلص من مواقفهم المعارضة ، ثم البسوا هذه المعتقدات والافكار صفة اسلامية او غضوا الطرف عن انتشارها ورواجها . ولذلك سادت الشام والعراق وفارس وخراسان فرق متعددة منها ، الجبرية والقدرية والمرجئة . واذا كانت الدولة الاموية قد سادتها اعداد محدودة من الفرق المختلقة ، فان عهد الدولة العباسية قد تميز بتضاعف الفرق والمذاهب وتشعبها حتى قسمت المسلمين الى اجزاء متناقضة ، ومتضاربة .

1 - الجبرية والقدرية

الاحداث السياسية المتلاحقة في بلاد المسلمين كانت تتطلب تحديد موافق خطيرة بين العامة من المسلمين . والصراع السياسي لم يكن محصورا بين الامراء او ذوي الاطماع الذين انتشروا في العواصم ، بل ان كل امير كان يجر وراءه الالوف من المسلمين بغية تحقيق اهدافه . وكان كل مطالب بالزعامة يدعي انه الاجدر بالامارة والولاية ، خصوصا وان مثلا لنظام سياسي واحد لم يكن متبلورا لدى اتجاه الخلافة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالخلفاء الراشدون جاء كل واحد منهم بمثال يختلف تماما عن سابقه ، ولم يكن هناك استعداد وجراة لاختيار الامثل منها المنسجم مع تعاليم القران والسنة الشريفة . فالامام علي (ع) جمع في ولايته بين النص والاختيار ، وهو المثال الذي دعى اليه الرسول (ص) وعينه خليفته . بينما كانت النماذج الاخرى يشوبها الكثير من الشبهات التي تطلبت الكثير من العناء لدى اتجاه الخلافةي لتاويلها بشكل يكون اقرب الى القبول . وانتهى التاويل الى دور للاجتهاد بالراي الذي قام به الصحابة ودعموه بالمصالح العامة ، وهو العامل الذي شكل الخطورة الكبرى على مصير المسلمين ووحدتهم .

فمن كان منهم يجد نفسه ذات مكانة علمية او اجتماعية او سياسية ، حاول ان يثبتها براي مستقل عن من حوله من المسلمين . وكانت تلك الارادة المحركة للراي والاجتهاد محط جدل بين اصحاب الفرق ، استغلتها السياسة اسوء استغلال . فالاحداث المتتابعة جرت وراءها الكثير من المواقف المناقضة او المؤيدة او المحايدة . وربما كان مقتل عثمان بن عفان قد زاد الطين بله .

ففي بادئ الامر كان الصراع بين وصريح بين الاتجاه الشيعي واتجاه الخلافة فقط ، لكن مقتل عثمان وما تبعه من احداث انتهت الى مقتل الامام الحسين (ع) احدث هزة عنيفة في مراكز قوى الخلافة نفسها ، جعل البعض منها يعيد النظر في مسار الخلافة وطبيعتها التي ابتدات عند ابي بكر وانتهت بملك اموي قيصري .

هذه العوامل جعلت من اليسر على كبار المسلمين ان يتجرأوا على اصول الاسلام وفروعه ، وساهم في نفاذ مزاعمهم المنحرفة التخبط الذي اصاب العامة نتيجة الاحداث المتناقضة التي هدت بيت المسلمين . فيكفي ان يقيم احدهم موقفا سياسيا متضاربا مع غيره ، فان هذا الموقف ينتهي غالبا الى قيام فرقة سياسية تكون نهاية مطافها التحول الى فرقة دينية لها عقائدها واصولها وفروعها المختلفة .

فالجبرية موقف سياسي اموي صريح من تعدد الاتجاهات السياسية والدينية الثورية المعارضة للدولة الاموية ، ومحاولة خبيثة لنشر فكر الجمود والقعود والاستسلام للواقع المزري للمساهمة في انفضاض المسلمين من حول قادة الحركات السياسية المعارضة .

والجهم بن صفوان احد رواد الجبرية ، ومثل الرؤية الاموية في سلطانها ، ورؤية المسلمين التي توجب عليهم ان يتخذوها حيال هذه السلطة ، وتقول هذه الرؤية : (ان الانسان لايقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وانما هو مجبور في افعاله ، لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار ، وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب اليه الافعال مجازا كما تنسب الى الجمادات ، كما يقال : اثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيمت السماء وامطرت ، واهتزت الارض وانبتت ، الى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، كما ان الافعال كلها جبر . قال : اذا ثبت الجبر فالتكليف ايضا كان جبرا)58

وكان الجبر عقيدة المشركين من قبل مجئ الجبر ، وجاء على السنتهم على عهد الرسول (ص) . وذهب القرءان الكريم الى تكذيب ما ذهبوا اليه من فكر جبري ، حيث انهوا شركهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشرك ابائهم الى ارادة الله سبحانه ، لكنه سبحانه وتعالى يقول : (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون . الانعام /148) .

وقيل ان الجبر كان عقيدة الفرس (وقد جاء رجل الى النبي (ص) فقال له : رايت اهل فارس ينكحون بناتهم واخوتهم ، فان قيل لهم لم تفعلوا ذلك ؟ قالوا : قضاء الله وقدره ، فقال (ص) : (سيكون في امتي من يقول هذه المقالة ، واولئك مجوس هذه الامة) 59

وارجع بعض الباحثين عقيدة المجبرة الى عهد عمر بن الخطاب وعثمان والامام علي (ع) (ففي خلافة الفاروق نفي ابن صبيغ عن المدينة للبصرة لقوله بالجبر ، وفي ايام عثمان قال له البعض من الثائرين في اثناء الحصار حينما احتج عليهم ، نحن ما رميناك ، ولكن الله رمى . وفي خلافة علي (ع) سئل عن مسير الجيش لحرب صفين ، هل كان بقضاء الله) 60

ربما كان هناك اختلاف في منشأ الجبرية ورائدها ، لكن رواجها الواسع على عهد الدولة الاموية انطلاقا من الشام اول قاعدة لها ، يضاف الى ذلك ان اثرها كان سياسيا على المجتمع الشامي ، كل ذلك يؤكد ان اطرافا اموية كانت وراء نشوئها ورواجها ، خصوصا وان هناك بعض الاقوال تفيد ان معاوية كان اول المروجين والمنتفعين بالجبر . حيث ادعى ان امرته على المسلمين كانت من الله ، والناس ليست لهم ارادة في ذلك ، وهم مجبرون على قبولها وان كانوا كارهين لها .

فقد قال لاهل الكوفة (يا اهل الكوفة ، اتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج ؟ وقد علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكني قتلتكم لاتأمر عليكم ، وقد اتاني الله ذلك وانتم له كارهون)
ويقول د. محمود اسماعيل في (الحركات السرية في الاسلام) : ان معاوية اول من قال بالجبر ودعا اليه ودافع عنه وسخر من اعوانه الرواة من يضع له الاحاديث التي تدعمه ، وكان يرى ان ذلك عذره في كل ما جنته يداه من المنكرات والموبقات) 61

وايد ذلك قول للقاضي عبد الجبار في (المغني ج4/8) (ان معاوية اول من قال بالجبر واظهره ، واظهر ان مياتيه بقضاء الله ومن خلقه ليجعله عذرا فيما ياتيه ويوهم انه مصيب فيه ، وان الله جعله اماما وولاه الامر ، وفشا ذلك بين ملوك بني امية)62(وكان سرجون المسيحي كاتب معاوية وكاتم اسراره على راس الجبرية)63

ويذهب الشهرستاني في الملل والنحل الى شخصية اخرى كانت رائدة في الجبر (فان مصدر القول بالجبر الجعد بن درهم اخذه عن يهودي بالشام واخذ الجعد ذلك عن ابان بن سمعان واخذه ابان عن طالوت بن عاصم اليهودي) 64

وربما كان الجعد هو واجهة معاوية لترويج فكرته والدعوة لها ، فهو (ممن لازم الامويين وتولى لهم تربية اولادهم ... ولانه كان من دعاة هذه الفكرة ، والعاملين على اشاعتها كان مقربا من قصور الخلفاء ومحاطا بعنايتهم ، لان فكرة الجبر تخلق لهم المبررات لتصرفاتهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانهماكهم في الملذات والشهوات . وروى ابن قتيبة ، ان عطاء بن يسار كان قاضيا للامويين ، ويرى راي معبد الجهني ، فدخل على الحسن البصري ، وقال له : يا ابا سعيد ، ان هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ، وياخذون اموالهم ، ويقولون انما تجري اعمالنا على قضاء الله وقدره ، فقال الحسن البصري ، كذب اعداء الله ، ولقد راج هذا المذهب وانتشر بين جماهير المسلمين ، وليس ببعيد ان يكون للحكام اثر في رواجه وانتشاره) 65

واعتبر جعد بن درهم حسب تصنيف رجال الجبرية صاحبا او مؤسسا للمذهب ، لكن ناشره هو جهم بن صفوان وهو (ابو محرز جهم بن صفوان . وكان مولى لبني راسب من الازد واصله من (سمرقند) وقد اخذ (مزيته) عن الجعد بن درهم . وكانت خاتمة حياة جهم ان خرج على الدولة الاموية مع الخارجين فوقع في الاسر بيد القائد (مسلم الاحوازي) فقتله سياسيا لا دينيا وكان ذلك عام 128هـ) 66

ويبدو ان الدولة الاموية قد رسمت مخططها على اساس دعم الجبرية ونشرها في فترة مرسومة بدقة ، بحيث لا تتعداها ، كما رسم للجعد وصاحبه الجهم ادوارا محددة لا يمكنهم تعديها ، وبعد ان حققت الجبرية اهدافها ، واريد لها الرواج مع طمس حقيقة منشئها ، راحت الايدي الاموية مؤكدة على قتل رجالات الجبر ، فقد قتل الجعد والجهم .

(ولذلك نجد هشام بن عبد الملك . الذي اظهر الجعد آراءه في ايامه يامر بالقبض عليه ويرسله الى واليه على العراق (خالد بن عبد الله القسري) ويامر بقتله فيحبسه (خالد) ولا يقتله ، فيعلم بهذا هشام . فيكتب الى (خالد) يلومه . عندها عجل خالد بقتله . بعد ان خطب خطبة عيد الاضحى وقال في آخرها : انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم . فاني اريد ان اضحي اليوم بالجعد بن درهم . فانه يقول (ما كلم الله موسى . ولا اتخذ ابراهيم خليلا) فتعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم ذبحه) 67

وقد لعبت بعض الايادي الخفية من اولئك الذين ينتسبون الى ديانات مختلفة دورا مساهما في انتشار فكرة الجبر ، حيث استغلوا الفرص الكبيرة التي وفرتها الدولة الاموية لرواج هذه الفكرة لتغليب عقائدهم وافكارهم . ذلك ان الجبر يبرر اعتناق تلك العقائد مما يساهم في نموها والقبول بها كطرف نظير للاسلام .(فشاعت فكرة الجبريين ووجدت منفذا الى العقول والافكار وتحمس للدفاع عنها عدد كبير من المفكرين والباحثين وبخاصة القضاة والحكام وهؤلاء يرحبون بها لانها تضع مسؤلية تصرفاتهم وجورهم على الخالق ، وتسهل لهم ممارسة الشهوات والملذات)68

ولم يكن الجبر لوحده قادرا على الوقوف على طرفيه، لكن قدسية الحديث النبوي قد انتهكت ، ووضعت الالوف من الاحاديث التي تؤيد تبني الجبرية معتقدا . وادخل القرءان ايضا هذه المعركة ، وحرف تفسيره . وكانت الدعوة للاخذ بظواهره دون اعتناء عاملا في تفسير مشيئة الله تعالى بطريقة تؤكد تسيرها للانسان دون ارادة منه . وكانت الاحاديث في ذلك (تنتجها باستمرار معامل بعض الصحابة وتابعيهم كابي هريرة وعروة بن الزبير وسمرة بن جندب والزهري وامثلهم من الاوفياء لقصور الخلفاء وموائدهم الشهية الطيبة ... وقد وجد الحاكمون في هذا المذهب اعز امنيهم واغلاها ... حيث يحكمون ويظلمون وتسلطون على عباد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحققون ارادة الله سبحانه وجميع ما جرى على ايديهم من قتل الحسين وغيره من آلاف الصلحاء) 69

لقد كان على راس اهداف الجبرية تحقيق قبول سياسي بالدولة الاموية في مناطق اخرى غير الشام التي اعتبرت معقلا مضمون الولاء للامويين ، وكان اختيار الجهم بن صفوان لخراسان وسفره اليها بعد مغادرته من الشام اول خطوة على هذا الطريق . فخراسان كانت تشكل قاعدة للمعارضة السياسية التي قادت المواجهة المسلحة ، وفيها كان العباسييون والعلويون يمارسون ادوارا خطيرة ضد الامويين ، وقدروا على كسب مراكز قوى مختلفة لاعداد العدة للانقضاض على السلطة الاموية . وربما كان الدور السياسي للامويين قد تخلخل وفقد هيبته ، فجاءت الجبرية بظاهر ديني قد يكون اكثر تاثيرا للحد من اتساع قواعد القوى المعارضة .

لكن الجهم بن صفوان لم يكن بالشخصية المعززة لدى الامويين برغم ما قدمه من خدمة كبيرة لهم . (فالعامل السياسي صبغ هذه النحلة - الجبرية - بصبغة دينية القصد منها توطيد الحكم الاموي . واننا نرى احد ملوك بني امية لما اعتنقوا عقيدة الاعتزال عملوا على الخلاص من جهم بحجة مرافقته للحرث بن سرح والتبشير بمبادئه)70

وفي الوقت الذي اتجهت فيه المعارضة للدولة الاموية باتجاه سياسي او عسكري ، كان لاتجاه اهل البيت (ع) الدور الاكبر في الكشف عن حقيقة الجبر وفرقة الجبرية التي اقامها الامويون بعد ذلك .
فالامام علي (ع) قال في الجبر : لو وجدت رجلا من اهل القدر لاخذت بعنقه ولا ازال اضربه حتى اكسر عنقه ، فانهم يهود هذه الامة) 71

وخاض الامامان الباقر والصادق (ع) اعنف المعارك العقلية والمنطقية ضد دعاة الجبر والتفويض وانتشارهما . وساهم دورهم في ذلك الى تراجع جماعة عن تلك الافكار والحد من عنادهم ، واعلنوا العقيدة الصحيحة والراي السديد في التوسط بين الامرين فقالوا (ع) : (لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين . وخلاصته : ان افعالنا من جهة ، هي افعالنا وتحت قدرتنا واختيارنا ، ومن جهة اخرى ، هي مقدورة لله تعالى ، وداخلة في سلطانه ، فلم يجبرنا على افعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي ، لان لنا القدرة على الاختيار فيما نفعل ، ولم يفوض الينا خلق افعالنا حتى يكون قد اخرجها عن سلطانه ، بل له الخلق والامر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد)72

وقال د. محمود اسماعيل في كتابه (الحركات السرية في الاسلام) ان اهل البين - اي الامر بين امرين - كانوا يمثلون اقوى احزاب المعارضة لسياسة الحاكمين من حيث تبنيهم لقضية العدالة بالمفهوم الاسلامي كما اكدها الاسلام وكانت ابرز دعواته)73

وكرد فعل على الجبرية الاموية اسست القدرية القائلة بنفي القدرة عن الله سبحانه وتعالى واسنادها الى العباد (وقد ذكر المؤلفون في الفرق والاعتقادات ان اول من تكلم في القدر رجل من اهل العراق كان نصرانيا دخل الى الاسلام ورجع عنه ، ومنه اخذ معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، فتولى معبد الجهني نشر فكرة القدر بمعنى الاختيار في العراق ، وتولى نشرها في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشام غيلان الدمشقي ، واستمر معبد في نشر الفكرة زمنا طويلا ، واخيرا انضم الى عبد الرحمن بن الاشعث في ثورته على الامويين . فلما انهزم ابن الاشعث كان معبد الجهني من جملة الاسرى ، فقتله الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقيل ان الذي تولى صلبه عبد الملك بن مروان . واما غيلان الدمشقي فقد تولى نشر فكرة الاختيار والدعاية لها بالشام ، وقد جرت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مناظرة حولها ، واستطاع ان يقنعه بفساد هذه الفكرة ، فوعده غيلان بالرجوع عنها . وكان من نتيجة ذلك ان ولاه عمر بن عبد العزيز بيع ما في خزائن الامويين من التحف والذخائر فتولى ذلك ، واكثر من السباب والشتائم للامويين الماضين ، فاضمرها له هشام بن عبد الملك . فلما تولى الخلافة استدعاه هو والفقيه الاوزاعي ليتناظرا في القدر ، ولما افحمه الاوزاعي ، امر هشام بن عبد الملك بقتله فقتلوه بعد ان قطعوا يديه ورجليه 74)

وقيل ان ان غيلان نفسه قد عرض المشاركة في دولة عمر بن عبد العزيز (وروي ان عمر بن عبد العزيز دعاه وناقشه وانه قال له : أعني على ما انا فيه ، فقال له غيلان : ولني بيع الخزائن ورد المظالم ، فولاه ، فكان يبيعها وينادي عليها قائلا: تعالوا الى متاع الخونة ، تعالوا الى متاع الظلمة ، تعالوا الى متاع من خالف رسول الله (ص) في امته بغير سنته وسيرته) 75

فقد انتهى دور كل من معبد الجهني وغيلان الى التصدي للعمل السياسي بالمشاركة في ثورة الاشعث والمشاركة في ادارة دولة عمر بن عبد العزيز ، وكانت المواجهة الاموية المباشرة لهم قد افضت الى قتلهم ، ليس لكونهم من المشاركيم في المواجهة العسكرية فحيب ، بل لدورهم في استنهاظ المسلمين بعقيدة التفويض المناقضة للفرقة الاموية الجبرية .

(لكن غيلان لم يتوقف عن دعوته وحتى وهو على خشبة الصلب ، فلقد مر به هشام وهو مصلوب ، فقال لغيلان : كيف ترى ما صنع بك ربك ؟ فالتفت غيلان وقال : لعن الله من فعل بي هذا . اراد هشام ان ينسب فعله القبيح الى الله ، فنسب غيلان الفعل الى فاعله الحقيقي ، فعبر عن ايمانه برايه في مسؤولية الانسان عن افعاله حتى الرمق الاخير) 76

وقد اطلق على اتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي اسم القدرية والمفوضة (وقد سموا بالقدرية من باب تسمية الشيء باسم ضده فهم ضد من يقول بالقدر وينفون القول ان الاشياء مقدرة ازليا وهم وان كانوا نفوا القدر عن الله واثبتوه للعبد فاطلق عليهم تجاوزا اسم القدرية ، والاسم الذي يكشف عنهم ويدل عليهم دلالة صريحة هو كلمة المفوضة ، اي ان الانسان مفوض في تصرفاته حر في اعماله لقوله تعالى : (انا هديناه النجدين اما شاكرا واما كفورا .

ويقول الشهرستاني : ان اول من اعتنق عقيدة القدرية ثلاثة من اعلام الامة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري ... ونظر- معبد - الى ما يحيط به فوجد ان الحكم الاموي المسيطر على العراق يتجه نحو سياسية خاصة فهو قد حجر على الحريات ونسبها الى الدين فهاله ذلك الامر فقام بفكرته ونشر معتقده في العراق وسكان العراق يمقتون الامويين . فقد عانوا منهم الشدائد وذاقوا من ولائهم الامرين ولم يروا منهم ما تطمئن اليه النفوس) 77

وتجعل كتب التاريخ والمذاهب مصدرين لمذهب غيلان الدمشقي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاول : هو الحسن بن محمد بن الحنفية ، فقد اخذ عنه فكرة الارجاء وروى ان الحسن كان يقول اذا راى غيلان في الموسم : اترون هذا ؟ هو حجة الله على اهل الشام ، ولكن الفتى مقتول .
اما الثاني : فما ذكر من انه اخذ فكرته في القدر عن معبد الجهني وهو من التابعين ... وعلى هذا الاساس فافكار غيلان هي مزيج من الارجاء في الايمان ، والقدر على مذهب القدرية) 78
(وعده المرتضى - غيلان- في المنية والامل من طبقات المعتزلة) 79

وقد جرت العادة بين كل فرقة سواء كانت سياسية او عقائدية ان تحدد موقفها من الامامة ، لكون امرها جدلا ضرب اطناب المسلمين منذ التحول الكبير عن امامة علي (ع) الى خلافة ابي بكر . واما القولين بالجبر او القدر فهما بمفهومهما الصريح يقبلان خلافة ابي بكر وعمر وعثمان ، فاما ان تكون خلافتهما جبرا او قدرا ، وكلا الامرين يعطيان الخلافة باشكالها المتناقضة كامل الشرعية ، لكن قولهما بجواز الامامة في غير القرشي (بشرط ان تكون امامته باجماع المسلمين وان كل من قام بالكتاب والسنة له الحق بتولي الامامة) 80 ربما جاء بوحي من الدولة الاموية كما في الجبرية وذلك بقصد اضعاف الاتجاهات السياسية المنضوية تحت لواء القادة القرشيين سواء من العباسيين او العلويين . او ان القول بجواز الامامة لغير القرشي جاءت كرد فعل على الدور السلبي الذي لعبته القيادة الاموية والعباسية وما تبع هذا الدور من معارك طاحنة .

2 - المرجئة

(جاء عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) ان النبي (ص) قال : صنفان من امتي ليس لهم في الاخرة نصيب المرجئة والقدرية . وجاء عن زيد بن علي بن الحسين (ع) انه قال : لعن الله المرجئة لانهم اطعموا الفساد في عفوا الله)81

وينتهي الارجاء الى ان كل شرير وآثم وحاكم متسلط ظالم مهما بلغت جريمته عليه ان يرجو مغفرة الله وينتظر رحمته ، ولا يتنافى ذلك مع ايمانه ، ويصح وصفه بالايمان ، وان كان من الحاكمين يبقى من امراء المؤمنين ، وقد اسند هؤلاء فكرتهم هذه الى القرآن الكريم مستدلين بالاية الكريمة (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم او يتوب عليهم) ولما كان كل مجرم ينتظر من الله العفو والرحمة وهو الغفور الرحيم كما وصف نفسه ، فعلى الناس ان لايشجبوا عمل الظالم مهما تمادى في ظلمه وجوره ، ولا مقاومته ووصفه بالظلم والجور لان الله سبحانه قد ارجأ امره ليوم الحساب .

(والنتيجة الحتمية لذلك ان على الناس ان يتركوا لبني امية وغيهم من الحكام حرية التسلط والحكم والسيادة مهما اوغلوا في البغي والطغيان والتجبر ، وهذا هو الذي كان ينشده الحاكمون من الارجاء الذي خرج من قصورهم ومهدوا لانتشاره عن طريق العلماء وخطباء الجوامع وغيرها من الفئات التي تتقاضى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثمن على نشر هذه الافكار وتقويض روح الثورة ومسارها) 82

فالارجاء هو (التاخير ، كما في قوله تعالى :(قالوا ارجه واخاه -الاعراف 111) ، اي امهله واخره.
وقد كانت هذه الطائفة ترى تاخير صاحب الكبيرة الى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، من كونه من اهل الجنة او من اهل النار ، وكانوا يقولون : لاتضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

ولا شك ان المرجئة ،بهذا المعنى ، تشكل رد فعل للخوارج الذين قضوا بتكفير مرتكب الكبيرة ،فقال المرجئة : انه لايحق لنا ان نحكم على احد بالكفر اذا كان مسلما مؤمنا ، والايمان عندهم يكون بمعرفة الله ورسوله والاقرار بما انزل الله ، والعمل ليس شرطا ، وهو ما يفهم من اقوال رجال المرجئة) 83
ويظهر ايضا من خلال طبيعة الارجاء وكذلك الجبرية والموفوضة انها تحكي لون النظام السياسي الحكم اكثر مما تعبر عن عقيدة او فكرة . فالارجاء لايختلف كثيرا عن الجبر في اهدافه السياسية والاجتماعية فضلا عن آثاره وما نجم عنهما من احباط وقعود عن نصرة الحق .

ويشتركان ايضا في الفترة الزمنية التي اعلن فيها نشوء كل منهما . فقد ظهرتا في فترة مدروسة بحنكة سياسية ، وتتشابه العقلية المنشئة للجبر والارجاء من حيث اختيار تلك الثغرات في الامة الاسلامية التي يمكن بواسطها اقامة تحول خطير في معسكر الطرف الاخر ، يقضي بانحسار الموقف السياسي المعارض ويرجع ارادات الامة الى مواقف اكثر رثاء لخطوب الماضي .

(وقال د. اسماعيل : ان المرجئة قد نعموا بالاقامة في البصرة دون ان يجدوا عنتا من ولاتها فعملوا على نشر هذا المذهب بين اهلها ، وكان حسان بن بلال المزني اول من دعا الى مذهبه بينهم ، ولقيت دعوته قبولا حيث وجد البصريون في الارجاء ضالتهم المنشودة لانهم سئموا الحروب وآثروا السلامة والعافية من جراء ما لاقوه من اهوال في معارك الجمل وصفين والنخيلة ، واصبح الارجاء بمثابة الصيغة المذهبية التي تمنطق رغبتهم في الموادعة والركون الى الراحة وتحول معظمهم الى الارجاء وانصرفوا الى امورهم الداخلية دون نظر الى نوعية السلطة الحاكمة التي لم تكن حسب مذهبهم خارجة ضالة ... ويبدوا من اكثر المصادر التي تحدثت عن الفرق والمذاهب ان اكثر قادة المرجئة كانوا من الانتهازيين الذين تسيرهم المصالح والاهواء) 84

وربما تميز الارجاء عن غيره من الفرق الاسلامية الاخرى ، اعلانه الصريع بشرعية الامويين في سلوكهم ومنهجهم في الحكم . وقال د. محمود اسماعيل (ان الارجاء في واقعه تبرير واضح لاغتصاب بني امية حق الامامة بوسائل التدليس والاغتيال واساليب الترغيب والترهيب ، ولذلك كان الارجاء دين الملوك ، لان المرجئة لم يعارضوا الحكومة الاموية كسائر الفرق الاخرى ، بل اعترفوا بشرعيتها ونادوا بوجوب طاعتها ، ومضى يقول : ان شيوخ هذا المذهب لقد حظوا برعاية الامويين الاوائل واقاموا الى جانبيهم في عاصمتهم دمشق ، بينما تعرض غيرهم من الفرق الاخرى لضروب من التعذيب والاضطهاد)85

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واضطربت الاقوال حول نشأة هذه الفرقة وبدء تكوينها ، (ويقول النوبختي: ولما قتل علي (ع) بسيف بن ملجم المرادي اتفقت بقية الناكثين والقاسطين وتبعة الدنيا على معاوية فسموا بالمرجئة ، وزعموا ان اهل القبلة كلهم مؤمنون باقرارهم الظاهر بالايمان ، ويرجون لهم جميعا بالمغفرة . وفي الواقع ان هذه الفرقة سياسية ، ولكنها اخذت تخلط بالسياسة اصول الدين فهم اعوان الامراء والمنضوون تحت لوائهم ، يؤيدون دولتهم مع ارتكابهم المحارم ، وانغماسهم بالجرائم ... وقد ايدوا -برايهم هذا - خلفاء الدولة الاموية ، تاييدا عمليا ، فهم في الواقع قد فتحوا باب الجراة على ارتكاب المحارم) 86

وذهب بعض الكتاب الى ان الارجاء قد ظهر (في عصر الصحابة حينما اختلف المسلمون في عهد عثمان بن عفان ، واحتجوا لذلك بما رواه ابو بكرة عن الرسول (ص) انه قال : ستكون بعدي فتنة ، القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي اليها ، الا فاذا نزلت فمن كان له ابل فليلحق بابله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له ارض فليلحق بارضه . فقال له رجل يا رسول الله ، من لم تكن له ابل ولا غنم ولا ارض ؟ قال : يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع الناجاة . وعملا بهذ الحديث وقف جماعة من المسلمين موقفا حياديا من النزاع الذي نشب بين عثمان وخصومه ، وبين علي (ع) والخارجين عليه ولم يحكموا على الجميع بخير او شر ، فكان هذه الموقف منهم البدرة الاولى لفكرة الارجاء)87

ويظهر في هذا الحديث الضعف الكثير ، فهو من دعائم ارجاء الامويين الذين تميزت فترتهم عن غيرهم من الدول بكثرة وضع الحديث . وما القول بان بالموقف الحيادي في فتنة عثمان ، فان الاجماع الذي اقام عليا (ع) خليفة هو نفسه الذي قام على سياسية عثمان ، وان القائلين بعدم ولاية علي (ع) بعد عثمان فقد بايعوه اول الامر ثم نكثوا ببيعتهم . واما احداث معركة صفين وما تبعها من ردود فعل فقد اظهرت ان من وصفوا نفسهم بالحياد كانوا من اكثر المنحازين الى معاوية ودولته ، فابو هريرة احد الوسطاء لانهاء المعركة عرف بوضع الكثير من الاحاديث التي تغلب الشرعية على سلطات بني امية . واما اولئك المتخاذلين عن نصرة علي (ع) وتراجعهم بعد المعركة ضد الخوارج ، فهم ليسوا من المحايدين ، بل ان بعضهم من المؤيدين لمعاوية لاسباب قبلية او غيرها .

(اما الزمان الذي حدثت فيه هذه الفكرة - الارجاء - على التحقيق ، فليس في المصادر التي تبحث الفرق وتاريخها ما يؤكد زمان نشأتها على الدقة . ويويد ذلك بعض المستشرقين : ان البحث عن المرجئة وبدء تكوينها وتاريخها محاط بشيء من الغموض . والسبب في ذلك يرجع الى ان الدولة العباسية قضت عليهم وافنت اصحاب هذه المقالة ، لانهم كانوا يناصرون الامويين .

وهذا الراي لاتؤيده الادلة لان القائلين بالارجاء قد ابتدعوا هذه المقالة لمصلحة الحاكمين ، وحكام الدولة العباسية كانوا في امس الحاجة لمن يضعهم في صفوف المؤمنين لانهم مثلوا اقبح الادوار التي مثلها حكام الامويين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاء في التعليقة على كتاب (التبصير في الدين) ، ان اول من سمى اهل السنة والجماعة بالمرجئة هو نافع بن الازرق الخارجي ، احد زعماء الخوارج في العصر الاموي ، عندما شاع بينهم ان الايمان هو التصديق بما جاء به النبي تفصيلا و اجمالا ... وهذا النوع من الارجاء قد نسب الى ابي حنيفة كما في التعليقة على مقالات الاسلاميين للاشعري ... وقد انهى ابو الحسن الاشعري المرجئة الى اثنتى عشرة فرقة) 88

ويشير بعض الباحثين الى ان المرجئة هي فرقة وسط بين الخوارج والعتزلة (فكلمة المرجئة لم تعرف قبل العصر الاموي ، ولم تستعمل الا بعد ان علم من حال الخوارج انهم يكفرون العصاة سواء كانوا من الحكام ام من غيرهم . وفي مقابل هؤلاء ذهب المعتزلة الى انهم مخلدون بذنوبم ، ووقف المرجئة في مقابل الفئتين ، الخوارج والعتزلة ، ولم يحكموا عليهم بالكفر ولا بالعقاب في الدنيا وتركوه الى اليوم الاخر... وانهم وصفوا بالارجاء لانهم خالفوا الفريقين المعتزلة والخوارج) 89

ربما كان منطلق القائلين بذلك هو تصنيف المرجئة الى فرقة وسط بين الخوارج والمعتزلة من حيث العقيدة لا من حيث الهدف السياسي الذي من اجله اقيمت تلك الفرق وفرقة المرجئة ، فالمرجئة فرقة مضطربة نشأت على عهد الامويين وايدوها ، لكنهم بعض ضعف لحق بالدولة الاموية انحسروا عنها ولحقوا بالمعتزلة والخوارج ، وكذلك الدولة العباسية الجديدة ، وشاركوهم اهدافهم السياسية (فالتحقوا بالتيارات المعادية للامويين التي تصدعت للدفاع عن العدالة وتظاهروا بالتراجع عن بعض افكارهم فيما يعود الى الايمان ، ولم يجدوا غضاضة في اقتباس بعض آراء القدرية اسلاف المعتزلة والتنكر لمعتقداتهم السابقة كما نسب ذلك اليهم بعض الكتاب ، وبعد انهيار الدولة الاموية كانوا ينضمون الى كل ثائر فانخرطوا مع الخوارج والشيعة في بعض مواقفهم المعادية للحكام ، ولما ظهرت الدولة العباسية على المسرح واصبحت الوريث الوحيد للامويين في المشرق كان لابد لها وان تستخدم المرجئة وغيرهم من الفرق بنفس الروح والدوافع التي استخدمتهم بها الدولة الاموية ، وقد لبس كثير من المرجئة ثوب الوعاظ فراحوا يرددون في خطبهم ومجالس القصص قيول الله تعالى (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) واولو الامر هم السلاطين فتجب طاعتهم بحكم القرآن ولو كانوا ظالمين)90

وكان العباسيون لايقيمون امر الا بعد ان يمهدوا له الفقهاء والوعاظ ليعدوا له من الكتاب والسنة . وممن نسب اليهم الارجاء ابو حنيفة وحماد بن ابي سليمان و ابن ابي ليلى وابو البحتري قاضي القضاة وابو يوسف تلميذ ابي حنيفة ، لكن العباسيين كانوا اكثر ظهور بالتقرب الى الدين من خصومهم القبليين الامويين . فلذلك كانت الفرق اكثر شيوعا في فترتهم ، وكانت قد جندت رجالها من الوعاظ والفقهاء اكثر مما جندته الدولة الاموية التي كانت صريحة في غالب الامر في معادتها للفقهاء ومحاربتها لهم ، لكونها ترتكز على عمق بشري في الشام يعينها في معاركها دون الحاجة الى دور الوعاظ والفقهاء .

(وخلاصة القول في الارجاء .المعتدل منه لا يبعد كثيرا عن راي جمهور اهل السنة . فقد قال ابو حنيفة واصحابه ومن تابعهم بان الايمان هو التصديق وهو لايزيد ولاينقص . وصاحب الكبيرة لا يخلد في النار بل يعذب بمقدار . وقد يعفوا الله عنه . وقد قال الى هذا الراي الحسن بن محمد بن علي ابن ابي طالب وسعيد بن جبير وطارق بن حبيب ومقاتل بن سليمان وحماد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن ابي سليمان شيخ ابي حنيفة وكثير من ائمة الحديث . ولكن هؤلاء تبرؤوا من قول المرجئة : ولاتضر مع الايمان معصية . وكل ما في الامر تغليب جانب الاعتقاد على العمل .)91

وقول الشهرستاني في الملل والنحل (وان صح القول ان الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب هو اول قائل بالارجاء ، فانه لم يؤخر العمل عن الايمان ، لكنه حكم بان صاحب الكبيرة لا يكفر ، اذ الطاعات وترك المعاصي ليست من اصل الايمان حتى يزول الايمان بزوالها) 92

ومهما يكن من امر ، ففرقة المرجئة والجبرية والمفوضة تحولت بعد ذلك من فرق لها اهدافها السياسية الى فرق دينية اعتبرت اصولا للعديد من الفرق السنية الكبيرة التي تناحرت وكانت محل استغلال سياسي من قبل الدول المتعاقبة . فالقدرية كانت قد انتجت فرقة المعتزلة التي تزعمها واصل بن عطاء . والجبرية والمرجئة انتجت فرقة الاشاعرة التي قادها ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعري .(فليس من الصعب تلمس آثار غيلان والقدرية عموما عند المعتزلة ، ويمكن استقصاء آثار الجبرية والمرجئة عن الاشاعرة) 93.

مراجع ومصادر الفصل الثاني

1- الانتفاضات الشيعية . هاشم معروف الحسيني . ص243 . دار الكتب الشعبية بيروت
2- الفكر السياسي الشيعي . ص289. عن تاريخ الفقه الجعفري لهاشم معروف الحسيني ص222
3- نظرية الامامة . ص332
4- نفس المصدر السابق .ص247
5- نفس المصدر السابق .ص340
6- نفس المصدر السابق .ص348
7- الفكر السياسي الشيعي .ص296. حياة الامام موسى بن جعفر . باقر شريف القرشي ج2ص186
8- نفس المصدر السابق ص297. عن قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام . د. توفيق الطويل
ص153
9- الشيعة والحاكمون . محمد جواد مغنية ص152 .
10- مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام . عبد الواحد الانصاري ص62.مؤسسة الاعلمي . 1973
11-جهاد الشيعة في العصرع العباسي الاول . د. سميرة الليثي ص32. عن تاريخ اليعقوبي ج3ص6
12-مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام . عبد الواحد الانصاري ص48.مؤسسة الاعلمي . 1973
13جهاد الشيعة في العصرع العباسي الاول . د. سميرة الليثي ص34. عن الفرق بين الفرق ص31
14-مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ص60
15- نفس المصدر السابق ص135
16-جهاد الشيعة في العصرع العباسي الاول ص42. عن الدولة العربية ص476وعقيدة الشيعة ص123
17- نفس المصدر السابق ص43. عن الطبري في تاريخه ج6 ص 195-196
18- الاديان والمذاهب , د. ابراهيم العاتي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

19- نفس المصدر السابق .
20- التآلف بين الفرق الاسلامية . محمد حمزة ص79 . دار قتيبة 1985 ط1. عن الطبري ج8 ص272
21- نفس المصدر السابق ص81 .عن الملل والنحل ج1 ص394
22- جهاد الشيعة في العصرع العباسي الاول ص50. عن الشهرستاني . الملل والنحل ج1 ص349. و
encycl of islam p.535
23-الانتفاضات الشيعية ص467.
24- نفس المصدر السابق ص499.
25- تاريخ الفرق الاسلامية العلامة الشيخ محمد خليل الزين ص171 عن روضة الكافي ص219 والفخري
في الاداب السلطانية ص97
26- التآلف بين الفرق الاسلامية ص79
27- الزيدية نظرية وتطبيق . علي الفضيل شرف الدين ط1. ص136. جمعية عمال المطابع التعاونية -
عمان 1985
28-جهاد الشيعة في العصرع العباسي الاول ص52 . عن الطبري ج8 ص265
29- نفس المصدر السابق ص56. عن الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص168
30-نظرية الامامة . احمد صبحي ص361 . عن الشيخ ابو زهرة : الامام زيد ص118
31-المذاهب والاديان . د. ابراهيم العاتي .
32-الزيدية نظرية وتطبيق . ص20
33- الملل والنحل ص255
34-الزيدية نظرية وتطبيق . علي الفضيل شرف الدين ص144
34- مذهب الامامية . د. عبد الهادي الفضلي ص8 مركز الغدير للنشر 1996
35- الامام الصادق والمذاهب الاربعة . اسد حيدر ص215 ج1 ط 4 . مكتبة الصدر بطهران
36 - تاريخ الفرق الاسلامية . العلامة الشيخ محمد خليل الزين ص 118
37- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص21 ج2
38- نفس المصدر السابق ص223 ج1
39- جهاد الشيعة ص 214
40- نظرية الامامة ز ص370
41 - تاريخ الفرق الاسلامية . ص184. عن فرق الشيعة ص79
42-جهاد الشيعة ص 233
43- نظرية الامامة ص379
44- نفس المصدر السابق ص 381
45 - تاريخ الفرق الاسلامية ص185 . عن الملل والنحل م1 ص 279
46- الاديان والمذاهب . د. ابراهيم العاتي
47- التآلف بين الفرق الاسلامية . ص110
48- تاريخ الفرق الاسلامية ص 194
49- نفس المصدر السابق . ص184
50- جهاد الشيعة .0ص238

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

51-تاريخ الفرق الاسلامية . ص188
52-الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص86
53 - نفس المصدر السابق . ص81
54- نفس المصدر السابق ص83 . عن مقدمة ابن خلدون ص21
55- نفس المصدر السابق ص82
56- نفس المصدر السابق ص83 . عن مقدمة ابن خلدون ص 21
57- تاريخ الفرق الاسلامية ص186
58- الاديان والمذاهب . د . ابراهيم العاتي .
59- الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة-ص175.
60 - تاريخ الفرق الاسلامية ص72.
61 الانتفاضات الشيعية -ص139.
62- الاديان والمذاهب د. ابراهيم العاتي.
63- تاريخ الفرق .ص69.
64-تاريخ الفرق الاسلامية . ص 68 ، عن سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون .
65-الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة -ص176.
66- التالف بيين الفرق . ص167.
67 - نفس المصدر السابق . ص 172. عن تاريخ الجهمية للشيخ جمال الدين القاسمي ص27.
68- الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة . ص172.
69- الانتفاضات الشيعية . ص 139.
70- تاريخ الفرق الاسلامية ص71.
71 - نفس المصدر السابق ص74. عن التبصير في الدين للاسفرائيني .ص 87.
72- الامام الصادق والمذاهب الاربعة . ص 122.
73-الانتفاضات الشيعية -ص151-153.
74- نفس المصدر السابق ص174.
75-تاريخ الفرق الاسلامية-ص82.
76- اديان ومذاهب .
77- تاريخ الفرق الاسلامية . ص79-80.
78-اديان ومذاهب . عن الملل والنحل للشهرستاني ص103-324.
79- نفس المصدر السابق . عن عبد الرحمن بدوي في مذاهب الاسلاميين 1/102-103.
80- تاريخ الفرق الاسلامية -ص83.
81-الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة-ص107 . عن كنز الفرائد للكراكجي ص51.
82- الانتفاضات الشيعية ص132.
83- الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة . ص 101.
84-الانتفاضات الشيعية ص 134 ، عن الحركات السرية ص 35 36.
85- نفس المصدر السابق ص133.
86- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص121.
87-الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة-ص102.
88- نفس المصدر السابق ص104.
89- نفس المصدر السابق ص101.
90- الانتفاضات الشيعية -ص134.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

91-التالف بين الفرق الاسلامية . ص165.
92-المذاهب والاديان . عن الملل والنحل للشهرستاني ص 144.
93-المذاهب والاديان

الفصل الثالث:

مدرستا الحيث والرأي

كانت الامة الاسلامية في حالة غليان وثورة داعية للانتقام والثأر لاهل البيت (ع) من الامويين ، واعادة الخلافة الى ابناء علي (ع) ، لكن النشاط السياسي الواسع الذي تبناه العباسييون قد ساهم في بروزهم في مقدمة المعارضة ، ومن ثم قدروا على جني ثمار الجهد السياسي للامة ، وراحوا يتقاسمونها فيما بينهم على قاعدة الخلافة المتوارثة .

واتسمت الفترة الانتقالية بين الدولتين بالضعف ، حيث كانت الدولة الاموية على حافة الانحدار بينما تفرغت الدولة العباسية لترسيخ اعمدة نظامها مع مبدء نشوئها ، فهي لم تستطع بعد مركزة السلطة وتعميم سلطانها على كافة اطراف البلاد الاسلامية ، في حين كانت فلول الدولة الاموية لازالت تقاوم قوى الانقلاب الجديد .

واعتبر هذا العهد بالنسبة لاتجاه التشيع (عهد الانفراج للنشاط الفكري لمدرسة اهل البيت (ع) وسماه شيخنا الطهراني (عهد انتشار علوم آلأ محمد) ، لانه - كما يعلل - (عصر ضعف الدولتين واشتغال اهل الدولة بامور الملك عن اهل الدين) ، ويؤرخه بالفترة الممتدة (من اواخر ملك بني امية بعد هلاك الحجاج بن يوسف سنة 95هـ الى انقراضهم بموت مروان سنة 132هـ ، ثم اوائل ملك بني العباس الى اوائل ايام هارون الرشيد الذي ولي سنة 170هـ . وهو المطابق لاوائل عصر الامام الباقر (ع) سنة 114هـ ، وتمام عصر الامام جعفر الصادق (ع) المتوفى سنة 148هـ ، وبعض عصر الكاظم (ع) المتوفى في حبس هارون الرشيد سنة 184هـ ، اذ كان قد قبض عليه الرشيد من المدينة في سفر حجه) 1

استغل الائمة الثلاثة (ع) هذه الفترة للتفرغ للنشاط الفكري ، وذاع صيت التشيع في كل مكان انطلاقا من المسجد النبوي الشريف حيث كان عامرا بطلاب العلم والرواية ، حتى ان اهل الطموح بتأسيس المذاهب لجؤا الى العطاء الفياض لهؤلاء الائمة (ع) .

ويقول السيد مير على الهندي صاحب (تاريخ العرب) : (ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله ، فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الاسلامي ، ولا يفوتنا ان نشير الى ان الذي تزعم تلك الحركة : هو حفيد على بن ابي طالب المسمى بالصادق ، وهو رجل رحب افق التفكير ، بعيد اغوار العقل ، ملم كل الالمام بعلوم عصره ، ويعتبر في الواقع انه اول من اسس المدارس الفلسفية المشهورة في الاسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلمية اولئك الذين اصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب ، بل كان يحضره طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية) 2

وكان من بين دعاة المذاهب الاسلامية الذين تتلمذوا على يديه ورووا عنه كل من ابي حنيفة الذي قال فيه :(لولا السنتان لهلك النعمان)3 ، و مالك ابن انس الذي قال في كتابه (تهذيب التهذيب): (ما رات عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا)4

وفي ذات الوقت الذي اتجه فيه التشيع بقيادة الامام الصادق (ع) لنشر العلوم ومن ثم التشيع في كل مكان ، كانت البلاد الاسلامية تعيش فسادا سياسيا واجتماعيا ومشاحنات فقهية وفكرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين فئات العلم ، وحروبا وثورات طاحنة . من جهة اخرى انبثق اتجاه سياسي من رحم هذه الاحداث ، ليستغل هذه الظروف لادانة مسار الاتجاه السني المنتهي الى هذه النهاية المزرية . ودعى الى ضرورة العودة الى حق آل محمد (ع) . لكن الامام الصادق (ع) قائد اتجاه التشيع كان الاعلم بمسار الاحداث وهذه الدعوة ومقاصدها وما يجول في داخلها .

فقيام حركة ثورية مناهضة للامويين وبمعزل عن قائد الاتجاه الشيعي لا تمثل امتدادا حقيقيا للتشيع الذي تبناه الرسول الاكرم (ص) . (وقد رد الامام الصادق (ع) طلبا الح عليه في تزعم الحركة الثورية التي نشبت في ايامه بين انصار العلويين وبين الامويين ، وكانت الدعوة باسم اهل البيت (ع) وهو زعيمهم وسيدهم في عصره . ولكنه كان يرى ان اصلاح الوضع بالتوجيه الصحيح وتفهم الناس ضرورة الوقوف تجاه الخصوم موقف تحسس بما تؤول اليه الحالة من التسرع في اثارة الحرب ، وان ذلك لايجدي نفعا لوجود ذوي الاطماع الذين لايقل ضررهم على الامة الاسلامية من ضرر الامويين ، وبهذا يكون حل المشكلة بمشكلة اعظم منها) 5

لكن السفاح وبحكم بعده عن الجزيرة العربية قد خطى خطوته الاولى بكسب اهل فارس ، وحاول بعد ذلك النهوض لكسب اهل الجزيرة العربية ، لكنه وجد دعوته في الجزيرة العربية امام حاجزين رئيسيين :

الاول : ان الامام الصادق (ع) كان الشخصية القيادية التي تتطلع اليها الفئات الواعية من المسلمين ، وبذلك كانت مرشحة للعب دور ربما يتجاوز دعوة العباسيين التي انحصرت بادئ الامر في فارس . فالامام الصادق (ع) قد عرفته بلاد المسلمين عن طريق نهضته العلمية التي قصدها طلاب العلم والحقيقة من كل مكان فضلا عن انتشار علومه الى سائر الاقطار .

الثاني : ان الاتجاه السني بقيادة علماء وفقهاء المدينة المنورة لازال على سابق عهده في دعم الدولة الاموية التي استمالت اكثر فقهائها بالعطاء الوافر . لكن اتجاه التسنن انشق على نفسه الى مدرستين هما :-

ا- **مدرسة الحديث** . حيث استمرت في عطائها الفكري والعلمي انطلاقا من المدينة المنورة وكانت لا تتعدى النص ، وفي طليعة هذه المدرسة مالك بن انس ، واخذ عنه الشافعي . ومن انصاره في الحجاز سفيان الثوري .

ب- **مدرسة الراي** . ومركزها الكوفة بزعامة ابي حنيفة النعمان بن ثابت ، وكانت ترى بمعقولية الشريعة .

وادعت المدرسة الاولى انها تمثل الاسلام الصحيح ، واعتبرت غيرها من المدارس الفقهية بدعا ، بينما عد المؤرخون المدرسة الثانية امتدادا لمنهج الراي الذي نادى به عمر بن الخطاب ثم تسلسل هذا المنهج وانتقل (من ابن مسعود ثم علقمة بن قيس ثم ابراهيم النخعي ثم حماد بن ابي سليمان ثم ابو حنيفة ومنه الى تلامذته ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني) 6.

ولم يكن هذا الخلاف ظاهرا ، ولم يتمثل في معارك بارزة ، لكون المدرستين كانتا تحت عهدة الدولة الاموية ، لكن اهم خلاف ادى الى تشعبها هو (الخلاف حول اجتهاد الراي ، ومدى جواز الرجوع اليه والاعتماد عليه ، فبالغت مدرسة الراي في اهميته والاعتماد عليه ، وقللت من اهمية الرجوع الى الحديث ، وتشددت في ذلك تشددا ملحوظا ...وقللت مدرسة الحديث من شأن الراي الى الحد الذي وصل الى الغائه وحرمته في راي بعض فقهاء هذه المدرسة امثال : داود بن علي الاصفهاني امام اهل الظاهر ، وابن حزم صاحب المحلى) 7

لم يستطع السفاح تخطي هذين الحاجزين بسبب انشغاله بتوطيد حكمه في فارس . وجاء من بعده على راس الدولة العباسية المنصور الذي عرف ببطشه وحبه لاراقة الدماء واقتحم الحواجز القائمة في الجزيرة العربية ، ونكل باتجاه التشيع شر تنكيل لايقاف مسيرة الامام الصادق (ع) ، وضيق على مدرسة الحديث في المدينة ، لكنه تبنى مدرسة الراي في الكوفة ، فقرب فقهائها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسخر لهم امكانات الدولة العباسية مما ادى ذلك الى اشتداد المعركة بين مدرستي الحديث والراي لتتقل الى معارك سياسية وعصبية بعد ان كانت نزاعا علميا محضا ، لكن مدرسة الراي اضحت بعد ذلك الممثل الرئيس والاقوى للاتجاه السني .

وقد اسفرت المعركة الفكرية والسياسية بين المدرستين بعد ذلك في بروز العديد من المدارس او المذاهب الاخرى ، وانقسمت البلاد الاسلامية الى مناطق نفوذ لهذه المذاهب .

(فحتى القرن الثالث الهجري لم يكن هناك مذهب رسمي (سنى) وانما كانت المذاهب الرسمية هي المعتزلة ، يقابلها الجبرية اوالقدرية ... وكان اهل الحديث - او اهل السنة كما سموا فيما بعد - كانوا يتمسكون بظاهر الاخبار فمثلا حديث (ان الله خلق آدم على صورته) آمنوا به على ظاهره ، وراحوا يصورون الخالق على هيئة بشر طوله شبعون ذراعا وعرضه كذا ذراع . لذلك اعتبر الشهرستاني اهل الحديث من المشبهة والمجسمة (الصفاتية) 8

لكن دخول بعض المذاهب في اطار الدولة ومحاولة تبني النظام السياسي واستغلال نفوذه وامكاناته المختلفة ادت الى بروز بعض المذاهب وضمور او انقراض مذاهب اخرى ربما كان بعضها اكثر منزلة علمية من المذاهب الاربعة . (فسفيان الثوري لقبوه باامير المؤمنين في الحديث وسيد الحفاظ وغير ذلك ، كما قاله شعبة وابو عاصم وابن معين وغيرهم ، وقال ابن مبارك : كتبت عن الف شيخ كان سفيان افضلهم ، وقال القطان : الثوري احب الي من مالك ... واعطف عليه سفيان بن اعيينة وابن جريح والليث وغيرهم فانهم بمكانة من العلم ، وقد رجع الناس اليهم في الفتيا مدة من الزمن ، واستمر العمل بمذاهبهم ثم انقرضت ولم يبق لاهل السنة الا المذاهب الاربعة الحنفية والملكية والشافعية والحنبلية . واما المذاهب المنقرضة فهي :

1- مذهب عمر بن عبد العزيز
2- مذهب الشعبي .
3- مذهب الحسن البصري .
4- مذهب الاعمش .
5- مذهب الاوزاعي .
6- مذهب سفيان الثوري .
7- مذهب الليث .
8- مذهب سفيان بن عيينة .
9- مذهب اسحاق .
10- مذهب ابي ثور .
11- مذهب داوود الظاهري .
12- مذهب محمد بن جرير .

... وغيرها من مذاهب المسلمين التي تتفق احيانا وتفترق احيانا في كثير من المسائل الشرعية ، ومنهم من جعل في تعدادا هذه المذاهب ، مذهب عائشة ، مذهب ابن عمر ، مذهب ابن مسعود ، مذهب ابراهيم النخعي) 9

المذاهب الاربعة والصراع السياسي

1- المذهب الحنفي

كان الغطاء الشرعي للسياسة العباسية امرا مهما وضروريا لتاهيل الدولة العباسية للنمو والتوسع والسيطرة على بقية بلاد المسلمين انطلاقا من فارس ، فاتجهت بكل ثقلها السياسي بادئ الامر الى العراق حيث كانت مدرسة الراي بزعامة النعمان بن ثابت بن زوطي (ابو حنيفة) حتى قدرت على توطيد المكانة العلمية لهذه المدرسة في مقابل مدرسة الحديث بزعامة مالك في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدينة ، ولتحط بذلك ايضا من مكانة العرب بين الموالي الذين شكلوا بادئ الامر قوام الدولة العباسية .

وكان من بين الاسباب التي دعت العباسيين لتبني مذهب ابي حنيفة سببين مهمين هما:

ا- ان الدولة العباسية قد تبنت شعار الدعوة لآل البيت (ع) ، وكان ابو حينفة (يرى احقية ابناء علي في الخلافة ، وانه تتلمذ للباقر ولزيد وعقد البيعة للنفس الزكية وايد ثورة زيد) 10

(ويرى ابو حنيفة ان الخلافة الاسلامية انتهت باستشهاد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب . وتروى لابي حنيفة آراء عديدة حول الذين خرجوا على علي ابن ابي طالب . من ذلك قوله (ما قاتل احد عليا الا وعلي اولى بالحق منه وهذا ينطبق على حرب علي ومعاوية . وبالتالي فهو يسلب الامويين شرعية ما ادعوه من خلافة . وسكت الامام عن الحرب بين علي واصحاب الجمل ... ولم يتحرج في مناصرة زيد بن علي زين العابدين امام الزيدية حينما خرج على ملك بني امية متسلحا ببيعة من جمهرة من المسلمين)11.

2- ان ابا حنيفة قد تبنى موقفا سلبيا من الدولة الاموية . (وقد حمل ابو حنيفة على تولي القضاء حملا فاصر على الرفض . فقد اراده يزيد بن عمرو بن هبيرة على القضاء بالكوفة ايام مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية فرفض فضربه مائة سوط . وظل يضربه كل يوم عشرة اسواط لاقناعه . فلما يئس خلى سبيله)12.

ولم يكن حال ابي حنيفة خلال عهد العباسيين باحسن من حاله خلال عهد الامويين ، فقد كان ابو حنيفة يرى نفس الراي في ملك بني العباس ، ولذلك كان يحض على مناصرة ابراهيم الامام واخيه محمد النفس الزكية)13

لذلك اتجهت الدولة الاموية مباشرة لاستيعاب ابي حنيفة بعد ان وطدت حكمها في العراق وانتهى المنصور من بناء مدينة بغداد ، فقد (استقدم ابا حنيفة من الكوفة ، حيث كان يقيم فيها . وعرض عليه ان يلي قضاء الرصافة فابى فحلف عليه ليفعلن . فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل ... فامر به الى الحبس فمات وهو في السجن عام 150)14

لم يكن مذهب ابي حنيفة متسعا في رقعته العلمية والجغرافية ، بل ربما كان محدودا في دائرة من دوائر الكوفة وحدها . ولا يعرف مؤلف لابي حنيفة الا ما نسب اليه من مؤلف سمي بـ (الفقه الاكبر) وهي عدة وريقات في العقائد تنسب احيانا الى ابي حنيفة البخاري جرى شرح موسع لها باراء منتسبيه . واما على مستوى الحديث (فابو حنيفة لم يثبت عنده من احاديث الرسول الا سبعة عشر حديثا ، لانه لايقبل الحديث الا اذا رواه جماعة عن جماعة ، او اتفق فقهاء الامصار على العمل به ، او رواه صحابي ولم يخالفه فيه احد . هذا التشدد في الحديث ادى به الى تضييق العمل بالسنة او طرحها بالنتيجة ، والتوسع في العمل بالراي ، سواء اكان الراي قياسا ام استحسانا ام مصالح مرسلة) 15

كان مذهب ابي حنيفة مفتقرا لابسط المقومات التي تؤهله للدخول في حلبة الصراع مع بقية المذاهب الاخرى لولا جهود اربعة من اصحاب ابي حنيفة وتلامذته ، حيث بالغوا في تاليفه وتهذيبه وتقويمه ، وعلى راسهم ابو يوسف القاضي الذي دعم المذهب سياسيا ، بينما حامت الشكوك حول (محمد بن الحسن الشيباني الذي دعم المذهب بمؤلفاته التي اعتبرت المرجع الاول للمذهب والذي قال فيه احمد بن حنبل انه مرجئي واتهمه ابو يوسف بانه جهميا وقال عنه محمد بن سعد الصوفي انه جهمي كذاب ، و زفر بن الهذيل ، والحسن بن زياد اللؤلؤي الذي كذبه يحي بن معين وابو داود ومحمد بن نمير ، وقال ابن المديني : لا يكتب حديثه ، وقال ابو حاتم : ليس بثقة ، وقال الدار قطني : ضعيف متروك ، وقال محمد بن حميد الرازي : مارايت اسوء صلاة منه ، وقال الخطيب : ان الحسن ولي القضاء ولم يوفق فكان اذا جلس لا يفهم شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن اسحاق بن اسماعيل كنا عند وكيع فقلنا له : السنة مجدبة قال : وكيف لا تجدب وحسن اللؤلؤي قاض وحماد بن ابي حنيفة قاض)16

ولم يكن لابي حنيفة القدرة على منافسة المذاهب والمدارس الاخرى التي بدات تنتشر بشكل سريع في مناطقها ، الا ان الرجل الاول الذي اخذ بيد هذا المذهب لينشره في بلاد المسلمين في فترة قياسية دون مزاحمة تذكر من قبل المذاهب الاخرى كان قاضيا في الدولة العباسية وهو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ، حيث اتجهت الدولة العباسية بمساعي السلطة التنفيذية لابي يوسف الى جعل سلطة القضاء بيد مدرسة اهل الراي من اهل الكوفة .

وادى بقاء ابي يوسف في السلطة القضائية كقاضي القضاة على مدى ثلاث فترات سياسية بين حكم الخلفاء العباسيين المهدي وابنه الهادي ثم الرشيد الى تذليل العقبات التي اعترضت طريق انتشار مذهب ابي حنيفة كمذهب رسمي للدولة .(وقال عمر بن مالك : ما كان في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف لولا ابو يوسف ما ذكر ابو حنيفة ولا محمد بن ابي ليلى وهو الذي نشر قولهما ... وهو اول من دعي بقاضي القضاة ... فلم يقلد ببلاد العراق والشام وخراسان ومصر الا من اشار به القاضي ابو يوسف ... وذلك لمكانته في الدولة ومنزلته عند الرشيد حتى قال له الرشيد : يا يعقوب لو جاز لي ادخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية الي لكنت حقيقا به ، الست القائل لاخي وقت كذا وكذا ؟ وفي وقت كذا وكذا ؟ يشير بذلك الى ما عزم عليه الهادي من خلع الرشيد واستشارة ابي يوسف في ذلك ، وجوابه له برد عزمه ، فكان الرشيد يشكر لابي يوسف هذه اليد ، حتى قيل لم يتمكن احد كتمكن ابي يوسف من الرشيد ... وقال بشر المريسي ما اشتهيت من مراتب السلطان الا مرتبة رايت ابا يوسف بلغها عشية من العشايا) 17

2-المذهب المالكي

عاصر الامام مالك اربعين سنة من العصر الاموي ، وادرك خمسة من خلفاء بني العباس وهم ابو العباس السفاح المؤسس للدولة العباسية ، وابو جعفر المنصور ، والمهدي والهادي ، والرشيد حيث توفى خلال فترة خلافته .

وعاصر نشوء الجبر على يد جهم بن صفوان ، ونقل الحديث عن عكرمة ومقاتل وسعيد بن جبير .(ويعد مالك وسط بين الاثنين - مذهب ابي حنيفة وابن حنبل - فهو لا يشترط في الحديث الشهرة كابي حنيفة ، ولا ياخذ بالضعيف كما هي الحال عند ابن حنبل ، ويعمل بالخبر الواحد بشرط عدالة الراوي ، او امانته ، ولكنه يقدم عمل اهل المدينة على الحديث الصحيح ، ويرى ان الناس لهم تبع)18

وقبيل ان تتبلور مكانته العلمية بين المسلمين ، كان مذهب ابي حنيفة مذهبا رسميا للسلطة العباسية ، وكانت له السيادة على اكثر من بلد اسلامي . وقد نحى الامام مالك بن انس بن ابي عامر الاصبحي الذي اخذ العلم عن الامام الصادق (ع) منحى التاييد لموقف العلويين المعارض .

وقد روى مالك عن الرسول (ص) حديثا (ليس على مستكره طلاق) ويرى مالك ان سائر الايمان لاتنعقد بالاكراه . وقد وجد العباسيون في رواية هذا الحديث خطرا على سلطاتهم القائمة على القهر والاكراه ، فاستدعي من قبل جعفر بن سليمان (ابن عم المنصور) ، وامر بتجريده من ثيابه وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى خلعت كتفه .

(وناله الاذى وتعصب له قومه وناصروه واصبحت له مكانة في المجتمع ، ولحظت السلطة اهمية مكانته ، فرات من اللازم ان تجعله تحت عنايتها لتوجد منه شخصية علمية توجه اليه المجتمع طوعا او كرها) 19

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى اثر ذلك ، اتجه اليه المتضررون من ارهاب العباسيين يرجون وسيلة لفك بيعتهم للعباسيين وقالوا: (ان في اعناقنا بيعة لابي جعفر . فقال : انما بايعتم مكرهين . وليس على مكره يمين ، فاسرع الناس الى محمد - النفس الزكية - ولزم مالك بيته)20

واقلق ذلك المنصور واغضبه واضطر الى عزل جعفر من ولاية المدينة ثم ارسل الى مالك يسترضيه (وتم التراضي على ان يلتقي الامام المنصور في منى في موسم الحج ... وكرم اتلمنصور مالكا . وجرى بينهما حديث طويل في شؤن شتى اتسم بالمجاملة ولم يخل من حوار في الفقه او الحديث او العلم ... ثم قال المنصور لمالك : يا ابا عبد الله . ضع هذا العلم ودونه . ودون منه كتابا ، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر ، ورخص عبد الله بن عباس وشواذ عبد الله بن مسعود ، واقصد الى اوسط الامور ، وما اجمع عليه الائمة والصحابة رضي الله عنهم ، لنحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك . ونبثها في الامصار ، ونعهد اليهم الا يخالفوها ، ولا يقضوا بسواها . فقال مالك : اصلح الله الامير . ان اهل العراق لايرضون علمنا ، ولا يرون في علمهم راينا ... فقال المنصور : اما اهل العراق فلا اقبل منهم صرفا ولا عدلا . انما العلم عند اهل المدينة . فضع للناس العلم) 21

ثم انصرف مالك ليجمع في كتابه (الموطأ) الحديث واقوال اهل المدينة مع ترك الشدائد والرخص والشواذ كما امر المنصور (ويعجب به هارون الرشيد ويطلب من مالك تعليقه على الكعبة وحمل الناس عليه) 22

(فاصبح - مالك - محترما الى ابعد حدود الاحترام ... وكيف لايكون لمالك ظهور وسمعة ومنادي السلطان يهتف ايام الحج : ان لايفت الا مالك ، فاصبحت له مكانة في المجتمع وتقرب الناس اليه بشتى الوسائل ، والتفوا حوله ، وتزاحموا على مجلسه الذي عين له وقتا خاصا في يوم معين يزدحم الناس لاستماع الحديث واخذ الفتيا) 23

ويظهر من ذلك ان السلطات العباسية قد فشلت في اخضاع اهل المدينة بتعميم مذهب ابي حنيفة واهانة مالك ومذهبه ، لكن وسيلتهم الاكثر جدوائية بعد ذلك هي محاولة استيعاب مدرسة الحديث ، خصوصا وان المدينة المنورة يتجاذبها اتجاه مالك من جهة ، واتجاه التشيع الذي اتخذ دورا كبيرا في الانتشار بشكل سريع ، حيث كان العباسيون يرون فيه خطرا حقيقيا محدقا . فما كان من العباسيين الا التفكير بجد في اخلاء الساحة من المعارضين باي وسيلة قمعية او استيعابية قبل ان تتفاقم الاوضاع ، ومن ثم الانفراد بمعركة واحدة ضد اتجاه التشيع .

فبزغ نجم مالك في الافق (فاصبحت له شخصية مرموقة دون غيره من شيوخه الذين هم اعلم وافقه كربيعة الراي وغيره ، فامتاز بهذه المنزلة واكتسبت شخصيته ابراد العظمة ، وحاول العباسيون ان يجعلوا منه مرجعا عاما في الفتوى ، ولكنها محاولة لم تنجح ، وقد امره المنصور بوضع كتاب يحمل الناس عليه بالقهر ، وكلمه مالك في ذلك وامتنع فقال المنصور : ضعه فما احد اليوم اعلم منك . فوضع الموطأ .

ويحدثنا ابو بكر بن عبد الله الصنعاني قال : اتينا مالك بن انس فحدثنا عن ربيعة الراي فكنا فكنا نستزيده فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق ؟ فاتينا ربيعة فقلنا : كيف يحظى بك مالك ولم تحظ انت بنفسك ؟ فقال : اما علمتم ان مثقالا من دولة خير من حمل علم .)24

وبرغم كون مذهب الاوزاعي مذهبا مؤيدا ومبجلا من قبل الدولة العباسية ، والاموية من قبل ، وغازيا للشام والاندلس ، الا انه لم يقو على الوقوف والصمود امام مذهب مالك . فقد بلغ ملك الاندلس مدح مالك له ، فاتخذ قرارا بحمل الناس على مذهب مالك ووالعدول عن مذهب الاوزاعي . فانتشر مذهب مالك في افريقيا على يد (القاضي سحنون ، ويقول المقريزي : ولما ولي المعز بن باديس حمل جميع اهل افريقيا واهل الاندلس كلهم الى مذهبه ، رغبة فيما عند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلطان ، وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء في جميع تلك المدن لايكون الا لمن تسمى بمذهب مالك ، فاضطرت العامة الى احكامهم وفتاواهم ، ففشى هذا المذهب هناك وحظي بالقبول لابحسب مؤهلاته ومقوماته الروحية ، وانما سار حسب نظام القوة التي خضع الناس لها بدون تبصر ، كما ان انتشاره بالمغرب الاقصى هو كذلك رغبة لما عند السلطان وخضوعا لما افترضوه على الناس ، ولم يكن ثبوته مستقلا بروحانيته عن تاثير السلطة التنفيذية ، فان دولة بني تاشفين في الاندلس في القرن الخامس ، وتولى ثانيهم علي بن يوسف بن تاشفين فعظم الفقهاء ، ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده الا من علم مذهب مالك)25

ويشير ابن حزم الى دور السياسة في انتشار مذهب مالك ، بقوله : (مذهبان انتشرا في مبدء امرهما بالرياسة والسلطان : مذهب ابي حنيفة فانه لما ولي ابو يوسف القضاء كان لا يولي قاضيا الا من اصحابه والمنتسبين اليه والى مذهبه . والثاني مذهب مالك عندنا في الاندلس فان يحي بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء ، فكان لا يولي قاضيا في اقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يسبر الا باصحابه ، والناس ساع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به بلوغ اغراضهم)26

3 - المذهب الشافعي

تحولت مصر من مذهب الامام مالك الاستاذ الى مذهب تلميذه الامام محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع الذي نشط في مصر ، وزاحم المذاهب الاخرى فيها ثم اكتسح الاندلس وافريقيا اثر تبني الدولة الايوبية له ورغبة الدول المتعاقبة بعدها في جعله مذهبا لها .

وحيث كان مالكا مقربا من الرشيد ، فقد قرب الشافعي تلميذه منه ، وكان الشافعي قد حفظ الموطأ وعرض ذلك على مؤلفه الامام مالك حيث قال : (قدمت على مالك بن انس . وقد حفظت الموطأ فقال لي : احضر من يقرا لك . فقلت : انا قارئ . فقرات عليه الموطأ حفظا . فقال : ان يك احد يفلح فهذا الغلام)27

وعرف الامام الشافعي بفقره المدقع ، حتى اضطر للرحيل الى اليمن بحثا عن مورد رزق ، وعمل في بعض دواوين القضاء فاشتهر في اليمن ومكة حتى ولي قضاء نجران ، لكنه اختلف مع بعضهم (فاوثقه حماد البربري - والي مكة واليمن - في الحديد بتهمة الخروج على الدولة مع العلويين . واقتيد الى الرشيد ، فالتفت الرشيد اليه وقال :(يا اخا شافع : شققت العصا وخرجت مع العلوية علينا ؟ فقلت يا امير المؤمنين : أأدع من يقول : اني ابن عمه ، واصير الى من يقول : اني عبده . قال : فاطلق عنه ووصله وقال له عظني . فوعظه الى ان بكى ثم امر له بخمسين الف درهم ...عاد الشافعي الى مكة ومعه حمل بعير من علم اهل الراي ... فيشيع اسمه وتكثر تلامذته) 28

وكان لقائه الاول بالرشيد اثر حادثة اليمن مدخلا لتعرف الدولة العباسية على فكره ومذهبه ، ذلك اهله لان يكون موضع استحسان من قبل خلفائها ، فبعث الى مصر لمنافسة استاذه مالك .

وفد الشافعي اول الامر الى مصر في سنة 198هـ بكتاب خاص من الرشيد الى واليها يوصيه فيه برعاية الشافعي في وقت كانت مصر تدين بمذهب مالك الذي كان محط اجلال وتقدير من قبل اهل مصر ووالياها ، ويحدثنا الشافعي نفسه عن مكانة مالك ومنزلته الرسمية المدعومة من قبل الخليفة العباسي مباشرة ، وكذلك قصة قدومه الى مصر ، حينما طلب من واليها ان يوصله الى مالك . يقول الشافعي : (فابلغت الكتاب الى الوالي فلما قراه قال : يا فتى ان المشي من جوف المدينة الى جوف مكة حافيا راجلا اهون علي من المشي الى باب مالك بن انس ، فلست ارى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذلة حتى اقف على بابه ، قال الشافعي : فقلت اصلح الله الامير ان راي يوجه اليه ليحضر ، قال هيهات ليت اني اذا ركبت انا ومن معي ، واصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجاتنا)29

ربما كانت رغبة العباسيين في فقه ومذهب الشافعي نابع من انفتاح الشافعي على مختلف المدارس الفقهية علاوة على مرونة الشافعي واستعداده لتغيير فقهه بما يتناسب ومرحلة خروجه من حالة الفقر الى الوضع المستجد المتميز بالقربى من خلفاء بني العباس . فقيل ان فقه الشافعي مزيج من فقه اصحاب الراي والحديث ، وله مذهبين ، قديم وجديد ، فالقديم اقامه خلال رحلاته بين مكة وبغداد واليمن ، واما الجديد فقد اقامه في مصر بعد مصاحبته لواليها الجديد العباس بن عبد الله (وليس بين مذهبه الجديد والقديم كبير فرق . ففي العراق ظهر له من الكتب في الاصول (الرسالة) وفي الفروع (الحجة) ولما جاء مصر اعاد النظر في الرسالة كما اعاد النظر في كتاب الحجة فألف بدله كتاب (الأم) وهو مجموع لكتب كثيرة ألفها الشافعي في مصر)30

واما موقفه من الحديث والامامة (فياخذ بالحديث اذا رواه ثقة عن ثقة مشهورا كان او غير مشهور ، واذا لم يجده عمل بالقياس فقط دون الاستحسان والاستصلاح)31 ، (وكان يرى الامامة في قريش دون تعيين بطن بعينه يستوي في ذلك الهاشميون والامويون وغيرهم سيرا على سنة الخلفاء الراشدين) 32

وامام الهيبة التي اكتنفت مذهب مالك في مصر ، طغى مذهب الشافعي بمؤازرة بعض رجال الدولة العباسية بادئ الامر ، ومن بينهم امير مصر الجديد عبد الله بن العباس بن موسى العباسي الذي وفد اليها بصحبة الشافعي ، وبني عبد الحكيم والربيع بن موسى العباس وابي ابراهيم اسماعيل ابن يحي المزني والبويطي ، وكتبوا عنه ونشروا مذهبه) 33

وبذلت مساعي كبيرة بعد ذلك على طريق نصرة وتاييد هذا المذهب ، ووقف صلاح الدين الايوبي بقوة معه لتغيير هوية مصر الفاطمية وذلك (ببناء المدارس لفقهاء الشافعية واختصاص القضاء بهم ، وكان الغالب من اهل مصر الشيعة في عهد الفاطميين الذين كانوا يملكون مصر قبله ، وكان المذهب يدرس في الجامع الازهر وغيره ، فابطل صلاح الدين درسه فيها واحيا مذهب الشافعي وابي حنيفة ومالك ، وبنى لهم كثيرا من المدارس ، ورغب الناس فيها بالاوقاف التي حبسها عليها فرغبوا فيها واخذوا في تقليدها وهجروا ما عداها من المذاهب)34

4- المذهب الحنبلي

كان ظهور مذهب الامام احمد بن محمد بن حنبل في بغداد بعد تزكية الشافعي له ، (فالشافعي لا يغادر بغداد حتى يعطي الشهادة الشفهية لاحمد . شهادة تضعه على راس علمائها ذلك ان الشافعي بوزنه العلمي الديني الكبير فان لشهادته وزنها الثقيل . فالشافعي يقول : خرجت من بغداد وما خلفت فيها اتقى ولا افقه من ابن حنبل)35

ولا يختلف الامام احمد بن حنبل عن استاذه الشافعي في الموقف من الامامة والصراع مع مدرسة اهل الراي (فالائمة -عنده -من قريش كاستاذه الشافعي ...ويقر بخلافة الخلفاء الراشدين على ترتيبهم الزمني : ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ... فلا يهاجم احدا -من الصحابة- ومهما اختلفوا وتحاربوا . ويامر بالثناء على الزبير وطلحة . بل يكفر من تبرا من الخلفاء الراشدين ومن سب عائشة ... ولا يمس - ابن حنبل - معاوية بسوء ويمسك عن الخوض فيما جرى بواقعتي صفين والجمل . ويوقل : دماء صان الله يدي من ملابستها ، فاصون لساني عن الخوض فيها ... فيرد ابن حنبل ما حدث الى الاجتهاد . وليس كل مجتهد مصيب ,, فللمصيب اجران وللمخطئ اجرا واحدا)36

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان ابن حنبل (في اول حياته العلمية يعادي اهل الراي وكان ميله الى الحديث حتى اجتمع بالشافعي فتاثر به على ان الراي عند الامام احمد ياتي متاخرا جدا ... ويقول احمد : ما زلنا نلعن اهل الراي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا)37

واختلف مع استاذه الشافعي في العمل بالحديث (واخذ بالحديث الصحيح ان وجده ، والا فبما افتى به الصحابة ، وان اختلفوا تخير ، والا فبالحديث المرسل والضعيف ، وان فقد كل هؤلاء التجأ الى الراي من قياس واستصلاح . ولا يعمل به الا عند الضرورة ... فهو - يوسع دائرة الراي ويضيق الاخبار)38

ولكن مذهبه لم ياخذ بعدا واسعا كغيره من المذاهب الاخرى . وتبناه قليل من الناس وهم اقل عدادا من معتنقي المذاهب الثلاثة ، الا انه انتشر في القرن السابع عندما تولى القضاء في مصر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الحجازي في سنة 738هـ .

ويقول ابن خلدون (فاما احمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية والاخبار بعضها ببعض ، واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها ، وهم اكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث) ويقول ابن جرير :(انه رجل حديث لا رجل فقه ، وعده المقدسي كذلك من اهل الحديث لا من الفقهاء ، ولم يذكره ابن قتيبة في معارفه في عداد الفقهاء ، واقتصر ابن عبد البر في كتابه الانتقاء على ذكر مالك والشافعي وابي حنيفة)39

وساهم رواد المذهب بعد ذلك في احيائه ونشره بشكل محدود نسبة الى بقية المذاهب ، حيث ادى كل من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية دور كبير في ذلك ، ثم تبناه محمد بن عبد الوهاب صاحب المذهب الوهابي .

(واحدثت مسالة خلق القران فتنة في زمن المأمون الذي تبنى القول بخلق القران ، واستغل المعتزلة مكانتهم المقربة من المأمون لمحاولة اجبار الناس وخصومهم على القول بقولهم ، وتم تعذيب القائلين بقدم القران ، وجلد ابن حنبل وسجن ، ولكن السحر انقلب على الساحر في عهد المتوكل ، حيث تبنى المتوكل القول بقدم القران وانعكست الاية على المعتزلة) 40

كان تبني المامون ومن بعده المعتصم والواثق لمسالة خلق القران فرصة كبر لنمو الدور السياسي للمعتزلة ، فتفرغ المعتزلة للتنكيل بخصومهم . وقيل ان الامام احمد قد اقر بخلق القران على عهد المعتصم بعد سجن وعرض للمناظرة في قصر المعتصم (ويقول الجاحظ في رسالته مخاطبا لاهل الحديث بعد ان ذكر المحنة والامتحان : وقد كان صاحبكم هذا (اي الامام احمد) يقول : لا تقية الا في دار الشرك ، فلو كان ما اقر به من خلق القران ، كان منه على وجه التقية ، فلقد اعملها في دار الاسلام ، وقد اكذب نفسه . وان كان مما اقر به على الصحة والحقيقة فليتم منه وليس منكم ، على انه لم ير سيفا مشهورا ولا ضرب ضربا كثيرا ، ولا ضربالا بثلاثين سوطا مقطوعة الثمار ، مشبعة الاطراف ، حتى افصح بالاقرار مرارا ، ولا كان في مجلس ضيق ولا كانت حالة مؤيسة ، ولا كان مثقلا بالحديد ، ولا خلع قلبه بشدة الوعيد ولقد كان ينازع بألين اكلام ويجيب باغلظ الجواب ، ويرزنون ويخف ويحلمون ويطيش)41

ولم ينل اهل الحديث فسحة في العيش الا على عهد المتوكل الذي ابطل دعوى المعتزلة في خلق القران كسبا للراي العام الذي ضج من هول الاعتزال ومحاكمه التي انتشرت في كل مكان ، فاظهر المتوكل ميله الى اهل الحديث فبزغ نجم احمد بن حنبل بعد امتنع العديد من رواد مدرسة اهل الحديث من الاستجابة للمتوكل .

وانتشرت منابر اهل الحديث في الرد على المعتزلة تحت حراسة الدولة حتى افل نجم المعتزلة (وعلت منزلة احمد عند المتوكل وقربه وطلب منه ان يتولى تعليم ولي العهد ، كما كان يتعاهده بالاكرام ويشيد بذكره ويتشوق يرؤيته ، وطلب ان يزوره في عاصمة ملكه ليراه ويتبرك بقربه) 42

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا انتشرت المذاهب بفعل سياسي قائم على دور رسمي لعبته الدولة لاسباب متعلقة باستقراها وشرعيتها . فيوما نجد مذهبا كان قد ساد بلادا ، بينما نجد في يوم اخر ان الدولة قد شجعت مذهبا مغايرا ليكون بديلا او مزاحما للمذهب الاول لاقامة لون من التوازن المذهبي للمحافظة على دور يكون للسلطات في الاثارة ومن ثم السيطرة .

وتتجه المذاهب نفسها الى تسخير فكرها ووجهودها لمصلحة الدولة لتسوية طريق انتشارها .

وبذلك يظهر لنا ان دورا سياسيا لا معنويا ادى الى طغيان بعض المذاهب وجمود غيرها . وبرزت ظاهرة اخرى غير التنافس بين المذاهب ، هي اعتماد المذاهب الاربعة كمذاهب صحيحة دون غيرها وغلق باب الاجتهاد .(وقال المقريزي : فلما كانت سلطنة الظاهر بيرس البندقداري ولي بمصر اربعة قضاة وهم شافعي ، ومالكي ، وحنفي ، وحنبلي ، فاستمر ذلك من سنة 665حتى لم يبق في مجموع امصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب اهل الاسلام سوى المذاهب الاربعة ، وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام ، وعودي من تمذهب بغيرها ، وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس احد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وتحريم ما عداها .)43

وجاء المستنصر العباسي وانشأ في بغداد المدرسة المتنصرية سنة 635هـ ...(وجعل لها ستة عشر معيدا ، اربعة لكل مذهب ، وجعل ربع القبلة الايمن للشافعي ، وجعل ربع القبلة الايسر للحنفية ، وجعل الربع الذي على يمين الداخل للحنابلة ، وجعل الربع الذي على يساره للمالكية ، وقد شرط المستنصر في وقفه عليها ان يكون عدد فقهائها مائتين وثمانية واربعين ، من كل طائفة اثنان وستون بالمشاهرة الوافرة ، والجراية الدارة ، واللحم الراتب الى غير هذا من وسائل الترغيب في هذه المذاهب . فاقبل الناس على دراستها واهملوا غيرها من المذاهب التي لم يقدر لها مثل هذه الاوقاف المغرية)44

وبعد انتهاء الدولة العباسية تبنت الدولة العثمانية بقيادة سليم الفاتح مذهب ابي حنيفة لعدم اشتراطه قرشية الخليفة ، ثم تبعهم ملوك وامراء البلاد الاسلامية في تبني الحنفية للحصول على شرعية الخلافة ، وتبعا لذلك تحول الكثير من اتباع المذاهب الاخرى الى الحنفية رغبة لعطايا السلطان (فالامير بلبغا ابن عبد الله الخاصكي الناصري الامير الكبير صاحب النفوذ والصولة كان يتعصب لمذهب ابي حنيفة ، ويعطي لمن تحول اليه العطاء الجزيل ، ورتب الجامكيات الزائدة ، وحاول في آخر عمره ان يجلس الحنفي فوق الشافعي ولما انتقل ابو البركات الحنفي الى مذهب الحنبلي فآذاه الحنفية فانتقل الى الشافعي ... وهذا ابو بكر البغدادي الحنبلي تحول شافعيا لاجل الدنيا ، وولي القضاء ، وكان ابو المظفر يوسف بن قرغلي سبط ابن الجوزي حنبليا نقله الملك المعظم الى مذهب ابي حنيفة وكثير غيرهم)45

ورغم ما قيل وعمل من غلق لباب الاجتهاد بعد المذاهب الاربعة لاسباب سياسية واتهام الشيعة بالبدعة . فقد عرف ان اصحاب المذاهب انفسهم عدم الاشتراط بالاخذ بمذاهبهم في الامتثال لامر الباري عز وجل ، لكونهم يجتهدون ، والاجتهاد فيه تعرض للصواب والخطأ ، كمل تدلل اقوالهم على ذلك (فهذا مالك بن انس يقول : انما انا بشر اصيب واخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة) ويقول ابو حنيفة (هذا رأيي وهذا احسن ما رايت فمن جاء براي خلافه قبلناه) . ويقول الشافعي اذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط) ويقول احمد (من ضيق علم الرجل ان يقلد دينه الرجال) وقال : (لا تقلد دينك الرجال فانهم لم يسلموا من ان يغلطوا)46

على ان التطاحن والتصارع ازداد بين اصحاب المذاهب واتباعهم انفسهم رغم ما قيل من غلق لباب الاجتهاد ، حتى عد بعضهم البعض خوارج على الدين ، وقال محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق : لو كان لي من الامر شيء لاخذت على الشافعية الجزية) ويقول ابو حامد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطوسي (لو كان لي امر لوضعت على الحنابلة الجزية ... وقام خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر ، والحنابلة يحرقون مسجدا للشافعية بمرو . وتقع هناك فتنة ذهب تحت هياجها خلق كثير ، ويعظم الامر والخلاف بين الحنفية والشافعية في نيسابور ، وتقع فتنة مبعثها التعصب المذهبي ، فتحرق الاسواق والمدارس ، ويكثر القتل في الشافعية فينتصرون بعد ذلك على الحنفية ، ويسرفون في اخذ الثار منهم وذلك سنة 554 هـ ومثلها تقع بين الشافعية والحنابلة ، وتضطر السلطة الى التدخل في حسم النزاع بالقوة ، وذلك سنة 716هـ وكثر القتل وحرق المساكن والاسواق في اصبهان وكان ومنشؤه التعصب ولشدة وقوع الفتن ببغداد فقد نادى منادي السلطان بمنع الفتن وعدم ذكر المذاهب والخصومة فيها ، وكان الحنابلة يخلون في اعمالهم بالامن ويرهجون بغداد ، ويستظهرون بالعميان على الشافعية الذين كانوا يأوون للمساجد ، فاذا مربهم شافعي المذهب اغروا العميان به فيضربونه وكان رئيس الحنابلة وزعيمهم الديني الشيخ البربهاري يتولى اثارة الفتنة وذلك في سنة 323هـ .

(... وتجتمع بقية المذاهب على الحنابلة غضبا على اعمال ابن تيمية ونودي في دمشق وغيرها : من كان على دين ابن تيمية حل ماله ودمه بمعنى انهم كفرة يعاملون معاملة الكافرين ، على ان الشيخ ابن حاتم الحنبلي يقول (من كان حنبليا فليس بمسلم) وعكسه الشيخ ابي بكر المقري الواعظ في جوامع بغداد ذهب الى تكفير الحنابلة اجمع ... وهذا الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي وكان شيخ الشافعية وعالمهم المبرز تعصب الحنابلة عليه فتكلموا فيه وبالغوا في الاذى بالسنتهم فثارت فتنة عظيمة ادت الى ذهاب نفوس من الطرفين ، وانتصر السلطان لابي اسحاق فسجن شيخ الشافعية . وهذا الفقيه ابو منصور المتوفى سنة 567هـ قتله الحنابلة بالسم تعصبا عليه ... وكذلك ابو الحسن بن فورك قتل مسموما بسبب التعصب وابو علي خادم المستنصر كان من ائمة الشافعية في مصر ،كان يجلس في حلقة ابن عبد الحكيم ويناظرهم فسعوا به الى السلطان وقالوا : هذا جاسوس فحبسه سبع سنين ، واجتمع مشايخ المذاهب في هراة عند الملك الب ارسلان يستغيثون به من الشيخ محمد بن عبد الله الانصاري الحنبلي بعد ان جعلوا صنما تحت سجادته ويقولون للملك انه مجسم وانه يترك في محرابه صنما يزعم ان الله على صورته فتفحص الملك ووجد الامر كذلك)47

وقد لجأ المتصارعون من المذاهب المختلفة الى السلطات للفصل بينهم ، وقيل ان اعظم فتنة بين المذاهب هي فتنة ابن القشيري (عندما ورد بغداد سنة 469هـ وجلس في النظامية واخذ يذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم ، وكتب الى الوزير يشكو الحنابلة ويساله المعونة ، وهجم اصحاب القشيري على زعيم احنابلة عبد الخالق بن عيسى ، ووقع قتال بين الطرفين واغلق اتباع ابن القشيري وهم من الشافعية ابواب سوق مدرسة النظام ، وغضب ابو اسحاق الشيرازي وكاتب فقهاء الشافعية نظام الملك غضبا لتسلط الحنابلة ، واتسعت الفتنة وفكر الخليفة في حل هذه المشكلة واهتدى الى سعيه في الصلح ، فجمع القشيري واصحابه وابا جعفر الشريف زعيم الحنابلة واصحابه بمحضر الوزير ، فقام القشيري رئيس الشافعية والتفت الى الوزير عندما طلب منه الصلح وقال : اي صلح يكون بيننا ؟ انما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية او دينا اة تنازع في ملك . فاما هؤلاء القوم فانهم يزعمون انا كفار ، ونحن نزعم ان من لا يعتقد ما نعتقد كان كافرا ، فاي صلح يكون بيننا)48

وقد واجه كثير من العلماء هذه المحنة ، وتحملوا بلاء عظيما عندما تحولوا من مذهب الى اخر حتى قالوا : (ان من يصير حنفيا يخلع عليه ، ومن يصير شافعيا يعز . فهذا ابو سعيد المتوفى سنة 562 كان حنفي المذهب وتحول شافعيا ، ولقي عناء وامتحن لذلك ، وهذا السمعاني لما انتقل من المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي لقي محنا وتعصبا وقامت الحروب على ساق ، واضرمت نيران الفتنة بين الفريقين ، فكانت تملأ ما بين خراسان والعراق واضطرب اهل مرو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك اضرابا فضيعا ، وفتحت باب المشاقة ، وتعلق اهل الراي باهل الحديث وساروا الى باب السلطان)49

ولم تنته حادثة خلق القران بمجئ المتوكل بل ظلت اثارها تحوم بين اصحاب المذاهب لتزيد الطين بلة ، وليكفر كل الاخر (فقد ذهب احمد بن حنبل الى تكفير من يقول بخلق القران ... على ان احمد بن حنبل لم يقبل توبة التائب وكان لايشيع جنازة من يقول بخلق القران ولم يصل على احد منهم .)50

وقدساهمت السلطات المتعاقبة على نشر المذاهب تبعا لمصالحها ، فعلى سبيل المثال ساهمت الدولة العثمانية على نشر مذهب ابي حنيفة لانه لايشترط قرشية الحاكم ، فنشرته في العراق ومصر اثناء فترة الخديوية .

وفي مصر ايضا تتبنى الدولة مذهب ابي حنيفة في الفتوى والقضاء رغم ان الاكثرية من شعب مصر هم شوافع ومالكية ، وذلك لتبرير عدم قرشية الحاكم ، وهكذا الامر في بقية البلاد العربية والاسلامية حيث اضحى مذهب ابي حنيفة محل استغلال سياسي .

المصادر

1- تاريخ التشريع الاسلامي . د. عبد الهادي الفضلي . 1992
2- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص58. اسد حيدر ط4 . 1413ه
3- نفس المصدر السابق ص58. اسد حيدر ط4 . 1413ه
4- نفس المصدر السابق ص53. اسد حيدر ط4 . 1413ه
5- نفس المصدر السابق ص142.
6- تاريخ التشريع الاسلامي ص145
7- نفس المصدر السابق ص143
8- الاديان والمذاهب . د. ابراهيم العاتي .
9- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص154 عن تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص106
10- اديان ومذاهب . د. ابراهيم العاتي .
11-التالف بين الفرق ص215
12- نفس المصدر السابق ص212 . عن وفيات الاعيان ج5 ص40
13- نفس المصدر السابق ص215
14- نفس المصدر السابق ص212 . عن وفيات الاعيان ج5 ص40
15- الشيعة في الميزان ص80
16-الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص162
17- نفس المصدر السابق ص161 عن خطط المقريزي ج 4 ص144 .و عن المكافأة لابن الداية ص62-173
18- الشيعة في الميزان ص80
19- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص 163
20- التالف بين الفرق ص230-237
21- نفس المصدر السابق ص237
22- نفس المصدر السابق ص239
23- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص 163

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

24- نفس المصدر السابق ص 165 عن شرح الموطأ للزرقاني ج1 ص8 ، وطبقات الفقهاء لابن اسحاق ص43
25- نفس المصدر السابق ص166
26- ص167 عم ابن خلكان ج2 ص116
27- التالف بين الفرق ص245
28- نفس المصدر السابق ص252
29- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص164 عن معجم الادباء ج17ص275
30- التالف بين الفرق ص256
31- الشيعة في الميزان ص 81
32- التالف بين الفرق ص254
33-الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص168
34- نفس المصدر السابق ص168
35-التالف بين الفرق ص265
36- نفس المصدر السابق ص267
37- نفس المصدر السابق ص271-275
38- الشيعة في الميزان ص80
39- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص169
40- الاديان والمذاهب . د ابراهيم العاتي .
41- الامام الصادق والمذاهب الاربعة ص 459 ، عن مقدمة (احمد بن حنبل والمحنة) ص14
42- نفس المصدر السابق ص465
43- نفس المصدر السابق ص171
44- نفس المصدر السابق ص168
45- نفس المصدر السابق ص174 عن شذرات الذهب ج6ص213و ج5ص267، ومرآة الجنان ج4 ص34
46- نفس المصدر السابق ص170
47- نفس المصدر السابق ص192عن البداية والنهاية ج14ص76ومرآة الجنان ج3 ص343و المنتظم ج10 ص111وتذكرة الحفاظ ج3ص375وشذرات الذهب ج3 ص253و طبقات الشافعية ج3ص109
48- نفس المصدر السابق ص199 عن ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج1 ص22
49- نفس المصدر السابق ص199 عن الدين الخلص ج3ص355 وطبقات الشافعية ج3 ص22
50- نفس المصدر السابق ص202

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

لم تكن شريعة الباري عز وجل عاملا في الفرقة ، بل جاءت لتعبد الطريق للانسان وايصاله الى حالة مجتمعية متماسكة ، خالية من اسباب التشرذم والضياع ، متوحدة في امة قائمة على التقوى كمبدء مميز بين البشر . وقد ورد في الاية الكريمة (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون -الانبياء 92).

وجاء ايضا (انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

واذا كان واقع الحال يؤكد انقسام المسلمين الى فرق يكمن خلالها عوامل كثيرة مؤدية للتصارع والتناحر ، فانما ذلك ناتج عن الفترة التاريخية التي اعقبت وفاة الرسول (ص) , وهي فترة حاسمة بحكم تعدد الاتجاهات التي ظلت تعاني من آثار وشوائب الجاهلية ولم تصف قلوبها بعد برسالة نبينا الاكرم (ص) ، وهي السر وراء الانقلاب الخطير على سنته ، واستبعاد اهل بيته (ع) وعلى راسهم امام المتقين علي (ع).

وربما كان من اهم دلائل وجود قوى سياسية متمرسة في المكر والخديعة خلال عهد رسول الله (ص) قد ضمرت للاسلام شرا مستطيرا ، هو التحول السياسي المفاجئ للمسلمين عقب وفاة الرسول (ص) مباشرة وقبيل الانتهاء من مراسيم دفنه .

ومن المسلم به ان هذه القوى لم تنقلب على عقبها اثر وفاة الرسول (ص) او بحكم المتغيرات السياسية المستجدة فحسب ، بل انها كانت تخطط لفترة غياب قائد المسيرة (ص) ، ولذلك كان الامام علي (ع) الشخصية الاولى التي اضحت هدفا شاخصا وعلى سلم اولويات مخططات هذه القوى ، فاعدت له كل مرصد . فهو وارث النبي (ص) والولي من بعده بنص اكد عليه (ص) مرار وتكرارا .

ولم يترك النبي (ص) هذه الدنيا الا بعد ان اوضح للمسلمين سبل النجاة وطريق الحق ، ولم يقتصر على ذلك فقط ، بل اوضح بعض صور المستقبل وما يخفيه للامة الاسلامية ، لكنه اكد على التمسك بالقران واهل بيته (ع) بحديث الثقلين وغيره من الاحاديث الماثورة ، والتغلب على عوامل الجذب التي تزينها طرق الضلال .

واذا كان المسلمون عقب وفاة الرسول (ص) لم يدركوا تلك اللعب السياسية وما انتهت اليه من تقويض للسنة النبوية وما اعقب ذلك من قتل وتشريد لاهل البيت (ع) واتباعهم ، فان مسلمي اليوم اقدر على تشخيص الامور ودراستها ، وادراك مجرياتها ، وتفادي مؤثراتها السلبية . لكن ذلك يتطلب شجاعة في تصنيف الامور وتشخيصها .

ففي التاريخ الاسلامي هنالك الكثير من الصفحات غير المضيئة التي تتطلب وقفة جريئة لتحديد الموقف السليم منها . ولعل اهم صفحة جديرة بالتقصي والتفحص والبحث ، هي فترة التحول من عهد النبوة الى عهد الخلافة وما اعقب ذلك من فرقة وشتات .

فالخلافة التي وقفت بكل امكاناتها السياسية امام وصية الرسول (ص) في امامة علي (ع) من بعده ، ادت الى تبلور سنن خاطئة لازال المسلمون يدفعون ثمنها باهضا رغم علمهم بحقائق الامور وبالمؤثرات السلبية التي لعبتها الانظمة السياسية المتعاقبة في تكريس ما هو خلاف الحقيقة في هذا الشأن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقد تصدرت السياسة الحياة الدينية والمذهبية . فظل الفكر المذهبي في اطار من التبعية الشديدة ، وتحت مظلة النظام السياسي ، يوجهه حيث شاء ، ويأول فيه ما يشاء وكيف يشاء ، وهو الامر الذي كرس مبدء تعيين الخليفة وكيفيته من بعد الرسول (ص) .

وتعددت الفرق الاسلامية ومذاهبها الى حد التعصب الاعمى . وتحجم دور الدين باغلاق باب الاجتهاد عند اتجاه الخلافة بنشوء المذاهب الاربعة بحيث استبعدت المذاهب الاخرى قسرا ، مع محاولة نبذ الخلافات الفقية العميقة بين المذاهب الاربعة نفسها لاحقا تحت شعار اقامة مذهب السنة والجماعة .

وذهبت الانظمة السياسة التي لازالت تتعامل بشكل فوقي مع الاسلام الى دعم المذاهب الاربعة دون بقية الفرق والمذاهب ، ووضعت نفسها في موقف الند للاتجاه الشيعي على وجه الخصوص . وتبادل اتباع المذاهب الاربعة الشعور بالخوف من اتساع رقعة الاتجاه الشيعي الذي نما وترعرع بشكل مستقل تماما عن اي مؤثر سياسي مصلحي او رسمي ، بل ان تراثه الفكري الغني والصافي فضلا عن تطوره العلمي اديا الى وضوح الحقيقة التاريخية في شرعيته وقوة حجته .

واذا ما رجعنا في جولة متفحصة وممنهجة بين الفرق الاسلامية كما اوردنا في بحثنا ، سنجد ان الاتجاهات والفرق تنقسم الى ثلاثة اقسام :

1- اتجاهات ظهرت بشكل جلي بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة . اوضحناها في مقام البحث تحت اطار مسميين :

ا- (الاتجاه الشيعي) الذي تبلور منذ اليوم الاول لولادة الاسلام ، وقد تبناه النبي (ص) ورعاه ، وكان ابرز رموزه الامام علي (ع) . ثم تطور هذا الاتجاه على صعيد المنهج الفقهي على عهد الامام الصادق (ع) .

ب -(اتجاه الخلافة) الذي تمثل في عدد من الشخصيات التقت على قاعدة رفض امامة علي (ع)، وريادة الاتجاه الشيعي من بعد غياب النبي (ص) ، ثم تجاوزت السنة النبوية في الامامة ووضعت المسلمين في مفترق طريقين لا ثالث لهما ، اما تقويض الرسالة مع حرب شعواء او القبول بخلافة غير علي (ع) مع بقاء الرسالة تحت مظلة سياسية يقودها الخليفة ابي بكر والخليفة عمر .

2- فرق انشأها اتجاه الخلافة بغرض اخضاع المسلمين للسلطة السياسية بعد نمو المعارضة لهذا الاتجاه نتيجة للفساد السياسي الاداري وانكشاف حقيقة الخلافة وما رافقها من هظم لحق اهل بين النبي (ص) ، وتمثلت في الجبرية والقدرية والمرجئة . وقد هيئت هذه الفرق الاصول لقيام المذاهب الاسلامية ، ومن بينها المذاهب الاربعة التي نشأت في عهد متاخر ، وتبعت ابا الحسن الاشعري - الذي نشأ معتزليا - في الاصول في النصف الثاني من القرن الهجري .

3- فرق اسلامية نسبت الى الاتجاه الشيعي ، كان العامل في نشوئها متناقضات سياسية اختلقها اتجاه الخلافة بين المسلمين . فالكيسانية بدأت باشاعة روجها اتجاه الخلافة بقيادة الدولة الاموية لمواجهة الامام السجاد (ع) ، ونسبها الى زعامة محمد بن الحنفية بنى علي بن ابي طالب (ع) والمختار الثقفي . ثم جاءت الدولة العباسية لتستكمل المخطط الاموي في ضرب الاتجاه الشيعي بهذه النسبة .

واما الزيدية فهي اسم اطلقه الامويون على فرقة دخلت في معركة شرسة ضدهم نتيجة ما الت اليه الامور من فساد سياسي وعقيدي . وتعتز فرقة الزيدية بانها تنتسب لزيد وموقفه السياسي المعارض للدولة الاموية ، لكنها فرقة لا تعتقد بان زيدا اولى بالتقليد من غيرة من ائمة المسلمين .

والفرقة الاسماعيلية فرقة غامضة النشوء ، لعب العباسيون دورا كبيرا في استغلالها لمواجهة الحركة العلمية للامام الصادق (ع) وطعنه في ولده اسماعيل الذي مات على عهده .

وهناك الكثير من الفرق الاسلامية تفرعت عن هذه الاقسام الثلاثة ، لكنها آلت الى الاندثار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد دخلت جميع الفرق الاسلامية في اللعبة السياسية باستثناء الاتجاه الشيعي الذي بقي بعيدا عن السلطة السياسية ، منشغلا بالجانب العلمي وتنميته .

وحاول اتجاه الخلافة بامكانات الدولة السيادة على البلاد الاسلامية دون منازع ، ولم يسلم الاتجاه الشيعي المنافس من ارهاب دول اتجاه الحلافة المتعاقبة ، وشهد عالمنا الاسلامي مجازر رهيبة طالت اتباع هذا الاتجاه وتراثه العلمي الغزير . لكن هذا الاتجاه قدر على الوقوف مرارا على طرفيه عقب كل هزيمة ليتجاوز اثارها السلبية بتحقيق نصر عبر اعادة بناء كيانه من جديد .

ولازالت الصراعات بين الفرق والمذاهب مرشحة للانفجار من جديد ، وهناك العديد من العوامل التي تساعد على انفجارها . ولعل السياسة هي اهم عامل خطير في هذا الصدد . فالنظام السياسي الذي حصل على صفته الشرعية من قبل هذه الفرق او ذاك المذهب يمتلك القدرة على تفعيل العصبية لتدعيم مذهبه او فرقته المتبناة ، ليس رغبة او ايمانا باصول وفروع فرقتة او مذهبه ، انما نكالا بالفرق او المذاهب الاخرى. ولا يتوانى النظام السياسي في محاولة خلق نوع من التوازن بين فرقته او مذهبه وبين الفرق او المذاهب الاخرى ، وذلك لكسب الولاءات وشراء الذمم والتفرد بالسلطة .

ويذهب البعض الى القول ان الحل الوحيد لحل مشكلات الفرق والمذاهب هو بنبذ العصبية المذهبية مع بقاء الفرق والمذاهب على هيئتها واستقلالها ، على ان تبقى هناك علاقة سياسية وطيدة بين الفرق والمذاهب تتمثل في ابراز عوامل الالتقاء وتجميد عوامل الخلاف . لكن هذا الحل غير جذري وانما هو آني قابل للانفجار على مر الاجيال والدهور . وقد جرب مرارا ولكنه كان محل استغلال ومساومة ومزايدة .

ان الحلول يجب ان ياخذ بعدا اكثر عمقا وجدية ، وذلك بالسبل التالية :

1- الدراسة الموضوعية في الوسط المذاهبي او الفرقي للاحداث التاريخية ، والولوج فيها بتجرد، بعيدا عن التعصب والاهواء الشخصية والمصالح الذاتية . ومتابعة مسار الاحداث السياسية خلال حياة الرسول (ص) وبعد وفاته . ويمكن ان يدعم ذلك بعقد مؤتمرات مشتركة تنبثق عنها لجان عمل تكون مهمتها الاساسية البحث عن العوامل السياسية في نشوء الفرق والمذاهب ، واثارها وابعادها وانعكاساتها على مسار الاحداث ، شرط ان تتجرد المذاهب والفرق من دعم اوحماية الانظمة السياسية ، وذلك للقيام بدور حقيقي وحر وجدي فضلا عن بذل جهود شتى لانماء حالة فكرية صحيحة تبعد شبح الصراع بين المذاهب والفرق ، على ان تاخذ المناظرات والحوارات شكلا صريحا ومستمرا ، بعيدا كل البعد عن المؤثرات الجانبية.

2- اذا كان العامل السياسي هو الاثر الاعظم في نشوء الفرق والمذاهب كما اوردنا في بحثنا هذا ، ثم تطورت الفرق لتصبح فرقا عقائدية ، فان اعتراف الفرق والمذاهب بذلك يتطلب شجاعة كبرى ، ولايمكن ان نصل الى تلك الشجاعة الا بالحرص على وحدة هذه الامة ووضع مصلحة الاسلام فوق كل اعتبار . لكن الامر الذي يتوجب على اطراف الفرق والمذاهب الايمان به اولا ، هو ان البحث عن الحقيقة من الامور المرغوبة عند شتى شعوب عالمنا الاسلامي للخلاص من تلك المآسي التي طالت بعض دول عالمنا الاسلامي . فعقل الانسان في بحثة وتقصية ينشد الحقيقة دائما والوصول اليها ، خاصة حين يكون الامر مصيريا ، وانه ليس من المستحب ان تاتي ظروفا قاهرة تلزمنا عندها بالبحث عن الحقيقة .

3- شعار (البحث عن الحقيقة) من اجمل الشعارات التي وردت في موضوع الحوار بين الفرق . وهو شعار مرغوب ومقبول من قبل الجميع يمكن اثارته دائما ، على ان تاخذ ادبيات الاطراف بعدا حواريا وموضوعيا ، ملتزما بهذا الشعار .

4- وردت تجارب عديدة في صدد الجمع بين المذاهب والفرق ومحاولة الدخول في حوار للتقريب بين الفرق والمذاهب ، لكن قصارى نتائج هذه المحاولات هي جعل الفرق والمذاهب في حالة من المرونة بحيث يسودها اعتراف وقبول ببعضها البعض . وهي محاولات لازالت في مهدها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وخاضعة للظروف السياسية . لذلك يلزم البحث عن الحلول الجذرية وان تطلب ذلك زمنا طويلا . فليس من السهولة بمكان ان نطوي تاريخا طويلا حافلا بالصراعات والحروب بين اتباع الفرق والمذاهب في خلال فترة زمنية قصيرة متعجلة النتائج.

5- مسايرة المتغيرات الانسانية والحضارية التي امتدت لتشمل عالمنا الاسلامي ، فتقنية الاتصالات جعلت من هذا العالم قرية صغيرة . فهذه المتغيرات تدعونا دائما الى المعقولية ونبذ التخلف الفكري والسياسي والاجتماعي . واضحت شعوبنا قادرة على الاطلاع بيسر على ما تحمله الفرق والمذاهب من فكر وعمل . وليست هناك مجالا للعب على الذقون وطمس الحقائق .

فهذه الطفرة الحضارية هي سلاح ذو حدين ، فقد تتجه به الفرق والمذاهب الى التاكيد على صحة اتجاهها ، مع نبذ للاتجاهات الاخرى ، مما يساهم في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين . وقد تكون عاملا في انماء قدرات الانسان المسلم العقلية والعلمية ليستقل بنفسه في ادراك معطيات الفرق والمذاهب ومدى بعدها او قربها من الحقيقة .

فيمكن استغلال التقنية الحضارية وثورة الاتصالات عبر تشكيل مؤسسة مخلصة مستقلة وجامعة لكل المذاهب والفرق ، بحيث تضع الانسان المسلم تحت عدة خيارات دون عصبية . فتنمي فيه روح البحث والتقصي عن الحقيقة ، بدلا من اخضاعه بالوسائل القسرية المعروفة .

من هنا ينبغي ان ترجع امتنا الاسلامية الى عزها ومجدها ، ولا يكون ذلك الا بوحدتها وتماسكها بالعودة الى الثقلين كتاب الله وعترة نبيه الاكرم (ص) الذين تتمثل فيهم السنة بحق . والحمد لله رب العالمين

لندن

مايو 1998م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com